المضامين التربوية في آيات

الأرض المباركة

في القرآن الكريم وتطبيقاتها

تأليف

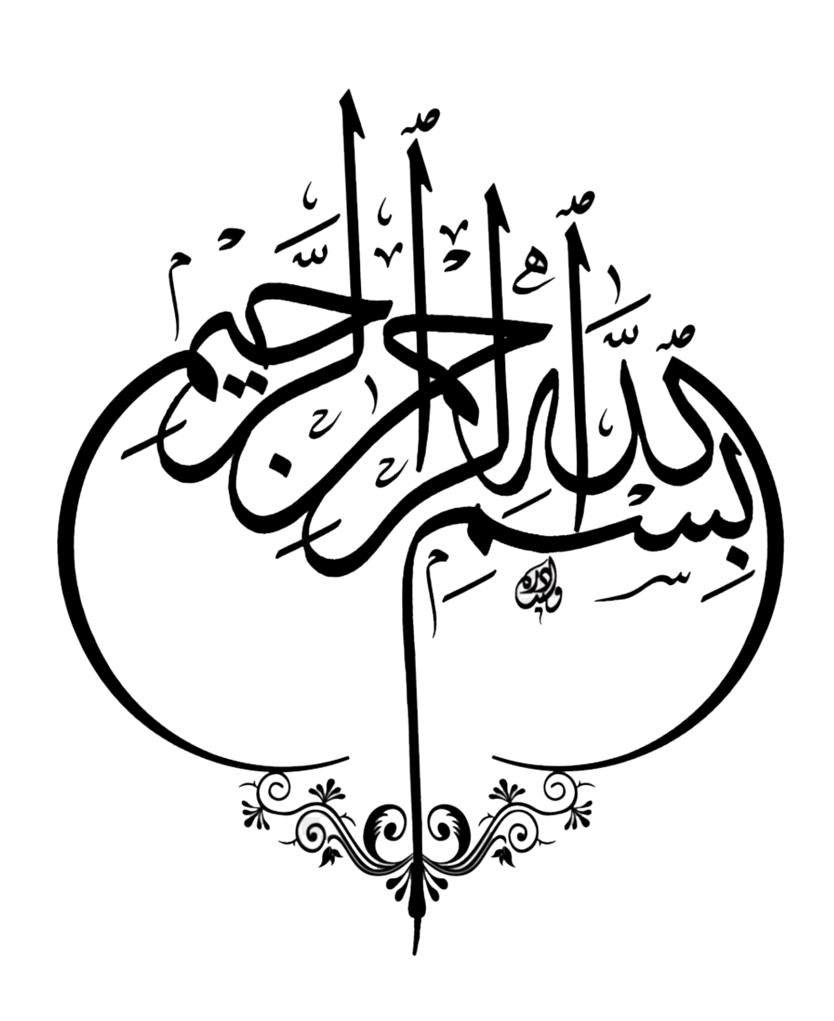
محمود مصطفى أبو محمود

تقديم

د. نواف تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين

هيئة علماء فلسطين


بسم الله الرحمن الرحيم

المضامين التربوية

في آيات الأرض المباركة

في القرآن الكريم وتطبيقاتها

تأليف

د. محمود مصطفى أبو محمود

تقديم

د. نواف هايل تكروري



اسم الكتاب:

المضامين التربوية في آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم وتطبيقاتها

المؤلف: د.محمود مصطفى أبو محمود

isbn: 978-625-6483-18-7

الطبعة الأولى

1445هـ/ 2023م

الناشر: دار إقدام للطباعة والنشر- إسطنبول



www.dar-ikdam.com

dar.ikdam@gmail.com

www.facebook.com/darikdam



+905060232235

+902126716248

أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير في كلية الشريعة تخصص التربية الإسلامية تقدّم بها الباحث في جامعة اليرموك الأردنية عام 1440هـ/ 2019م

طبع الكتاب برعاية هيئة علماء فلسطين





الإهــداء

إلى أبي رحمه الله تعالى

إلى أمي بارك الله في عمرها

إلى زوجتي شادن الصالحي وأبنائي وبناتي

إلى شقيقي الشهيد خالد أبو عبيدة

إلى إخوتي وأخواتي

إلى شهداء الأرض المباركة والأسرى الصامدين

إلى المجاهدين والمرابطين في سبيل الله ﷻ حيثما كانوا

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل راجياً من الله ﷻ الرضا والقبول

المؤلف



شكر وتقدير

أحمد الله تعالى وأثني عليه، وأعترف بفضله، وأستشعر هدايته وتوفيقه فالحمد له سبحانه وتعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يُحبّ ربنا ويرضى.

ثم أتوجه بالشكر والاحترام للقائمين على أكاديمية باشاك شهير للعلوم العربية والإسلامية في إسطنبول، على ما يبذلونه من جهود مباركة في خدمة طلبة العلم، والشكر موصول إلى أساتذة كلية الشريعة في أكاديمية باشاك شهير، وأساتذة كلية الشريعة في جامعة اليرموك في الأردن؛ على ما قدّموه لي شخصياً من دعمٍ وتوجيه، وأخص بالشكر والعرفان المشرف على رسالتي الدكتور أحمد يحيى العوّامي الذي لم يأل جهداً في إرشادي ومساندتي.

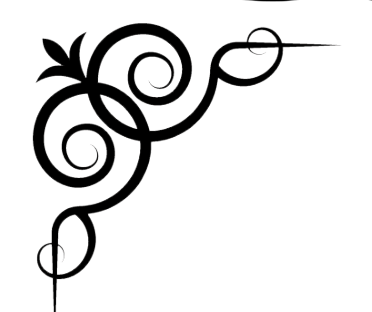
وأتوجه بالاحترام والتقدير إلى لجنة تحكيم هذه المادة العلمية ومناقشتها، المكونة من السادة الأفاضل:

د. أحمد يحيى العوامي، أ. د. أحمد محمد الدغشي، د. عايش علي لبابنة.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى السادة العلماء والزملاء الذين شاركوني آرائهم ضمن «استبانة رأي الخبراء» التي أعدها الباحث حول المبادئ التربوية المستنبطة.

وأختم بشكري وتقديري لكل من قدّم توجيهاً أو نصيحة لإتمام وتصدير هذه الدراسة فجزى الله الجميع الخير والثواب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والله ولي التوفيق.

المؤلف





تقديم

د. نواف هايل تكروري

رئيس هيئة علماء فلسطين

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من واجب العلماء اليوم العمل لتحويل الإطار النظري في محتوى المنهج الإسلامي التربوي وأهدافه إلى سلوك وتطبيق عملي وبرامج في واقع حياة الناس، من خلال عملية بناءِ منهجية مستمرة ومتدرجة ومهدّفة وإيجابية وموجّهة للإنسان المُسلم؛ بحيث تعتني بتنمية شخصيته المتكاملة من جوانبها الجسدية أو الروحية أو العقلية أو الاجتماعية، وتتعهدها بالإصلاح والتطوير عبر كل مراحل حياته، مستندة في ذلك إلى: الأدلة الشرعية الكلّية والتفصيلية. وهذا الاستناد في المرجعية إلى الأدلة الشرعية الإسلامية يمتد أثره في كل مجالات التربية وأنواعها؛ ويضبط أداءَ كل العاملين في ميادينها من المعلمين والدعاة والمربين وحتى المستهدفين فيها أيضاً. وبلا شك فإن التربية وعملياتها المتواصلة أساس في بناء الأمم وتحصينها وهي مسلك يأخذها إلى فلاحها في الدنيا وفوزها في الآخرة.

وإن البحث في استخراج المضامين التربوية من الآيات القرآنية شكل من أشكال التدبر في نصوص الوحي المنزَّل - القرآن والسنة-، وهو منهج مبارك يسهم في إعداد منهج العمل وتكوين الأجيال وبنائها بناءً سليماً، كما أنه من أبدع وأرقى ما ينبغي أن يجدّ الباحثون والتربويون لدراسته واستنباطه وصياغة المشاريع للعمل به؛ من هنا يأتي فهمنا لتقدير الله ﷻ لجهود هؤلاءِ الذين يُمسِّكون بالكتاب والسنة والذين تتضافر جهودهم لتربية النشءِ المسلم وبناء جيل تحرير الأمة وتخليصها من العبودية لغير الله ﷻ، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ**

إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف:170]. وإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا إنما هو تدبر في آيات من كتاب الله ﷻ ونظر فيها واستنباط للمضامين التربوية التي تدل عليها هذه الآيات وتدعو إليها. والجامع بين هذه الآيات أنها متعلقة بالأرض المباركة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس - بلاد الشام وسيناء - وأنها تتحدث عن وقائع حدثت مع ثلة من الأنبياء الكرام على هذه الأرض المباركة أو لها تعلّق بها؛ لذلك فهي استنباطات لمضامين تربوية أُخذت من تجارب الأنبياء عليهم السلام وتوجيهاتهم لأتباعهم ومن خلال دعوتهم لأقوامهم على بقاع مقدسة مباركة.

وإن الناظر في هذه الآيات- آيات الأرض المباركة- يجدها قد زخرت بعظيم العبر والدروس والمضامين التربوية التي تجلّت في قصص الأنبياء والصالحين وتوجيهاتهم ووصاياهم لأتباعهم وما لا يحصى من القيم والمبادئ والنظم التربوية التي أثمرت توفيقاً وسداداً ونجاحاً لمن أخذ بها من المؤمنين، ووبالاً ومحقاً لكل من تنكر لها من الكفرة والمنافقين. فجاءت هذه التوجيهات شاملة لمجالات الحياة ومستوعبة لجوانب الشخصية وكافية لتصنع خير أمة وإنسانها الكامل الموصول بربه المستحق لمعيته. فمثلاً تؤكد تلكم الآيات أن كل نبي من هؤلاء الأنبياء عليهم السلام دعا إلى توحيد الله ﷻ والتزام أمره، وأنه عاش لرفع هذه الكلمة عالياً ودعا لها وجاهد في سبيلها، فهذا يعقوب عليه السلام يأخذ العهد من بنيه عليها، في قوله تعالى: **﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة: 133]. وهذا المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى أمه السلام يعبر عن التوحيد بصورة جلية صريحة، في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾** [المائدة: 72]. وهكذا كل نبي وكل رسول، فقد كانت كلمة التوحيد أول كلمة يصدح بها ويدعو الناس إليها وكانت هي أيضاً آخر كلمة يوصي بها ويموت عليها؛ فكانت قيماً تربوية أعلى الله ﷻ شأنها على لسان أنبيائه جميعاً وفي دعواتهم.

وكذلك كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام لأتباعهم ولعموم الناس في سائر أبواب العقيدة والأخلاق الحميدة والمعاني التربوية الكبيرة التي توجّه السلوك البشري لطريق الحق والعمل الصالح والعدل والرحمة والصدق والبر وإكرام الضيف وحسن الحديث والجدال بالتي هي أحسن وكثير من

المبادئ والقيم. ولا شك فإن الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة كانت فيضاً زاخراً من هذه المضامين التربوية والتي شكلت أنموذجاً لمحتوى دعوة الأنبياء عليهم السلام وتطبيقاتها.

ولذلك فقد أحسن الأخ الباحث الدكتور محمود مصطفى أبو محمود عندما اعتنى في بحثه هذا لنيل درجة الماجستير بجانب من هذه المضامين التربوية المستقاة من قصص الأنبياء عليهم السلام التي حدثت في الأرض المباركة أو ارتبطت بها. ولا شك أن تركيزه على هذه الشريحة من الآيات الكريمات وهؤلاء الثلة من الأنبياء عليهم السلام مهم للغاية؛ فهؤلاء الأنبياء ارتبطت حياتهم ارتباطاً وثيقاً بهذه الأرض المباركة، فعاشوا عليها مواقف الدعوة والجهاد والتربية والبناء، وكان من أتباعهم اليهود والنصارى ممن حرفّ الكلم عن مواضعه وقلبوا أقوال الحق التي جاء بها أنبياؤهم إلى باطل متنكبين لمنهج العدل والانصاف والرحمة التي أمر الله سبحانه وتعالى به؛ وبالتالي فإن إبراز حقيقة ما دعا إليه هؤلاء الأنبياء هو حديث عن براءتهم من كل زيغ أو انحراف نسبه إليهم المحرفّون.

ومما يميز هذا البحث استنباطه وإشارته إلى جملة من المبادئ التربوية الأساسية التي لا تختلف باختلاف شرائع الأنبياء والرسل – عليهم السلام- والتي جاءت كلها ترفع من قيم التوحيد والصدق والعدل والإحسان والرحمة ونصرة المظلوم، وتقف موقفاً حازماً من الفحشاء والمنكر والبغي. فالمبادئ التربوية المدروسة في هذا الكتاب تستند إلى تاريخ بشري عريق يبرز تجارب الرسل والأنبياء والصالحين عليهم السلام، وتضيئ على جانب من كفاحهم الطويل في صنعة التربية والتعليم والدعوة والجهاد، وتحكي مواقف من قصص ثباتهم وجهادهم على تراب هذه الأرض المباركة -بيت المقدس وأكناف بيت المقدس- بلاد الشام.

كما تميز الكتاب بتأصيله للنظرة الشرعية للأرض المباركة والأرض المقدسة، وعزز ذلك بالأدلة الشرعية وأقوال سلف الأمة والمفسرين، ودعم تفصيله وتأصيله بإحصاءات رقمية بناء على تحليل ورود جملة من المصطلحات والأسماء في سور القرآن الكريم وآياته وحجم تكرارها.

ويظهر جهد الباحث جلياً حين اعتنى بشرحه للمبادئ التربوي المستنبطة وعددها أربعة وثلاثون، ثم تعقيبه المفصل على كل واحد منها، مبيناً آليات تطبيقها. وتكون الدراسة بذلك قد حلّقت بجناحي التأصيل النظري والتطبيق العملي، فتقدمت بخطابها الديني المتعلق بالأرض

المباركة فأسست لسلوكات وبرامج وتطبيقات واجبة تُجَاهها تسهم – حال امتثالها- في تثبيت أهلها وتحرير قدسها وأرضها. وأرى أن هذه الدراسة تشكّل بمبادئها وتطبيقاتها مرجعاً تربوياً لطلبة العلم والباحثين والمرشدين وخطباء المساجد والوالدين والمعنيين ببناء الجيل وتوجيهه.

ويستشعر أي مسلم يقرأ هذه الدراسة بمسؤولية إضافية تقع عليه تُجاه الأرض المباركة؛ فيسعى للمساهمة في الإعداد لتحريرها من الاحتلال الصهيوني الغاشم، ومساندة أهلها، وتطهيرها من الظلم والفساد؛ فهي أضاءت على الأرض المباركة ومكانتها وقيمتها ووجّهت إلى القيم التي بها تُحرر وتُستعاد، فكان كتاب تربية وجهاد وإعداد حقاً.

وإننا في هيئة علماء فلسطين وفي سعينا المستمر للتأصيل الشرعي للقضية الفلسطينية ومستجداتها بأبعادها المختلفة نقدم هذا الجهد المبارك والعمل المتقن، ونحرص على طباعته ونشره لما فيه من نفع وتوجيه للمسلمين، ونرى أن هذه الدراسة التي نالت من التقدير والنجاح من جامعة اليرموك الأردنية وحصلت على إعجاب المناقشين والمحكمين دراسة علمية تُعرّف أيضاً بالأرض المباركة بيت المقدس وأكناف بيت المقدس- بلاد الشام- والتي جاء ذكرها في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وضمن العديد من قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ونقدّر أن ستكون هذه الدراسة إضافة نوعية الى مكتبة كل بيت مسلم بحسن سردها وترتيبها ولغتها السهلة الواضحة، وهي مرجع أساس للمربين والباحثين والدارسين والتربويين، وننصح الدعاة والخطباء بقراءتها والإفادة منها في توجيه الأجيال وغرس قيم الخير اقتفاء لآثار الأنبياء وسيراً على نهجهم؛ فهو عمل يخدم من وجهين عظيمين؛ الأول: المجال التربوي، والثاني: مجال التعريف بالأرض المباركة ومكانتها والواجب تجاهها.

فجزى الله أخانا فضيلة الدكتور محمود مصطفى أبو محمود خيراً على ما بذل من جهد وبارك في كتابه، وجعل ما كتبه علماً نافعاً يسهم في بناء الأمة وتحصينها ورفعتها، آمين.

وصلّى الله وبارك على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آلة وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تقديم المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، أما بعد:

فيَرْقُبُ المسلم حالة الضعف والفرقة التي تمرّ بها أمته الإسلامية، ويحزن حين يراها غدت كغثاء السيل، وقد وصل بها الهوان حداً فرّطت فيه بأرضها المقدسة ومسجدها الأقصى المبارك؛ وهذا الحال يدفع المخلصين من أبناء هذه الأمة للبحث عن مخرجٍ من هذا التّيه الذي طال أمده. وهم وأثناء سعيهم الحميد تتعلق قلوبهم بوعد الله ﷻ أن يبعث جيلاً يجوس الديار ويصلح الأحوال، هذا الجيل الذي يناديه الحجر والشجر، فيقول: « يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ»[1]، لكنهم لا ينفكون يتساءلون من أي أرحام سيخرج هؤلاء المؤمنون المجاهدون؟ وعلى أي أرض سينبتون؟ ومن أي معين سينهلون؟

أسئلة عديدة بين يدي تَحَقُق هذا الوعد الإلهي، يجيب عنها أهل كل اختصاص؛ لكن لأهل التربية والتعليم طريقتهم في الإجابة؛ إذ يفترض أنهم الذين تعهدوا بتعليم الناس الخير، وغرس المبادئ والقيم، ونشر الأخلاق والفضيلة؛ فهم من الغرباء الذين يصلحون ما أفسده الناس، ويبّثون الروح في طلائع البعث الإسلامي لتنطلق من جديد، كما قال رسول الله ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[2]. وهؤلاء المرّبون لن يجدوا أفضل من القرآن الكريم، يسقون به بذارهم، ويرعون فيه غراسهم، فهو كتاب الله المبارك المنزل من السماء، ما لامس قلباً إلا ودبّت فيه الحياة والبركة، وما اعتصم به أحد إلا اهتدى ونجا، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء:10]، فالقرآن الكريم شرف ورفعة

(1) مسلم: ابن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ). **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، باب لا تقوم الساعة حتى يَمُرّ الرجل بقبر، ج4، ص2239، ح2922.

(2) المرجع السابق، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود، ج1، ص130، ح145.

لصاحبه، وكرامة وبركة وهداية لمن اتبعه وعمل بما فيه؛ فسوره وآياته تزخر بالتوجيهات الربانية والمضامين التربوية، وهي بمجموعها إن امتُثِلت كفيلة بإصلاح حال الأمة وهدايتها وتحقيق انتصارها وعزتها وكرامتها، وقد أكد ذلك النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع فقال: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ»[1].ولعل ضعف المسلمين اليوم، واحتلال أرضهم، وحرمانهم من قدسهم؛ من أهم أسبابه قصور في إدراك المضامين التربوية والتوجيهات التي احتوتها آيات القرآن العظيم.

وتأتي هذه الدراسة لتتدبر في عينة من الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة - بلاد الشام- وهي بذلك ترجو أن تُصيب مبادؤها التربوية المستنبطة أمرين، الأول: الاعتماد النظري على المصدرية الإسلامية المطلقة وهي القرآن الكريم، وثانياً: الاعتماد التطبيقي على واحدة من أشرف البقاع إلى الله ﷻ وهي الأرض المباركة بلاد الشام؛ فهذه الأرض المباركة كان لها نصيبٌ من التكريم والتقديس أن نزلت في شأنها آيات بينات في كتاب الله العزيز وردت في سياقات قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام. وعليه فقد سعت هذه الدراسة إلى تتبع آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم في سياقاتها، ومن ثم تدبرها واستنباط المضامين التربوية منها، وتقديم مقترحات وتطبيقات عملية لها.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

إن ما تتعرض له أرض فلسطين اليوم من احتلال صهيوني وعدوان يجعل منها القضية المركزية للأمة الإسلامية، وهي قبل ذلك كانت قبلة المسلمين الأولى، ومسرى النبي محمد ﷺ؛ كما أنها الأرض المقدسة المباركة في بلاد الشام التي هي عقر دار الإسلام، كما قال ﷺ: «وَعُقْرُ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ»[2]، قال الزبيدي مفسّراً: «عُقْرُ دارِ الإسْلامِ الشامُ، أَي أَصْلُه ومَوْضِعُه»[3].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب حجة النبي ﷺ، ج2، ص886، ح1218.

(2) النسائي، شعيب بن علي (ت: 303هـ). **المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406هـ – 1986م، باب الخيل، ج6، ص214، ح3561. وصحّحه الألباني، محمد ناصر. **صحيح وضعيف سنن النسائي**، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، ج8، ص133، ح3561.

(3) الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، د. ط، د. ت، ج13، ص107.

ومن الجدير بالذكر أن صلاح حال أهل الشام يُعَدّ أحد معايير قوة الأمة الإسلامية وعافيتها، وبالمقابل فإن فساد حال الشام مؤشرٌ على ضعف الأمة وفقدانها خيريتها، وقد بيّن ذلك النبي ﷺ فقال: «إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ»[1]، وهذا توصيف دقيق منه ﷺ فبلاد الشام بموقعها الجغرافي والديني تعتبر بمثابة القلب لهذا العالم الإسلامي الكبير، وقد فسد حال هذا القلب بما جرى ويجري من استباحت العدو الصهيوني وأعوانه أرضها، وانتهاكهم كرامة أهلها، وتدنيسهم مقدساتها. ومن هنا تتوجه جهود المسلمين وتتضافر في محاولات متكررة لاسترداد الأمة الإسلامية عافيتها ولتقوم بواجبها بالتصدي لإفساد بني إسرائيل وعلوّهم الكبير فيها، بتربية النشء، وتوجيه الجيل.

ويمكن ملاحظة كثرة الدراسات والكتب والمقالات التي تناولت الأرض المباركة - بلاد الشام- من جانب فضلها وتاريخها؛ لكن ليس ثمة دراسة تعتني بالآيات القرآنية المرتبطة بها أو تستنبط المضامين التربوية من آياتها؛ والتي في إدراكها والعمل بها صلاح لحال الشام وحال أهلها.

وعليه فتتمثّل مشكلة الدراسة الحالية في محاولة الإجابة عن التساؤل الرئيس التالي:

ما المضامين التربوية التي يمكن استنباطها من الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة، وما تطبيقاتها؟

ومن السؤال السابق تتفرع الأسئلة التالية:

1. ما الأرض المباركة وما مكانتها في القرآن الكريم والسُنّة النبويّة؟
2. ما آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم ومحدداتها التربوية؟
3. ما المضامين التربوية المستنبطة من آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم؟
4. كيف يكون تطبيق المضامين التربوية المستنبطة من آيات الأرض المباركة؟

---

(1) الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ). **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مطبعة الحلبي، ط2، 1395هـ-1975م، باب ما جاء في الشام، ج4، ص485، ح2192. وصحّحه الألباني، محمد ناصر. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د. ط، ج5، ص192، ح2192.

أهمية الدراسة

يتوقع أن يكون للدراسة الأهمية النظرية التالية:

1. تقدم أفكاراً عملية تساهم في تقريب الخطاب الديني المتعلق بالأرض المباركة، بالسلوك العملي الواجب تُجَاهها، باقتراح تطبيقات معاصرة تناسب الحالة الاجتماعية والسياسية.
2. تشكّل هذه الدراسة بمبادئها وتطبيقاتها مرجعاً تربوياً للباحثين والمرشدين وخطباء المساجد والوالدين والمعنيين ببناء الجيل وتوجيهه.
3. تقدم للطلبة في المدارس والنوادي ومراكز تحفيظ القرآن الكريم دليلاً تربوياً يحوي المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الأرض المباركة، مشروحة مع أدلتها وكيفية تطبيقها.

- كما يتوقع أن يكون للدراسة الأهمية التطبيقية التالية:

1. تشعر المسلمَ في العالم الإسلامي الكبير بمسوؤلية إضافية تقع عليه تُجاه الأرض المباركة؛ فيسعى للإسهام في الإعداد لتحريرها من الاحتلال الصهيوني الغاشم، ومساندة أهلها، وتطهيرها من الظلم والفساد.
2. تسهم بتوجيه مجالات البحث في التربية الإسلامية، لتعتني بتربية النشئ وإصلاح الجيل.
3. تدفع العاملين في مجال التربية لزيادة الاهتمام بالخطاب الإعلامي التربوي عبر وسائل التواصل الحديثة وتفعيله في التوجيه والإصلاح والنقد البناء.
4. تلفت انتباه القائمين على وزارات التربية والتعليم والشؤون الدينية للعناية بتطبيقات المبادئ التربوية المستنبطة، لأثرها الكبير في صلاح الحال في الأرض المباركة والتخفيف من معاناة أهلها.

منهج الدراسة

استخدم في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي، ويعُرّف بأنه: «المنهج الذي يقوم على التأمل في أمور جزئية ثابتة لاستنتاج أحكام أو مبادئ عامة منها. أو أنه الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمّة بالأدلة الواضحة. وعلى سبيل المثال يمكن من خلال الآيات القرآنية الكريمة والتفاسير المختلفة استخلاص توجيهات تربوية عامة. وكذلك عُرّف هذا المنهج بأنه إحدى طرائق البحث العلمي، التي تقوم على استنتاج أفكار ومعلومات من النصوص وفق ضوابط معينة»[1].

إجراءات الدراسة

قام الباحث أثناء كتابته بمراعاة عزو الآيات إلى سورها وبيان أرقامها في المتن. أما الحديث أو الأثر؛ فإن كان في الصحيحين أو في أحدهما كان الباحث يكتفي بأخذه من أحدهما ويعزوه إلى مصدره مع ذكر اسم الباب ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث. وإذا كان الحديث أو الأثر في غير الصحيحين فكان يعزوه إلى مصدره مع ذكر اسم الباب ورقم الجزء ورقم الصفحة ورقم الحديث ثم يذكر الحُكم عليه. كما تم التعريف بالأماكن، وتوضيح المفردات الغريبة في هامش الصفحة.

استبانة رأي خبراء:

كانت هذه الاستبانة من الإجراءات التي قام الباحث أثناء مراحل كتابته للدّراسة، فقد أجرى استطلاعاً لآراء مجموعة من الخبراء والتربويين بلغ عددهم أربعة عشر، تم ذلك من خلال «استبانة رأي» أُعدّت وضُمِّنت قائمة بالمبادئ التربوية التي استنبطتها الدراسة مع أدلتها، وقد أراد الباحث من الاستبانة تحكيم هذه المبادئ وتحقيق غرضين: الأول: التأكد من سلامة صياغة المبادئ التربوية. والثاني: التأكد من انتماء المبادئ التربوي لآيات الأرض المباركة، ومناسبة الأدلة لكل مبدأ.

---

(1) حسن شحاتة وزينب النجار. **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، مراجعة حامد عمار، ط1، 2003م، ص299.

وفي ضوء نتائج الاستبانة؛ فقد اجتمع للباحث ملاحظات واقتراحات قيمة، أفاد منها لتصحيح ما قام به من إجراءات لاستنباط للمبادئ التربوية من أدلتها وصياغتها اللغوية.

وفيما يلي أسماء السادة الخبراء والتربويين الذين أجابوا مشكورين على أسئلة الاستبانة فأثروا الرسالة بملاحظاتهم القيمة فجزاهم الله خيراً:

د. أحمد السعدي، أ.د. عدنان الخطاطبة، أ.د. عماد الشريفين، د. خالد ناصيف، د. عارف جمعة، أ.د. أحمد الدغشي، د. عبد الله العدوي، د. تيسير برمو، د. أسامة مشعل، أ. محمود الصالحي، د. أماني البيشاوي، د. عمر حميدة، أ. محسن الدّيك، أ. محمود مسك.

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسة سابقة تقوم باستنباط المضامين التربوية من الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة، لكن ثمة دراسات عديدة اشتغلت باستنباط المضامين التربوية من آياتٍ وسورٍ قرآنية وقد أفاد الباحث من مناهج البحث المستخدمة فيها.

ويجدر التنويه إلى دراسة - قريبة في مجالها - وكانت بعنوان: بيت المقدس في الكتاب والسنة[1]، وقد هدفت إلى جمع آيات القرآن الكريم وما صحّ من الأحاديث النبوية التي تناولت موضوع بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، فبيّنت دلالات النصوص، ثم وضحت مكانة بيت المقدس على مرّ التاريخ، وأهمية توعية المسلمين بدورهم في حمايتها. وقد اتبعت الدراسة منهجاً تحليلياً تاريخياً، وكان من نتائجها التأكيد على إسلامية أرض بيت المقدس وارتباطها بعقيدة المسلمين، وأن عليها سيكون الحسم بين الحق والباطل، وأن أهلها في رباط إلى يوم الدين. وقدّمت الدراسة في مجملها حقائق عن الأرض المقدسة من حيث فضلها وتاريخها وحاضرها ومستقبلها.

---

(1) عبدالله، محمد عبدالله. **بيت المقدس في الكتاب والسنة**، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م.

مصطلحات الدراسة

المضامين التربوية:

المضامين لغة: جَمْعُ مَضْمُون، وهو ما اشتمل عليه الشيء واحتواه، تقول: «ضَمَّنَ الشَّيءَ الشَّيءَ: إِذا أَوْدَعَه إِيَّاه كَمَا تُودِعُ الوِعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ. وكلُّ مَا جَعَلْتَهُ فِي وِعاءٍ فقد ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ. تقول فَهِمْتُ ما تَضَمَّنَهُ كِتابُك، أَيْ: مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ وَكانَ في ضِمْنِهِ. وَأَنْفَذْتُهُ ضِمْنَ كِتابِي، أَيْ: في طَيِّهِ»[1].

«والمَضامِين: مَا فِي بُطُونِ الْحَوَامِلِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ كأَنهن تضَمَّنَّه، والضَّامِنَةُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ: مَا تَضَمَّنَ وسَطَه»[2].

وتُعرّف المضامين التربوية عند الباحثين اصطلاحًا بأنها: «خلاصة الفكر التربوي الذي يشتمل عليه كتاب معين بغضّ النظر عن المجال الرئيسي الذي ألف فيه الكتاب، فقد يكون مرجعاً فقهياً أو أدبياً أو تاريخياً بالدرجة الأولى؛ إلا أنه لا يخلو من فكر تربوي متضمَّن في ثناياه ويمكن استخراجه، والإفادة منه»[3].

وتُعرّف هذه الدراسة المضامين التربوية إجرائياً، بإنها:

المبادئ التربوية في المجالات الإيمانية والأخلاقية والتعليمية والدعوية والجهادية، التي اشتملت عليها آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم والتي يمكن استنباطها، سواء أكان ذلك من منطوق الآيات أو معانيها.

---

(1) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج35، ص334.

(2) ابن منظور، محمد بن مكرم (ت:711هـ). **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، ج13، ص258.

(3) أبو شوشة، محمد ناجح. **التراث التربوي في المذهب الشافعي**، مصر، دار الإيمان، ط1، 2009م، ص19.

وفيما يلي تعريفات إجرائية لأبرز المصطلحات المستخدمة في هذه الدراسة على النحو الآتي:

*** المحددات التربوية:**

هي المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الأرض المباركة.

*** المبادئ التربوية:**

هي المرتكزات الإيمانية والقواعد الخُلُقية والقيم التربوية والطرائق الدعوية التي يعتمد عليها في تربية الجيل وتوجيه سلوكه.

*** الأرض المباركة:**

هي أرض مدينة القدس في فلسطين وما حولها من بلاد الشام الكبرى وسيناء.

*** آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم:**

هي آيات القرآن العظيم التي تضمنت قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام والناس، التي حدثت في الأرض المباركة، أو ارتبطت بها.

*** التطبيقات التربوية:**

جمع تطبيق وهو، الإجراء والممارسة المؤدية إلى استيعاب المبدأ التربوي والإيمان به وتمثّله في واقع حياة المسلم اليومية - حيثما كان- تجاه الأرض المباركة.



الفصل الأول: الإطار النظري

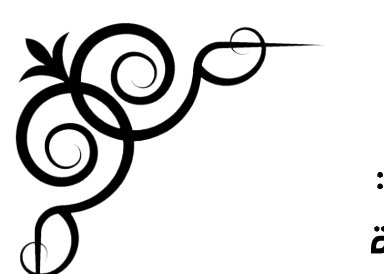
المبحث الأول: مفهوم البركة

المبحث الثاني: مفهوم الأرض المباركة

المبحث الثالث: الأرض المباركة في القرآن الكريم

المبحث الرابع: الأرض المباركة في الأحاديث النبوية

المبحث الخامس: الأرض المباركة في السيرة النبوية والتاريخ




المبحث الأول:
مفهوم البركة

الْبَرَكَة لغة:

الْبَرَكَة تدل على معنيين: الأول ثبوت الخير، والثاني: النماء والزيادة. والتبريك: يكون بالدعاء بها. ويقول أهل اللغة أن «أصل البَرَكَة: الثُّبُوت، من قولك: (بَرَكَ بَرْكًا، وبُرُوكًا): إذا ثبت على حاله. فالبَرَكَة: ثُبُوت الخير؛ بِنُمُوِّهِ وتَزَيُّدِه. ومنه: (البِرْكة)، شِبْهُ الحوض؛ لثبوت الماء فيها. و(تبارك الله)، لثبوته، لم يزل ولا يزال[1]. وفي القاموس المحيط: البَرَكة هي: «النَّماءُ والزيادةُ، والسَّعادَةُ. وتَبَارَكَ اللهُ: تَقَدَّسَ وتَنَزَّهَ»[2].

ورود البركة في آيات القرآن الكريم:

بعد تتبع الجذر اللغوي لـ « ب ر ك » في القرآن الكريم، لاستقصاء أي اسمٍ أو فعلٍ مشتق منها، كانت النتائج على النحو الآتي:

أولاً: كانت التصريفات من الجذر اللغوي (بَرَكَ) في القرآن الكريم على النحو الآتي: المباركة، مباركة، مبارك، مباركاً: (12) مرة. بارك، باركنا:(7) مرات. بركات، بركاته: (3) مرات. تبارك، فتبارك: (9) مرات. بورك: مرة واحدة.

ثانياً: وردت مفردة (بَرَكَ) بتصريفاتها في القرآن الكريم في (32) آية، في (22) سورة[3]، اثنتين منها مدنية وهما سورتي آل عمران والنور.

---

(1) الواحدي، علي بن أحمد (ت: 468هـ). **التفسير البسيط**، أصل تحقيقه (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط1، 1430هـ، ج5، ص441.

(2) الفيروزآبادى: محمد بن يعقوب (ت: 817هـ). **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 2005م، ج1، ص932.

(3) عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م، ص118.

ثالثاً: كان سياق ورود مفردة (البركة) في الآيات القرآنية كما في جدول رقم [1] الآتي:

الثناء على الله تعالى وتمجيده	وصف القرآن الكريم	مع نوح عليه السلام	البركة على إبراهيم عليه السلام	بركة عيسى عليه السلام	بركة في الأرض والمكان	بركة في الزمان	بركة في التحية والسلام	بركة في ماء المطر	بركة في شجرة الزيتون	بركة في خيرات السماء والأرض
9 مرات	4 مرات	مرتين	مرتين	مرة واحدة	9 مرات	مرة واحدة	مرة واحدة	مرة واحدة	مرة واحدة	مرة واحدة

ومن خلال قراءة الجدول السابق، يمكن ملاحظة ما يلي:

- أن الله سبحانه وتعالى وصف نفسه واسمه بالبركة في (9) آيات قرآنية، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر:64]. وقوله سبحانه: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: 87].
- وُصِف القرآن الكريم بأنه كتاب مبارك في (4) آيات، كما في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾[سورة ص:29].
- حلّت البركة مع الرسل والأنبياء عليهم السلام في (5) آيات، نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:31].
- صرّحت آيات أخرى بحلول البركة في عموم الأرض، وفي نواح منها في (9) آيات. نحو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت:10].
- بوركت ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:3]. وجعلت تحية الإسلام مباركة طيبة، قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:61]. وبورك الغيث النازل من السماء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: 9]. كما بوركت شجرة الزيتون، قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ [النور: 53].

ورود البركة في الأحاديث النبوية:

1. ورد في الأحاديث النبوية ما دلالته أن البركة فضل من الله وعطاء منه سبحانه، وأنها تحلّ مع ذكره سبحانه وتعالى ومع آيات القرآن العظيم، ومع دعاء الأنبياء عليهم السلام والصالحين؛ فذكرت الأحاديث أن النبي ﷺ كان يمسح على رأس الصبي ويحنّك المولود بتمرة ويدعو له بالبركة، ويدعو بالبركة للمريض رجاء الشفاء، ويدعو للأزواج أن يبارك لهما رجاء الذرية الطيبة، ويدعو للصديق إذا زاره بالبركة في ماله وأهله، وكان يدعو أن يبارك الله ﷻ في الطعام.
2. أكد النبي ﷺ بركة مكة المكرمة، ودعا للمدينة المنورة بأن يصيبها ضعفي ما أصاب مكة من البركة فدعا أن تحلّ البركة في صاعها ومُدها، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفَيْ مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ البَرَكَةِ»[1]. وكرّر ﷺ الدعاء أن يبارك الله في الشام واليمن، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا وَفِي يَمَنِنَا» قَالَ: قَالُوا: وَفِي نَجْدِنَا؟ قَالَ: قَالَ: «هُنَاكَ الزَّلاَزِلُ وَالفِتَنُ، وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»[2].
3. أخبر النبي ﷺ أن البركة في نواصي الخيل، فقال ﷺ: «البَرَكَةُ فِي نَوَاصِي الخَيْلِ»[3].
4. عنون البخاري باباً في صحيحه «باب بركة النخل»، وذكر فيه حديث النبي ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً، تَكُونُ مِثْلَ المُسْلِمِ، وَهِيَ النَّخْلَةُ»[4].
5. أخبر النبي ﷺ أن الأخذ بسورة البقرة بركة، فقال: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ»[5].
6. أكّد النبي ﷺ أن في طعام السحور بركة، فقال: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً».[6]

---

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ). **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، باب المدينة تنفي الخبث، ج3، ص23، 1885.

(2) المرجع السابق، باب ما قيل في الزلازل، ج2، ص33، ح1037. والحديث في صورة الموقوف، وله حكم المرفوع.

(3) المرجع السابق، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، ج4، ص28، ح2851.

(4) المرجع السابق، باب بركة النخل، ج7، ص80، ح5448.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل قرأءة القرآن الكريم وسورة البقرة، ج1، ص553، ح804. الْبَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.

(6) المرجع السابق، باب بركة السحور من غير إيجاب، ج3، ص29، ح1923.

7. يبارك في البيع إذا صدق المتبايعان وبيّنا، كما بين ذلك النبي ﷺ فقال: «البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»[1]. وأكد النبي ﷺ أن الحلف في البيع ممحقة للبركة، فقال: «الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ»[2].
8. تكون البركة في عُمُرِ واصلِ الرحم وفي رزقه، كما قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3].
9. لاحظ الصحابة رضي الله عنهم وسلف الأمة أن البركة والزيادة تكون في مال الغازي والمجاهد وفي أهله حياً وبعد موته، كما بوّب ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه : باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً [4].
10. كان النبي ﷺ يلعق أصابعه عند الأكل ويوصي أصحابه أن يسلتوا القصعة تحرياً للبركة التي تكون في آخر الطعام، وأمرهم بالأكل من أطراف الطعام ونهاهم عن الأكل من وسطه أو من أعلاه تحرّياً للبركة التي تنزل في وسطه ومن فوقه، فقال ﷺ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ»[5].

مما سبق في هذا المبحث يتبين أن البركة ثابتة في القرآن والسُنّة، وأنها فضل من الله سبحانه وتعالى ونعمة؛ يزيد فيها الخير لعباده ويثبته لهم، وأن على المسلم أن يدعو الله سبحانه وتعالى سائلاً البركة، لنفسه ولغيره من أهله وإخوانه وجيرانه ووطنه؛ فالدعاء بالبركة دعاء طيب تطمئن النفوس عند سماعه. كما أن على المسلم أن يتحرى البركة مظانّها ويتعرض لها رجاء الاستزادة من الخير والثواب.

---

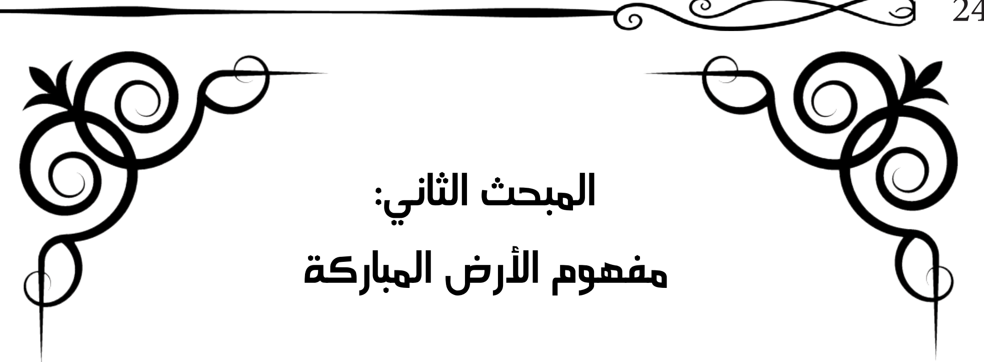
(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، ج3، ص85، ح 2079.

(2) المرجع السابق، باب: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: 276]، ج3، ص60، ح 2087.

(3) المرجع السابق، باب من أحب البسط في الرزق، ج3، ص56، ح 2067.

(4) انظر: المرجع السابق، باب بركة الغازي في ماله حياً وميتاً، ج4، ص87.

(5) الترمذي: **صحيح الترمذي**، باب ما جاء في كراهية الأكل من وسط الطعام،ج4،ص62، ح5081. وقال حديث حسن صحيح.



المبحث الثاني:
مفهوم الأرض المباركة

ثمة جملة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى عناية خاصة ببيت المقدس وما حولها من بلاد الشام وسيناء، مع العلم أن مصطلح «الأرض المباركة» لم يرد في القرآن الكريم بصيغة اسمية، وما وَرَدَ كان بصيغة الفعل الماضي: «باركنا فيها»، و«باركنا حوله»، ووَرَدَت عبارة «البقعة المباركة» مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [القصص:30].

وعليه فالأرض المباركة التي هي موضوع هذه الدراسة هي بلاد الشام الكبرى، الأرض المباركة المعهودة التي وردت في شأنها آيات وأحاديث عديدة.

ولعل الكثير لا يُمَيّزُ بين مصطلح الأرض المباركة ومصطلح الأرض المقدّسة، لعدم وجود نصّ صريح في الأمر، لكنَّ أهل العلم يتفقون على أن كلا الأرْضَين في المنطقة بين الفرات والنيل، وذهب بعض الباحثين إلى القول بأن: الأرض المقدَسة أضيق مساحة من الأرض المباركة، وأنها جزء من الأرض المباركة، وقالوا إن كل أرض مقدّسة مباركة، وليس كل أرض مباركة مقدّسة. ومن ذلك ما قاله الأشقر: «إن البركة أعم والقداسة أخصّ»[1]، ثم يورد الأشقر ما نقله ابن عساكر عن أبي عبد الملك الجزري قوله: «الشام مباركة وفلسطين مقدّسة وبيت المقدس قُدسُ القُدُس»[2]. وكان د. بسام جرار أكثر تحديداً، فقال: «الأرض المباركة حدودها

---

(1) الأشقر، أسامة جمعة. **البركة مقوماتها ومنازلها بين مكة وبيت المقدس**، ط1، الأردن، مؤسسة الفرسان، 2015م، ص209.

(2) ابن عساكر (ت: 571هـ)، علي بن الحسن. **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، 1995م، ج1، ص145.

من النيل إلى الفرات، أما الأرض المقدسة فهي من البحر إلى النهر»[1]، والبحر الذي يقصده هو البحر الأبيض المتوسط والنهر هو نهر الأردن. ويذهب الباحث في هذه الدراسة إلى تأييد من قال إن الأرض المقدسة أصغر مساحة من الأرض المباركة وأنها جزء منها، دون إمكانية تحديدها على وجه الدقة، ويستدل على ذلك بموقفين لموسى ﷺ، الأول ورد في القرآن الكريم، والآخر ورد في صحيح البخاري، على التفصيل الآتي:

الموقف الأول: في معرض سرد آيات القرآن الكريم لقصة موسى ﷺ بعد خروجه مع قومه -بني إسرائيل- من مصر، وما تلا ذلك من التوجّه والسير نحو الأرض المقدسة والوقوف على تخومها، حينها أَمَرَ موسى ﷺ قومَه بدخول الأرض المقدسة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:21]؛ فمفهوم الآية يدل أن القوم كانوا خارج الأرض المقدسة وقرب حدودها، حين أمروا بدخولها. وتبين الآيات التالية أن بني إسرائيل رفضوا دخلولها؛ فحُرّمت عليهم، وكُتِبَ عليهم التيه في الأرض أربعين سنة؛ وعليه فيمكن تصور أن الأرض المباركة التي كانوا فيها غير الأرض المقدسة التي أمروا بدخولها.

والموقف الثاني: أن موسى ﷺ لمّا حان أَجَلُهُ، وكان في التيه مع قومه، سأل الله ﷻ أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فهو لم يكن بها حينئذ، كما يظهر من الحديث الذي أخرجه البخاري، قال رسول الله ﷺ: «أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى ﷺ فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَة: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[2]. والمفهوم

---

(1) جرار: بسام نهاد. **الأرض المقدسة**، محاضرة صوتية، تاريخ الرفع على شبكة النت:2018/8/31م
https://www.youtube.com/watch?v=S252oIXHfOo

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب وفاة موسى وذكره، ج4، ص157، ح3407. (صَكَّهُ) لطمه على وجهه. (مَتْنِ) ظهر. (يُدْنِيَهُ) يقرّبه. (رمية بحجر) أي بحيث لو رمى رام حجرا من الموضع لوصل إلى الأرض المقدسة.

من الحديث أن موسى عليه السلام في هذا الموقف لم يدخل الأرض المقدسة كحال قومه، وكذا لم يدفن فيها؛ بل دفن بقربها كما دعا الله تعالى وسأل.

الحدود الجغرافية لبلاد الشام الكبرى

وفي بيان حدود بلاد الشام الكبرى التي كانت معروفة عند السلف، يقول الكرماني (ت:786هـ) أن «الشأم مهموز كرأس، ويخفف كراس، وفيه لغة ثالثة شآم، وحَدّ الشامِ من العريش إلى الفرات، ومن أيلة إلى بحر الروم»[1]. وبحر الروم هو البحر الأبيض المتوسط، وأيلة حالياً هي مدينة العقبة جنوب الأردن. كما بَيّن السفاريني (ت: 1188هـ) حدود الشام، فقال: «وحَدُّ الشام من الغرب: البحرُ المالح، وعلى ساحله مدائنُ عِدَّة، وحدُّه من الجنوب: رملُ مصرَ والعريش، ثم تِيهُ بني إسرائيل، وطورُ سيناء، ثم تبوك، فدومة الجندل، وحدُّه من الشرق: بعد دومة الجندل برية السماوة - وهي كبيرة ممتدة إلى العراق ينزلها عرب الشام - وحدُّه من الشمال مما يلي الشرق: الفرات»[2]. وقال ابن عاشور: «أرض الشام، وهي الأرض المقدسة، وهي تبتدئ من السواحل الشرقية الشمالية للبحر الأحمر، وتنتهي إلى سواحل بحر الروم وهو البحر المتوسط وإلى حدود العراق وحدود بلاد العرب وحدود بلاد الترك»[3].

ويدخل في حدود بلاد الشام التي بيّنها كل من الكرماني والسفاريني وابن عاشور - حسب الخرائط الحديثة: الأجزاء الشمالية من السعودية، والغربية من العراق، والجنوبية الشرقية من تركيا، إضافة إلى سوريا ولبنان والأردن وفلسطين وسيناء مصر. انظر خارطة رقم [1].

وبناء على ما سبق فإن هذه الدراسة ستُعَرّفُ الأرض المباركة إجرائياً بأنها:

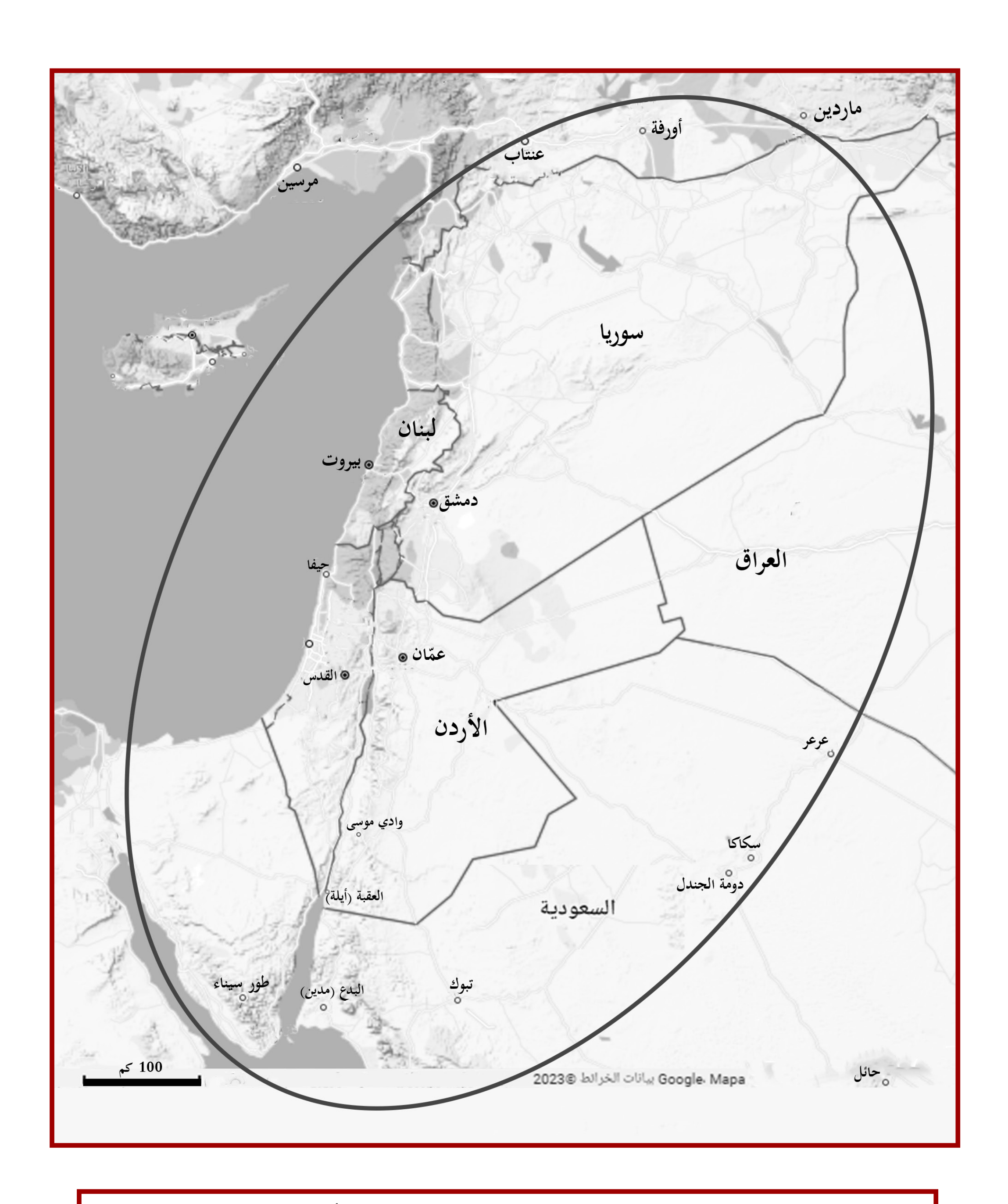
أرض مدينة القدس في فلسطين وما حولها من بلاد الشام الكبرى وسيناء.

---

(1) الكرماني، محمد بن يوسف (ت: 786هـ). **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1401هـ- 1981م، باب كيف كان بدء الوحي، ج1، ص54.

(2) السفاريني، محمد بن أحمد (ت: 1188هـ). **كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**، تحقيق وتخريج: نور الدين طالب، الكويت، وزارة الأوقاف، سوريا، دار النوادر، ط1، 1428هـ- 2007، ج2، ص218.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر(ت: 1393هـ). **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984هـ، ج9، ص77.



خارطة رقم [١] الحدود التقريبية لبلاد الشام = الأرض المباركة

مفهوم البركة في الأرض المباركة

البَركة في هذه الأرض المباركة، قد تكون دنيوية حسيّة: في مائها ونباتها وخيراتها، وفيما حباها الله تعالى من موقع جغرافي فريد.

كما يمكن أن تكون بركتها معنوية دينية، كما قال ابن تيمية: و«البركة تتناول البركة في الدين والبركة في الدنيا، وكلاهما معلوم لا ريب فيه»[1].

إلا أن بركتها الدينية أظهر، فليست أي أرض مثلها، فقد تتابعت فيها رسالات الأنبياء ووحي السماء، ووُلِد فيها كثيرٌ من الرسل الكرام، وإليها كانت مهاجرُهم وفيها مدافنُهم، وكانت هذه الأرض بوابة السماء؛ فرفع منها عيسى ﷺ إلى السماء، وعُرج بمحمد ﷺ منها في رحلة المعراج، والملائكة باسطة أجنحتها عليها، كما بيّن ذلك النبي ﷺ فقال: «طُوبَى لِلشَّامِ، فَقُلْنَا: لأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: لأَنَّ مَلائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا»[2].

ومن بركتها الدينية ارتباطها بحالة الصراع بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، فهي كانت وما زالت مكاناً لدحر الشرك وتطهير الأرض من الظلم والفساد؛ حصل ذلك مع الغزاة الصليبين، ومع التتار المغول، ومع حملة نابليون، وينتظر الناس في عصرنا موعودهم بدحر الصهاينة منها، وحتى فتنة المسيح الدجال وفتنة يأجوج ومأجوج، فستنتهي على ظهرها كما ورد ذلك في السنّة النّبوية.

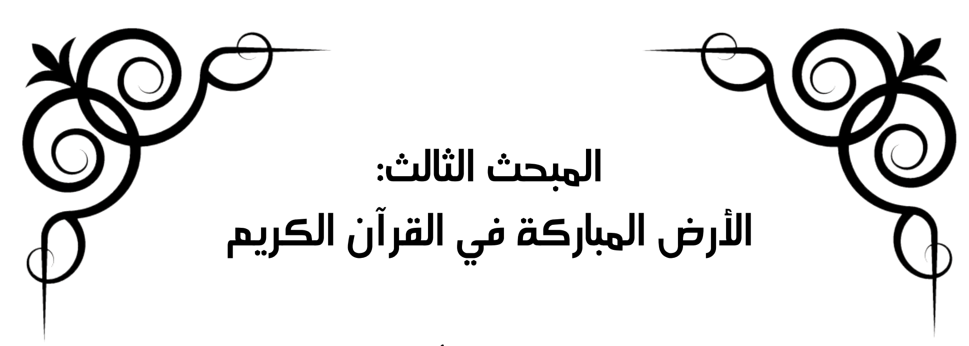
ولأن الأرض لا تُقدس أحداً، وإنما يُقدّس المرءَ عملُهُ[3]، فإنه يقع على القاطنين في هذه الأرض المباركة والمسلمين حولها مسؤولية إضافية بسبب بركتها؛ تدفعهم لتقديسها وتلزمهم بحمايتها والدفاع عنها وتطهيرها من أي فساد أو ظلم يلحق بها.

---

(1) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ). **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط3 1416هـ-2005م، ج27، ص44.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب فضل الشام واليمن، ج5، ص734، ح3954. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج8، ص454، ح3954.

(3) الأصبحي: **الموطأ**، باب جامع القضاء وكراهيته، ج4، ص1117، ح2842.



المبحث الثالث:
الأرض المباركة في القرآن الكريم

كما ظهر في الجدول رقم [1] في المبحث الأول فإن الآيات القرآنية التي صرّحت بحلول البركة في المكان (9) آيات كريمات، وكانت على ضربين: عام وخاص، أما العام: فكان حين ذكر القرآن الكريم أن البركة في عموم الأرض، وقد ورد ذلك في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ [فُصِّلَت:10]. وأما الخاص فكان حين ذكر القرآن الكريم حلول البركة في أماكن معينة من الأرض، وهي بالتفصيل الآتي:

1. البركة في المسجد الحرام في مكة المكرمة، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:96].

2. البركة في المسجد الأقصى وما حوله، بدليل قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء:1].

3. البركة في الوادي الأيمن، في البقعة المباركة، التي حصل فيها نداء الله ﷻ لموسى عليه السلام حين كان في طريقه عائداً من مدين[1] إلى مصر، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص:30]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل:8]. قال أبو السعود في تفسيره: «والظَّاهرُ عمومُه لكلِّ مَن في ذلك الوادِي وحواليه من أرض الشَّامِ الموسومةِ بالبركات لكونها مبعثَ الأنبياءِ عليهم السلام وكفاتهم أحياءً وأمواتاً، ولا سيّما تلك البقعةُ التي كلَّم الله ﷻ فيها مُوسى» [2].

(1) مدين: منطقة في شمال غرب السعودية، مركزها حالياً بلدة «البدع»، بين تبوك وساحل البحر الأحمر، على مسافة 132 كم غرب تبوك وشرق رأس الشيخ حميد- على البحر- بمسافة 70 كم.

(2) أبو السعود، محمد بن محمد (ت: 982هـ). **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت، ج6، ص274.

4. البركة في الشام، كما قال ابن تيمية ﷺ: «وقد دلّ القرآن العظيم على بركة الشام في خمس آيات»[1]. وفيما يلي الآيات الخمس التي أشار إليها ابن تيمية مع أقوال أهل التفسير فيها:

أ. قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:137]، رجّح الطبري أنها أرض الشام[2]، ونقل ذلك عن الحسن وقتادة، ووافقه الرازي في تفسيره[3] وقال ابن عاشور: أن الأرض في الآية هي أرض الشام[4].

ب. قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:1]، وفيها تصريحٌ بالبَركة في المسجد الأقصى وما حوله.

ج. قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:71]، قال ابن عاشور: "هاجرا إلى أرض فلسطين"[5]. وقال الطبري: "لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم عليه السلام من العراق كانت إلى الشام، وبها كان مقامه أيام حياته، وإن كان قد قدم مكة وبنى بها البيت وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر، غير أنه لم يقم بها، ولم يتخذها وطناً لنفسه، ولا لوط عليه السلام، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين"[6].

د. قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء:81]، يقول الطبري: «تجري الريح بأمر سليمان إلى الأرض التي باركنا فيها، يعني: إلى الشام، وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان عليه السلام، ثم تعود به إلى منزله بالشام[7].

---

(1) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج27، ص44.

(2) الطبري، محمد بن جرير(ت: 310هـ). **جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م، ج13، ص76.

(3) الرازي، محمد بن عمر (ت:606هـ). **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، بيروت**، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ، ج14، 348.

(4) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج9، ص77.

(5) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج17، ص108.

(6) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج18، ص468-470.

(7) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج18، ص481.

هـ. قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: 18]، وهذه الآية تربط بين مملكة سبأ وبين القرى التي بارك الله فيها؛ ويقول المفسرون إنها قرى بلاد الشام، وقد نقل ذلك الطبري عن قتادة ومجاهد والحسن، فقال: «اللهُ تعالى أخبرَ عن نعمته على هؤلاء القوم، وكيف جعل بين بلدهم، وبين القرى التي باركنا فيها- وهي الشأم- قرى ظاهرة»[1].



الأرض المقدسة في القرآن الكريم

التقديس في اللغة هو التطهير، وتقدَس تطَهر[2]. والقُدُسُ أو القُدْس هو الطُهر[3]. والأرض المُقَدّسة: هي الأرض المُطَهّرة[4]. وهي الأرض التي دعا موسى عليه السلام قومه لدخولها حين كتب الله عليهم دخولها، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة:21].

وبعد تتبع ورود كلمة «قَدُسَ» لاستقصاء أي اسمٍ أو فعلٍ مشتق منها في آيات القرآن الكريم كانت النتائج كما في الجدول رقم [2] الآتي :

---

(1) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج20، ص386.

(2) الفيروزآبادي: **القاموس المحيط**، ج1، ص565.

(3) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج16، ص565.

(4) ابن منظور: **لسان العرب**، ج6، ص168-169.

جدول رقم [2] كلمة « قدس» وتصريفاتها في القرآن الكريم:

فئات التحليل / المفاهيم الفرعية	مجموع التكرار	السورة	رقم الآية	المكي والمدني	لفظ الورود
تسبيح الملائكة	1	البقرة	30	مدنية	نُقَدِّسُ
اسم الله القدوس	2	الحشر	23	مدنية	الْقُدُّوسُ
		الجمعة	1	مدنية	الْقُدُّوسِ
روح القدس	4	البقرة	87	مدنية	رُوحِ الْقُدُسِ
		البقرة	253	مدنية	
		المائدة	110	مكية	
		النحل	102	مكية	
أماكن مقدسة	3	المائدة	21	مدنية	الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ
		طه	12	مكية	الْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى
		النازعات	16	مكية	الْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

ومن خلال قراءة محتوى الجدول السابق، يمكن ملاحظة ما يأتي:

أ - ورود كلمة (قدس)[1] وتصريفاتها اللغوية (10) مرات، في (10) آيات، في (7) سور: (3) مرات في سورة البقرة، ومرتين في سورة المائدة، ومرة واحدة في كلٍ من النحل وطه والحشر والجمعة والنازعات.

ب - وُصفت الأرض بالمقدسة في (3) آيات في (3) سور وهي: المائدة وطه والنازعات.

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م، ص538.

ج - ورد مصطلح «الأرض المقدسة» مرة واحدة في القرآن الكريم، في سياق قصة موسى عليه السلام حين دعا قومه لدخلوها، قال تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ﴾ [المائدة:21].

د - وقد صرّحت الآيات القرآنية أن منطقتين - مكانين- خَصّهما الله تعالى بالتقديس، وكلاهما في الأرض المباركة، كما في التفصيل التالي:

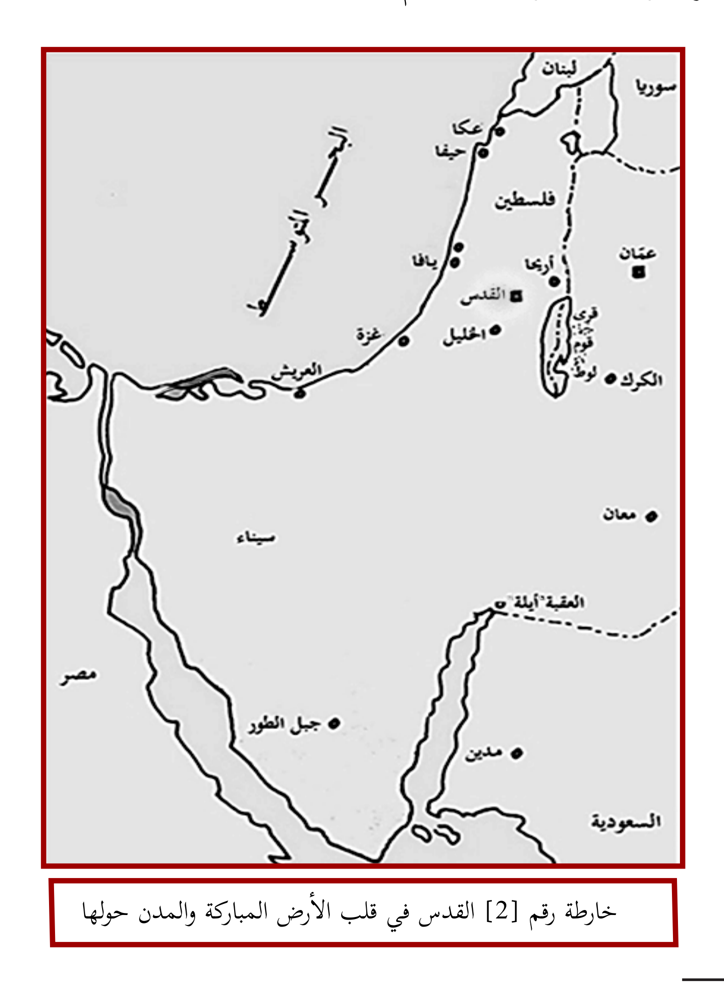
- المكان الأول: الأرض المقدَّسة، وجاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:21]. وقد نقل الطبري خلاف أهل التأويل في تحديد «الأرض المقدسة». فَنقل عن ابن عباس، ومجاهد أنها: الطور وما حوله، وعن قتادة أنها: الشأم، وعن ابن زيد والسُّدي وابن عباس أنها: أرض أريحا في فلسطين، وقال آخرون هي: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وانتهى الطبري إلى أن: «أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى عليه السلام، لأن القول في ذلك بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر، لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك»[1].

- المكان الثاني: الوادي المقدس طُوى، وقد ورد أنه مُقَدَّسٌ في آيتين في سورتي طه والنازعات، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه:12]، وقال تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [النازعات:16]، وقد وردت الآيتان في معرض تكليم الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام وتكليفه بالرسالة، وكان ذلك حين سار بأهله راجعاً من مدين إلى مصر. ويمكن تصور مكان الوادي المقدس -طُوى- في طريق الخارج من مدين إلى مصر براً، كما بيّن الصابوني، فقال: "الوادي المطهَّر المبارك المسمَّى ﴿طُوى﴾

---

(1) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج10، ص168.

في أسفل جبل طور سيناء"[1]. وقال الخازن: "طُوى: هو اسم واد بالشام عند الطور"[2]. وقال المراغي: «الوادي المقدس: هو واد بأسفل جبل طور سينا من برّية الشام. وطوى: واد بين أيلة[3] ومصر»[4]. انظر خارطة رقم [2] التالية:-



خارطة رقم [2] القدس في قلب الأرض المباركة والمدن حولها

---

(1) الصابوني، محمد علي (ت:1436هـ). **صفوة التفاسير**، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ- 1997م، ج3، ص489.

(2) الخازن، علي بن محمد (ت:741هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، ج4، ص292.

(3) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام، وهي حاليا مدينة العقبة الأردنية.

(4) المراغي، أحمد مصطفى (ت: 1371هـ). **تفسير المراغي**، مصر، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م، ج30، ص26.

المبحث الرابع:
الأرض المباركة في الأحاديث النبوية

أولت الأحاديث النبوية الشريفة عناية كبيرة بالشام ومسجدها الأقصى المبارك، وقد جمعت كتب تلك الأحاديث[1]؛ حتى قال وهب بن منبه: «إني لأجد ترداد الشام في الكتب حتى كأنه ليس لله تعالى حاجة إلا بالشام»[2]، فالبَركة فيها ثابتة، والخير منها يعمّ العالمين، كما قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:71].

وتدفع هذه النصوص المسلم لتحري هذه البركة في هذه الأرض عساه ينال نصيباً منها، فيسعى للصلاة فيها، وشَدّ الرِّحال إليها، والمرابطة والجهاد على أرضها. ويمكن تصنيف الأحاديث في شأنها وفضلها على النحو الآتي:

أولاً: أحاديث تؤكد فضل بلاد الشام وبيت المقدس؛ كونها القبلة الأولى، ومسرى الرسول ﷺ، وأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها، وأنها أرض المحشر والمنشر: كحديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المَسْجِدُ الأَقْصَى «قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ، ثم قال: حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ»[3]. وقوله ﷺ: «الشّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ»[4]. وحديث البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: «صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ

(1) وقف الباحث على ثلاث كتب منها: فتوح الشام للواقدي (ت: 207هـ). فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن الربعي (ت: 444هـ) وقد قام الألباني رحمه الله بتخريج أحاديثه. وفضائل الشام للسمعاني (ت: 562هـ).

(2) ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، ج1، ص123. (وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه، من أبناء التابعين، ثقة، روى عن ابن عباس، ولد زمن عثمان سنة 34هـ، مات 114هـ، يماني، صنعاني، اشتهر بعلمه وصلاحه).

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان، ج4، ص162، ح3425.

(4) الألباني: محمد ناصر (ت: 1420هـ). **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي** (ت: 444 هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 الجديدة، 1420هـ-2000م، ص14. وقال الألباني: صحيح بمجموع شواهده وطرقه.

شَهْرًا، ثُمَّ صَرَفَهُ نَحْوَ القِبْلَةِ»[1]. وحديث أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ... فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قال: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ... ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ»[2].

وكذلك حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: «فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَام»[3].

ثانياً: أحاديث حَثّت على شَدّ الرّحال للصلاة في المسجد الأقصى كحديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[4]. وحديث عبد الله بن عَمْرٍو ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا: حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكاً لَا يَنْبَغِي لَأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ. «فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ»[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ولكل وجهة هو موليها، ج6، ص22، ح4492.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الإسراء برسول الله ﷺ، ج1، ص145، ح162.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال، ج1، ص156، ح172. (رَجُلٌ ضَرْبٌ): نحيف، خفيف اللحم. والْجَعْدُ مِنَ الشَّعْرِ: خلاف السَّبطِ، وقيل هو القصير.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل الصلاة في مكة والمدينة، ج2، ص60، ح1189.

(5) ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: 273هـ). **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د. ط، د. ت، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، ج1، ص452. وصحّحه الألباني، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، الاسكندرية، مركز نور الإسلام، ج3، ص408 .

ثالثاً: أحاديث رَغَّبَت في سكنى الأرض المباركة، والدفن فيها؛ وبوّب البخاري في ذلك فقال: بَابُ مَنْ أَحَبَّ الدَّفْنَ فِي الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ أَوْ نَحْوِهَا؛ وذكر حديث أبي هريرة ﷺ، قال رسول الله ﷺ: « أُرْسِلَ مَلَكُ المَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعَرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ المَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[1].

رابعاً: أحاديث بيّنت عناية الله ﷻ بالشام وأهلها؛ وفي ذلك تثبيتٌ، وتصبيرٌ لهم في جهادهم ورباطهم، كما في حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما: وهما يستشيرانه في المنزل فَأَوْمَأَ إلى الشام ثم سألاه، فَأَوْمَأَ إلى الشام، ثم سألاه فَأَوْمَأَ إلى الشام قال: «عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا صَفْوَةُ بِلَادِ اللهِ يَسْكُنُهَا خِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللهَ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[2].

خامساً: وردت أحاديث تبيّن أن عمود الكتاب نقل إلى الشام، وأن الشام ملاذ الناس، وأن الإيمان فيها إذا وقعت الفتن، كما في حديث أبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ عَمُودَ الْكِتَابِ احْتُمِلَ مِنْ تَحْتِ رَأْسِي، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ مَذْهُوبٌ بِهِ، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي، فَعُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ حِينَ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ»[3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب وفاة موسى وذكره، ج4، ص157، ح3407.

(2) الطبراني: سليمان بن أحمد (ت:360هـ). **المعجم الكبير**، تحقيق: فريق من الباحثين، د. ط، ج22، ص58، ح137. وصحّحه الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، ج3، ص194.

(3) الشيباني، أحمد بن محمد (ت:241هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م، باب حيث أبي الدرداء، ج36، ص62، ح21733. وصحّحه الألباني: **صحيح الترغيب والترهيب**، ج3، ص195.

سادساً: وردت أحاديث تربط بلاد الشام بعلامات الساعة الكبرى، كنزول الخلافة في بيت المقدس، ونزول عيسى عليه السلام في دمشق، وقتل المسيح الدجال على باب مدينة اللُّد[1]، ومرور يأجوج ومأجوج ببحيرة طبريا شمال فلسطين وشربهم ماءها، وهلاكهم على أرضها، كما في حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «يَأْتِي الْمَسِيحُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، هِمَّتُهُ الْمَدِينَةُ، حَتَّى يَنْزِلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثُمَّ تَصْرِفُ الْمَلَائِكَةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشَّامِ، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ»[2].

وقال رسول الله ﷺ في وصف نزول عيسى عليه السلام في دمشق: «... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ[3]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلُهُ... فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ؛ وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ[4] فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا»[5].

وكذلك الحديث الذي رواه عبد الله بن حَوَالَة الْأَزْدِيّ رضي الله عنه، قال: وَضَعَ رسول الله ﷺ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، أَوْ قَالَ: عَلَى هَامَتِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ أَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»[6].

---

(1) اللّد مدينة في فلسطين المحتلة، فيها حالياً مطار دولة الاحتلال الصهيوني (مطار بن غوريون الدولي).

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون، ج2، ص1005، ح1380.

(3) المهرودتان، أي أنه لابسٌ ثوبين مصبوغين بورس وزعفران. وقيل هما شقتان؛ والشقة نصف الملاءة.

(4) بحيرة طبرية الواقعة في الشمال من فلسطين.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ذكر الدجال وصفته، ج4، ص2250، ح2937. (النغف) دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم، (**فَرسَى**) أي قتلى واحدهم فريس كقتيل وقتلى.

(6) أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ). **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، د. ط، د. ت، باب في الرجل يلتمس الأجر والغنيمة، ج3، ص19، ح2535، وصحّحه الألباني، **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح2535. (الْبَلَابِل: جمع بلبلة، وهي الهم والحزن والفتنة).

المبحث الخامس:
الأرض المباركة في السيرة والتاريخ

ذكرت كتب السيرة أن النبي محمد ﷺ دخل أرض بلاد الشام أربع مرات، مرتين قبل النبوة ومرتين بعدها: الأولى مع عمّه أبي طالب وحينها كان عمره اثنتي عشرة سنة وفيها التقى بالراهب بحيرا. والثانية مع ميسرة وكان عمره حينها خمساً وعشرين سنة وكان في تجارةٍ لخديجة رضي الله عنها، والثالثة -على الراجح[1]- ليلة الإسراء به ﷺ إلى بيت المقدس. والرابعة عندما خرج إلى تبوك في غزوة العسرة في السنة التاسعة للهجرة[2].

وقد وجّه النبي ﷺ رُسُلَه لنقل الدعوة الإسلامية وحمل رسائل إلى ملوك البلاد ومنهم حكام الشام، واستشهد الْحَارِث بن عُمَيْر الْأَزْدِيّ رضي الله عنه أثناء مهمةٍ كهذه فيها، وعلى إثرها حرّك النبي ﷺ قواته العسكرية صوب الشام في جيش إلى مؤتة - قرب مدينة الكرك- من أرض بلاد الشام المباركة، في أول جيش للمسلمين يتحرك خارج الجزيرة العربية. وبعدها بعام يقود بنفسه ﷺ جيش العُسرة ويسير به إلى تبوك. وقبل وفاته ﷺ؛ يعقد الراية لأسامة بن زيد رضي الله عنه للسير على خطا والده زيد بن حارثة رضي الله عنه، الذي استشهد في معركة مؤتة؛ لكن الوفاة حضرت النبي ﷺ ولمّا يخرج جيش أسامة بعد؛ فكانت أولى مهام أبي بكر الصديق - الخليفة الأول رضي الله عنه - إنفاذ بعثة أسامة رضي الله عنه إلى بلاد الشام.

ومع انتهاء المعارك مع المرتدين كانت عيون المسلمين على الشام، فَسَيّرَ أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه لها جيوشاً لفتحها، فحدثت على ظهرها معارك كبيرة، كأجنادين، وفحل، ودمشق، واليرموك، وتكلّلت جهود المسلمين بالنجاح عندما فتحوا بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة 16هـ.

---

(1) لأنه اختلف في كيفية الإسراء، فالأكثرون من طوائف المسلمين على أنه أُسري بجسد رسول الله ﷺ، والأقلون قالوا: إنه ما أسري إلا بروحه. وقد نقل هذا الاختلاف وتفاصيله: الطبري في «**تفسير الطبري**»، ج17، ص330-350.

(2) انظر: السفيري، محمد بن عمر (ت: 956هـ). **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: أحمد فتحي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ- 2004م، ج1، ص198.

ومع بداية العهد الأموي؛ انتقل مركز خلافة المسلمين وقيادة دولتهم إلى بلاد الشام في مدينة دمشق، لتستمر حركة الفتح في مسيرتها انطلاقاً من الشام تنشر الإسلام في البرّ والبحر.

وعلى مرّ قرون لاحقة ظلّت بلاد الشام والمسجد الأقصى؛ في دائرة اهتمام ورعاية المسلمين إلى أن لفظت أوروبا الصليبية خبثها وحقدها؛ فجاءت زحوفها في حملات متكررة نحو الشام وقدسها؛ مستغلة حالة الضعف والفرقة، حينها جثم الصليبيون على صدر الأمة الإسلامية ومسجدها الأقصى بضعاً وثمانين سنة. ثم جاء جيل النصر؛ حين عاد المسلمون إلى طريق ربهم وتوحدت كلمتهم، فحرّروا شامهم واستردوا أقصاهم في مشوار جهادي طويل كان آخره معركة حطين (583هـ-1087م) في فلسطين على يد القائد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. ثم جاءت من الشرق زحوف التتار والمغول؛ ومع كل ما كان وجرى من ظلمهم وفسادهم فقد كانت أرض الشام المباركة حتفهم؛ وفيها خلّص الله تعالى البشرية من شرّهم، فكانت نهايتهم الأولى على يد القائد قطز في عين جالوت[1] سنة (658هـ-1259م)، ثم قضي على فساد التتار مرة أخرى في معركة شقحب بالقرب من دمشق سنة (702هـ- 1302م).

وفي بدايات القرن العشرين وقف الخليفة العثماني عبد الحميد الثاني رحمه الله في ثبات رافضاً أي تنازل لليهود عن شبر من أرض فلسطين، وبقي الأمر على ذلك حتى هدمت الخلافة الإسلامية في عام 1924م، ومُزّقت الأمة الإسلامية، فسُهّل لليهود الصهاينة قيام كيانهم المزعوم.

وما زال أهل الأرض المباركة على حقهم ثابيتن لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي وعد الله بالنصر القريب؛ كما وصفوا في رواية مُعَاوِيَة رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُول: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» [2]. قال ابن حجر: "ووقع في حديث أبي أمامة عند أحمد أنهم ببيت المقدس.. وفي حديث عن أبي هريرة عند الطبراني في الأوسط: يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خذلهم ظاهرين إلى يوم القيامة"[3].

(1) عين جالوت: بلدة، تقع بين بيسان ونابلس في فلسطين.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، ج4، ص207، ح3641.

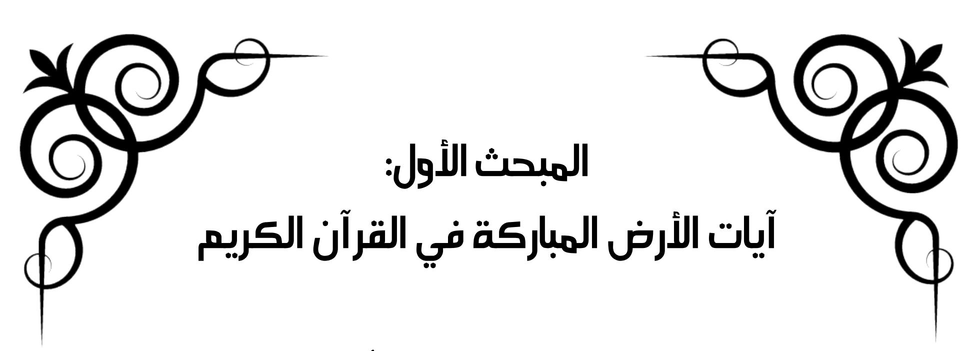
(3) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج13، ص295.



الفصل الثاني: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريـم ومحدداتها التربويـة

المبحث الأول: آيـــات الأرض المباركة في القرآن الكريم

المبحث الثاني: المبادئ التربوية في آيات الأرض المباركة



المبحث الأول:
آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم

في هذا المحور سيتم تتبع الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة وتصنيفها من خلال النظر في آيات قصص الأنبياء عليهم السلام المرتبطة بالأرض المباركة أو التي حدثت عليها.

المطلب الأول: قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم

يمكن تصنيف الآيات القرآنية المرتبطة بالأرض المباركة، على النحو الآتي:

- آيات تحدثت عن بركة الشام وهي خمس آيات، انظر صفحة (30)، وقد وردت هذه الآيات الكريمة في سياقات قصص إبراهيم وموسى وسليمان ومحمد عليهم السلام، ووردت آية واحدة منها في سياق قصة سبأ.
- آيات صرّحت بتقديس أنحاء من الأرض المباركة، وهي ثلاث آيات، انظر صفحة (33)، وقد وردت في سياق قصة موسى عليه السلام.
- آيات أشارت إلى الأرض المباركة أو أنحاء وأماكن فيها، كما في قوله تعالى: ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم:3]، وقوله تعالى: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾[الحشر:2]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون:50].
- آيات تضمنت قصص الرسل والأنبياء والمؤمنين في الأرض المباركة، كقصة امرأة عمران ومولد مريم ويحيى عليه السلام في سياق قصة زكريا وعيسى عليهما السلام.
- آيات ذكرت حركة الأنبياء وأتباعهم من الأرض المباركة وإليها، مثل الآيات التي تحدثت عن هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إليها، وانتقال يعقوب عليه السلام وأبنائه من الأرض المباركة إلى مصر، ثم خروج بني إسرائيل إليها مع موسى عليه السلام.
- آيات تحدثت عن مواقف وأحداث مستقبلية مرتبطة بالأرض المباركة، كالآيات التي

تحدثت عن فساد بني إسرائيل في الأرض في فواتح سورة الإسراء، والآية التي أشارت إلى نزول عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء: 951]. والآية التي ذكرت خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [سورة الأنبياء: 69].

وعليه فيمكننا تعريف "آيات الأرض المباركة" إجرائياً، بأنها: **آيات القرآن العظيم التي تضمنت قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام والناس التي حدثت في الأرض المباركة، أو ارتبطت بها.**

الأنبياء والرسل في القرآن الكريم

ومن خلال النظر في قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم بقصد تحديد آيات الأرض المباركة، تم ملاحظة أن القرآن الكريم ذكر أسماء (25) نبياً ورسولاً عليهم السلام، يمكن تقسيمهم في ثلاث مجموعات بناء على ارتباط قصصهم بالأرض المباركة:

المجموعة الأولى من الرسل والأنبياء عليهم السلام:

وعددهم (5) وقد ذكرهم القرآن الكريم وامتدح صفاتهم، لكن لم تورد الآيات القرآنية تفاصيل قصصهم، ولذلك فقد استثنوا من هذه الدراسة، وهم:

1. إدريس عليه السلام: ذكر اسمه مرتين في سورتي مريم والأنبياء.
2. إسحاق عليه السلام: ذكر اسمه (17) مرة، في (16) آية في (12) سورة هي: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، هود، يوسف، إبراهيم، مريم، الأنبياء، العنكبوت، الصافات، ص.
3. ذا الكفل عليه السلام: ذكر اسمه مرتين في سورتي الأنبياء وص.
4. اليسع عليه السلام: ذكر اسمه مرتين في سورتين هما: الأنعام وص.
5. يحيى عليه السلام: ذكر اسمه (5) مرات في (4) سور هي: آل عمران، والأنعام، ومريم، وسورة الأنبياء.

المجموعة الثانية من الرسل والأنبياء عليهم السلام:

وعددهم (9) وقد ذكر القرآن الكريم قصصهم، لكن لم يجد الباحث قرينة تربط قصصهم بالأرض المباركة، لذلك فقد استثنوا أيضاً من الدراسة، وهم:

1. آدم عليه السلام: ذكر اسمه (25) مرة، في (9) سور هي: البقرة، آل عمران، المائدة، الأعراف، الإسراء، الكهف، مريم، طه، يس.
2. نوح عليه السلام: ذكر اسمه (43) مرة، في (28) سورة، هي: آل عمران، النساء، الأنعام، الأعراف، التوبة، يونس، هود، إبراهيم، الإسراء، مريم، الأنبياء، الحج، المؤمنون، الفرقان، الشعراء، العنكبوت، الأحزاب، الصافات، ص، غافر، الشورى، ق، الذاريات، النجم، القمر، الحديد التحريم، نوح.
3. هود عليه السلام: ذكر اسمه (7) مرات، في (3) سور هي: الأعراف، هود، والشعراء.
4. صالح عليه السلام: ذكر اسمه (9) مرات، في (4) سور هي: الأعراف، وهود، والشعراء، والنمل. وفي سورة الشمس ذكرت قصة ناقة صالح دون ذكر اسمه عليه السلام.
5. شعيب عليه السلام: ذكر اسمه (11) مرة، في (4) سور هي: الأعراف، وهود، والشعراء والعنكبوت.
6. يونس عليه السلام: ذكر اسمه (4) مرات، في (4) سور هي النساء، والأنعام، ويونس والصافات.
7. إلياس عليه السلام : ذكر اسمه مرتين في سورتي الأنعام والصافات، وذكر باسم إل ياسين في سورة الصافات[1].
8. أيوب عليه السلام: ذكر اسمه (4) مرات، في (4) سور هي: النساء، الأنعام، الأنبياء، ص.
9. إسماعيل عليه السلام: ذكر اسمه (12) مرات، في (8) سور هي: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، ص.

(1) انظر: الآية 85 سورة الأنعام. وانظر: تفسير الطبري عند الآية 130 من سورة الصافات.

المجموعة الثالثة من الرسل والأنبياء عليهم السلام:

وهم (11) نبياً ورسولاً، وقد فصّل القرآن الكريم قصصاً لهم، وتوفرت قرائن تربطهم وقصصهم بالأرض المباركة، وقد قسّم الباحث هذه المجموعة إلى خمسة أقسام وراعى ترتيبها تاريخياً، على النحو التالي:

1. القسم الأول: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بإبراهيم ولوط عليهما السلام.
2. القسم الثاني: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بيعقوب ويوسف عليهما السلام.
3. القسم الثالث: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بموسى وهارون عليهما السلام.
4. القسم الرابع: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بداود وسليمان عليهما السلام.
5. القسم الخامس: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بزكريا وعيسى ومحمد عليهم السلام.

وهذه المجموعة - الثالثة - بأقسامها الخمسة هي التي سيتم تدبرها وبحثها في هذه الدراسة من خلال ما يأتي:

- تحديد آيات الأرض المباركة في آيات قصص الأنبياء عليهم السلام الأحد عشر، وحيث ما وجدت في القرآن الكريم.
- استنباط المضامين التربوية منها في صيغة مبادئ تربوية.
- تحكيم المبادئ التربوية للتأكد من سلامة صياغتها وانتمائها لآيات الأرض المباركة [1].
- شرح المبادئ التربوية المستنبطة.
- تقديم أفكار ومقترحات لتطبيقات معاصرة لهذه المبادئ التربوية.

(1) انظر: صفحة 15 و 16 .

المطلب الثاني: الأنبياء عليهم السلام في آيات الأرض المباركة

القسم الأول: آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المرتبطة بإبراهيم ولوط عليهما السلام.

بعد تتبع ورود شخصيتي إبراهيم ولوط عليهما السلام في آيات القرآن الكريم، بهدف تحديد مشاهد قصتهما المرتبطة بالأرض المباركة، كانت النتائج على النحو الآتي:

1. وَرَدَ اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم (69) مرة في (25) سورة[1]: (17) سورة مكية و(8) مدنية.
2. ورد اسم إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة (15) مرة؛ في آل عمران (7) مرات، و(4) مرات في كل من السور: الأنعام والنساء وهود والأنبياء، و(3) مرات في كل من السور: التوبة ومريم والحج والصافات. وتكرر مرتين في السور: يوسف والنحل والعنكبوت والممتحنة. ومرة واحدة في السور: إبراهيم، الحجر، الشعراء، الأحزاب، ص، الشورى، الزخرف، الذاريات، النجم، الحديد، الأعلى.
3. ورد اسم لوط عليه السلام في القرآن الكريم (27) مرة[2]، في (14) سورة؛ منها (12) سورة مكية وهي: الأنعام والأعراف وهود والحجر والأنبياء والشعراء والنمل والعنكبوت والصافات وسورة ص وسورة ق وسورة القمر، وسورتان مدنيتان وهما: التحريم والحج.
4. اجتمع ذكر إبراهيم ولوط عليهما السلام في (9) سور هي: الأنعام وهود والحجر والأنبياء الحج والشعراء والعنكبوت والصافات وص.
5. وردت الإشارة إلى قصة لوط عليه السلام مع قومه دون ذكر اسمه في (4) سور: أشير إليهم بـ (المؤتفكة) في سورة النجم، وبـ (المؤتفكات) في سورتي التوبة والحاقة. وبـ (القرية التي أمطرت مطر السوء) في سورة الفرقان.

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص1.

(2) المرجع السابق، ص654.

6. اقترن ذكر قوم إبراهيم مع قوم لوط - على الرسل أفضل الصلاة والسلام- في سياق بيان تكذيب الأقوام السابقة في سورتي التوبة آية (70) والحج: آية (43).

7. ثمة مشاهد عديدة لقصة إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم؛ وكان أكثرها ارتباطاً بالأرض المباركة ما يجمعه مع لوط عليه السلام؛ من هجرتهما معاً إليها، ومشهد زيارة الملائكة الكرام لهما.

8. المشاهد القرآنية لقصة ضيف إبراهيم المكرمين، وما تلا ذلك من ذهابهم لإهلاك قوم لوط، وردت في أربع سور: هود، الحجر، العنكبوت، الذاريات.

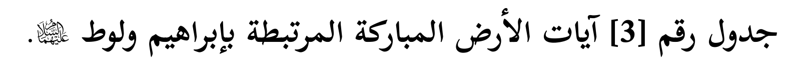
9. بينّت سورة الأنبياء هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة، في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:71]، يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومعلوم أن إبراهيم إنما نجّاه الله ولوطاً إلى أرض الشام، من أرض الجزيرة والفرات»[1]. وبات معلوماً أن قرى قوم لوط كانت تقع في الأردن بالقرب من البحر الميت، كما هو مشهور، وقد ذكر ذلك ابن عاشور في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[هود:89]، فقال: «والمراد بالبُعد بعد الزمن والمكان والنَّسب، فزمن لوط عليه السلام غير بعيد في زمن شعيب عليه السلام، والديار قريبة من ديارهم، إذ منازل مدين عند عقبة أيلة مجاورة معان مما يلي الحجاز، وديار قوم لوط بناحية الأردن إلى البحر الميت»[2]. انظر الخارطة رقم [2] صفحة (34).

10. الآيات القرآنية التي تضمنت مشاهد لقصة إبراهيم ولوط عليهما السلام والتي ستكون موضع الدراسة لاستنباط المبادئ التربوية منها، تم تتبعها، هي كما في الجدول رقم [3] الآتي:

---

(1) **ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج27**، ص506.

(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج12، ص147.



جدول رقم [3] آيات الأرض المباركة المرتبطة بإبراهيم ولوط عليهما السلام.

م	الآيات	السياق
1	71-75 الأنبياء	هجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض المباركة
2	26-35 العنكبوت	قصة إبراهيم ثم قصة لوط مع قومه
3	69-83 هود	قصة ضيف إبراهيم ثم قصة لوط مع قومه
4	51-77 الحجر	قصة ضيف إبراهيم ثم قصة لوط مع قومه
5	24-37 الذاريات	قصة ضيف إبراهيم ثم قصة لوط مع قومه
6	80-84 الأعراف	نجاة لوط عليه السلام وهلاك قومه
7	160-175 الشعراء	نجاة لوط عليه السلام وهلاك قومه
8	54-59 النمل	نجاة لوط عليه السلام وهلاك قومه
9	133-138 الصافات	نجاة لوط عليه السلام وهلاك قومه
10	33-39 القمر	ضيف لوط من الملائكة عليهم السلام، وهلاك القوم الفاسقين
11	53-54 النجم	إشارة لهلاك قوم لوط دون ذكر اسم النبي لوط عليه السلام
12	40 الفرقان	إشارة لهلاك قوم لوط دون ذكر اسم النبي لوط عليه السلام

القسم الثاني: آيات الأرض المباركة في القرآن المرتبطة بيعقوب ويوسف عليهما السلام.

بعد تتبع ورود شخصيتي يعقوب ويوسف عليهما السلام في آيات القرآن الكريم، بهدف تحديد مشاهد قصتيهما المرتبطة بالأرض المباركة، كانت النتائج كما يلي:

1. ورد اسم يعقوب (16) مرة في القرآن الكريم في (10) سور، (3) منها مدنية، هي: البقرة وآل عمران والنساء؛ و(7) منها مكية، وهي: الأنعام وهود والعنكبوت ومريم والأنبياء و"سورة ص" ويوسف[1].
2. ورد ذكر اسم يعقوب في سورة البقرة (4) مرات، وفي سورة يوسف (3) مرات، وفي سورة مريم مرتين، ومرة مرة في باقي السور السبع.
3. ورد اسم «إسرائيل» غير مضاف إلى كلمة «بني» مرتين: في سورة آل عمران آية (93)، وفي سورة مريم (58). و«إسرائيل» هو اسم آخر للنبي يعقوب عليه السلام [2].
4. «بنو إسرائيل» هم أولاد يعقوب عليه السلام ومن جاء من نسلهم[3]، وهو مصطلح ورد (41) مرة في القرآن الكريم، في (16) سورة: أربع منها مدنية هي: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والصف. وورد في السور المكية التالية (26) مرة: في الأعراف، ويونس، والإسراء، وطه، والشعراء، والنمل، والسجدة وغافر والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف[4].
5. في القرآن الكريم سورة "الإسراء"، وتسمى بسورة «بني إسرائيل»، وهي مكية رقمها (17)، وعدد آياتها (111) آية.
6. ذكر اسم يوسف عليه السلام في القرآن الكريم (27) مرة، في ثلاث سور مكية: في الأنعام مرة واحدة، وفي سورة غافر مرة واحدة، وفي سورة يوسف (25) مرة [5].
7. في القرآن الكريم سورة "يوسف"، وهي مكية رقمها (12)، وعدد آياتها (111) آية.

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص773.

(2) انظر **تفسير الطبري** عند الآية 93 من سورة آل عمران.

(3) المرجع السابق، ص33.

(4) تم النظر إلى المكي والمدني على مستوى السور القرآنية وليس على مستوى الآيات.

(5) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص773.

8. تداخلت قصتا يعقوب ويوسف عليهما السلام، وكلاهما كان محوراً في قصة هجرة بني إسرائيل وانتقالهم من الأرض المباركة إلى أرض مصر.

9. الآيات القرآنية التي احتوت مشاهد لقصة يعقوب ويوسف عليهما السلام في الأرض المباركة، والتي ستكون موضع الدراسة لاستنباط المبادئ التربوية منها، كما في الجدول الآتي رقم [4].

جدول رقم [4] آيات الأرض المباركة المرتبطة بيعقوب ويوسف عليهما السلام.

م	الآيات	السياق
1	132-133 سورة البقرة	يعقوب عليه السلام يستمر بتوصية أبنائه وتعليمهم في حياته وحتى عند مماته
2	1-20 سورة يوسف	قصة يوسف ويعقوب عليهما السلام ورؤيا يوسف وحتى حمله إلى مصر وبيعه فيها
3	58-101 سورة يوسف	تردد أخوة يوسف عليه السلام بين الأرض المباركة ومصر بحثاً عن الرزق، ودخولهم على أخيهم وحتى ارتحالهم إلى مصر مع بني إسرائيل.

القسم الثالث: آيات الأرض المباركة في القرآن المرتبطة بموسى وهارون عليهما السلام.

بعد تتبع ورود شخصيتي النبيين موسى وهارون عليهما السلام في القرآن الكريم، بهدف تحديد مشاهد قصتهما المرتبطة بالأرض المباركة؛ كانت النتائج على النحو الآتي:

1. وَرَدَ اسم موسى[1] عليه السلام (136) مرة في القرآن الكريم، في (131) آية، في (34) سورة؛ (27) سورة مكية، و(7) سور مدينة. علماً بأن اسم موسى عليه السلام تكرر مرتين في كل آية من الآيات الخمسة التالية: [الإسراء:101]، [الأعراف:142]، [الأعراف:143]، [النساء:153]، [القصص:48].

2. ذُكر اسم النبي موسى مع اسم النبي هارون[2] عليهما السلام في نفس السورة في (13) سورة، علماً بأن اسم هارون ذُكر (19) مرة في القرآن الكريم في (13) سورة.

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص680.

(2) المرجع السابق، ص736

3. ذكر فرعون في (27) سورة[1]، واجتمع ذكره مع موسى ﷺ في (17) سورة، مع ملاحظة أن اسم فرعون ذُكر في القرآن الكريم (74) مرة.

4. ورد ذكر موسى ﷺ مع قارون في (3) سور، وهي: القصص والعنكبوت وغافر، مع ملاحظة أن اسم قارون[2] ذُكر (4) مرات في القرآن الكريم، منها مرتين في سورة القصص.

5. ورد ذكر اسم موسى ﷺ مع هامان في (3) سور، وهي: القصص والعنكبوت وغافر، علماً بأن اسم هامان[3] ذُكر (6) مرات في القرآن الكريم، منها (3) مرات في القصص، ومرتين في غافر.

6. ذُكر اسم موسى ﷺ مع فرعون وهامان وقارون في ثلاث سور هي القصص والعنكبوت وغافر.

7. يمكن تقسيم قصة النبي موسى ﷺ زمنياً إلى المراحل الآتية:

أ. مرحلة ما قبل خروجه ﷺ إلى مدين، وكانت في أرض مصر ، كان فيها مولده وإلقاؤه في اليم وهو طفل رضيع، والتقاط آل فرعون له، وتربيته بينهم إلى أن قتل رجلاً منهم، فخرج من أرض مصر هارباً.

ب. مرحلة مدين: وفيها استقر بعد خروجه من مصر وتزوج ومكث عشر سنين.

ت. مرحلة العودة من مدين إلى مصر (في الطريق بين مدين ومصر)، وفيها ناداه الله تعالى في الوادي المقدس طُوى، وكلّفه ربه ﷻ بالرسالة وأيدّه بالمعجزات.

ث. مرحلة دعوة فرعون في مصر، وتحدّي السحرة، والانتصار عليهم، وما تلا ذلك من استمرار الدعوة والتحضير لإخراج بني إسرائيل من أرض مصر.

ج. مرحلة الخروج من مصر مع بني إسرائيل تجاه الأرض المباركة، وفيها انفلق البحر معجزة وتأييداً، وأنجى الله ﷻ موسى ﷺ ومن معه، وأغرق فرعون وجنوده.

---

(1) المرجع السابق، ص515

(2) المرجع السابق، ص543

(3) المرجع السابق، ص739

ح. مرحلة ما بعد غرق فرعون، وفيها اجتهد موسى عليه السلام لتثبيت العقيدة في قلوب قومه - بني اسرائيل-، وحصلت في هذه المرحلة معجزات وأحداث: كتفجير الماء من الصخر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وإنزال التوراة، وعبادة العجل، وتوبة القوم وأخذ الميثاق عليهم، وأمرهم بذبح البقرة.

خ. مرحلة التوجه إلى الأرض المقدسة والوقوف على أبوابها، وفيها انقلب القوم على أدبارهم، فحرّمت عليهم وكتب عليهم التيه، وأثناء التيه قضى هارون ثم موسى عليهما السلام.

8. ارتبطت قصة موسى عليه السلام بالأرض المباركة، باستثناء ما كان منها في أرض مصر قبل خروجه منها أو بعد عودته إليها، أو التي كانت في مدين.

9. تتبع الباحث الآيات القرآنية التي تضمنت مشاهد جوانب من قصة موسى وهارون عليهما السلام في الأرض المباركة، والتي ستكون موضع الدراسة لاستنباط المبادئ التربوية منها فكانت كما في الجدول رقم [5] الآتي:

جدول رقم [5] آيات الأرض المباركة المرتبطة بموسى وهارون عليهما السلام.

	الآيات	سياق الآيات وموضوعها العام
1	49-74 البقرة	نجاة موسى وقومه، وغرق فرعون، والميعاد أربعين ليلة، واتخاذ قومه العجل، وتظليل الغمام وتنزيل المنّ والسلوى، واستسقاء موسى عليه السلام، وقصة أصحاب السبت مختصرة، وقصة ذبح البقرة مفصلة
2	83-88 البقرة	بنود الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل، ونقضهم له
3	92-93 البقرة	كفر بني إسرائيل، واتخاذهم العجل، وأخذ الميثاق عليهم ورفع الطور
4	153-155 النساء	عناد اليهود، وظلمهم أنفسهم، وقتلهم أنبيائهم، واتخاذهم العجل
5	164 النساء	تكليم الله تعالى لموسى تكليماً
6	12-13 المائدة	بنود الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل، ونقضهم له

7	20-26 المائدة	رفض بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة، وتحريمها عليهم.
8	137-156 الأعراف	نجاة بني إسرائيل وتوريثهم الأرض، وميقات موسى عليه السلام وتكليمه ربه سبحانه، وسؤاله النظر إليه، وإنزال التوراة، وقصة العجل، وقصة السبعين رجلاً.
9	159-171 الأعراف	استسقاء موسى عليه السلام لقومه، وقصة أصحاب السبت مفصلة
10	93 يونس	نجاة بني إسرائيل وإنزالهم منازل صدق
11	5-8 إبراهيم	موسى عليه السلام يدعو قومه، ويذكرهم بأيام الله
12	104 الإسراء	جمع بني إسرائيل لفيفاً من أنحاء الأرض
13	9-48 طه	تكليف موسى عليه السلام بالرسالة، وشدّ عضده بهارون عليه السلام
14	77-98 طه	خروج بني إسرائيل من مصر وغرق فرعون، وقصة العجل
15	10-17 الشعراء	تكليف موسى عليه السلام بالرسالة
16	7-12 النمل	تكليف موسى عليه السلام بالرسالة وتأييده بالمعجزات
17	29-35 القصص	خروج موسى عليه السلام من مدين وعودته وتكليفه بالرسالة

القسم الرابع: آيات الأرض المباركة في القرآن المرتبطة بداود وسليمان عليهما السلام.

بعد تتبع ورود شخصيتي داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم، بهدف تحديد مشاهد قصصهما المرتبطة بالأرض المباركة، كانت النتائج على النحو الآتي:

1. ورد اسم داود[1] عليه السلام في القرآن الكريم (16) مرة؛ في (6) سور مكية، وفي (3) سورة مدنية.
2. ورد اسم سليمان[2] عليه السلام في القرآن الكريم (17) مرة؛ في (5) سور مكية، وفي سورتين مدنيتين.

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص264.

(2) المرجع السابق، ص357.

3. اجتمع ذكر اسم داود واسم سليمان عليهما السلام في (7) سور، وهي البقرة، والنساء، والأنعام، والأنبياء، والنمل، وسبأ، وسورة "ص". وانفرد ذِكْر داود عليه السلام في سورتين وهما: المائدة، والإسراء، ولم ينفرد ذكر سليمان بسورة دون أن يذكر معه داود عليه السلام.

4. اجتمع ذكر داود وسليمان عليهما السلام في قصة الحُكْم في غنم القوم التي نفشت في الحرث، في سورة الأنبياء في الآيات (78-82).

5. انفرد داود عليه السلام في قصتين لم يذكر فيهما سليمان عليه السلام، وهما:
- قصته مع الملك طالوت، وقتله جالوت، في سورة البقرة في الآيات (247-251). مع التنويه أنه قد ذُكر في سورة البقرة المَلِك طالوت مرتين، وجالوت ثلاث مرات.
- قصة الخصمان الذَين تسوّروا المحراب، في سورة "ص" في الآيات (17-26).

6. انفرد سليمان عليه السلام في أربع قصص قرآني:
- قصته مع النملة في سورة النمل في الآيات (16-19).
- قصته مع الهدهد وملكة سبأ في سورة النمل في الآيات (20-44).
- قصته مع الصافنات الجياد في سورة "ص" في الآيات (31-33).
- قصته مع الجسد الذي أُلقي على كرسيه في سورة "ص" آية (34-40).

7. داود وسليمان عليهما السلام من أنبياء بني إسرائيل، وكلاهما آتاه الله ملكاً وحُكماً وعِلماً، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:79]، وأنزل الله تعالى كتابه الزبور على داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء:163]، وقد عمل داود عليه السلام حداداً وخياطاً، فصنع للناس دروعاً وألبسة تنفعهم في جهادهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:80].

ومن عظيم مكانة داود عليه السلام عند الله تعالى أن الجبال والطير أُمرت بالتسبيح معه. أما سليمان عليه السلام فقد سُخّرت له الريح تجري بأمره، وعُلّم منطق الطير، وكان له جنوده من الإنس والجن والطير، وأعطي مُلكاً عظيماً.

8. كل القصص القرآني لداود وسليمان عليهما السلام جرت أحداثها في الأرض المباركة، والآيات الكريمة التي حكت هذه القصص ترتبط مكانياً بالأرض المباركة، يقول الرازي: «وكان دار مملكةِ سليمان الشام، قال الله تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ [الأنبياء:81]، يعني الشام»[1]، وقال الخطيب: «إن رقعة مملكة سليمان لم تكن تتجاوز حدود فلسطين»[2].

9. الآيات القرآنية التي احتوت مشاهد لقصص داود وسليمان عليه السلام في الأرض المباركة، والتي ستكون موضع الدراسة لاستنباط المبادئ التربوية، كما في الجدول رقم [6].

جدول رقم [6] آيات الأرض المباركة المرتبطة بداود وسليمان عليهما السلام.

	الآيات	سياق الآيات وموضوعها العام
1	246-251 البقرة	داود عليه السلام مع الملك طالوت
2	78-82 الأنبياء	حُكْم داود وسليمان عليهما السلام في غنم القوم التي نفشت في الحرث
3	14-19 النمل	قصة سليمان عليه السلام مع النملة
4	20-44 النمل	قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبأ
5	10-14 سبأ	نعم الله تعالى على داود وسليمان عليهما السلام
6	18 سبأ	نعم الله تعالى على قوم سبأ
7	17-26 ص	الخصم الذين تسوّروا المحراب
8	31-33 ص	سليمان عليه السلام مع الصافنات الجياد
9	34-40 ص	الجسد الذي أُلقي على كرسي سليمان عليه السلام

---

(1) ابن المظفر: أحمد بن محمد (ت: بعد 630هـ). **مباحث التفسير لابن المظفَّر**، تحقيق: حاتم القرشي، السعودية، كنوز إشبيليا، ط1، 1430هـ- 2009م، ج1، ص238.

(2) الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ). **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت، ج11، ص787.

القسم الخامس: آيات الأرض المباركة في القرآن المرتبطة بزكريا وعيسى ومحمد عليهم السلام

بعد تتبع ورود شخصيات الأنبياء والرسل زكريا وعيسى ومحمد عليهم السلام في القرآن الكريم، بهدف تحديد مشاهد قصصهم المرتبطة بالأرض المباركة، وكانت النتائج على النحو الآتي:

أولاً: زكريا وعيسى ابن مريم عليهما السلام.

1. ورد اسم «عمران» جدّ عيسى عليه السلام في القرآن الكريم (3) مرات، في سورتين مدنيتين؛ مرتين في سورة آل عمران ومرة في سورة التحريم. وجاء اسم «عمران» مضافاً ثلاث مرات: مرة إلى «آل» ﴿وَءَالَ عِمْرَانَ﴾ [آل عمران:33]، ومرة مضافاً إلى «امرأة» ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾[آل عمران:35]، ومرة مضافة إلى «مريم ابنة» ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ﴾ [التحريم:12][1].
2. جاء تشريف آل عمران باصطفائهم على العالمين كحال الأنبياء الكرام، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:33].
3. ورد اسم مريم[2] ابنة عمران عليها السلام في القرآن الكريم (34) مرة، وأشير إليها (6) مرات دون ذكر اسمها في سياق كونها أماً ووالدة لعيسى عليهما السلام[3].
4. تَقَبَّلَ الله تعالى مريم عليها السلام بقبول حسن، وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا، ووُصفت مرتين بأنها أحصنت فرجها في سورتي الأنبياء والتحريم، ووصفت بأنها ﴿صِدِّيقَة﴾ في سورة المائدة.
5. ذكر زكريا[4] عليه السلام باسمه (7) مرات، في (4) سور من القرآن الكريم (آل عمران، الأنعام، مريم، الأنبياء)، وقد ورد ذكره مرتبطاً بقصة مريم عليها السلام في سورتي آل عمران ومريم، في سياق بيان البيئة الصالحة التي نشأت فيها مريم في كفالة النبي زكريا عليهما السلام.

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص483.

(2) المرجع السابق، ص665.

(3) المرجع السابق، ص79، ص483، ص764.

(4) المرجع السابق، ص331.

6. سميّت في القرآن الكريم سورة باسم "مريم"، وهي مكية رقمها (19)، وعدد آياتها (98) آية، وتضمنت تفصيلاً لقصة مريم عليها السلام وما كان من تبشيرها باصطفائها، وحملها بعيسى عليه السلام، إلى أن جاءها المخاض، ثم قدومها قومها تحمله، وحينها أنطق الله تعالى عيسى في المهد براءة لأمه وإشارة تدل على فضله ونبوته عليهما السلام.

7. ذكر القرآن الكريم عيسى عليه السلام باسمه (25) مرة، وبوصفه «المسيح» (11) مرة، وبوصفه «ابن مريم» (23) مرة [1].

8. كل الآيات التي تحدثت عن آل عمران، وزكريا، وعيسى بن مريم وأمه عليهما السلام ترتبط بالأرض المباركة؛ فقد ذكر العلماء أن مولد عيسى كان فيها. قال تعالى: ﴿**فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ**﴾ [مريم: 23]، قال الشنقيطي: «والجمهور على أن المكان المذكور بيت لحم»[2]، ونقل ابن كثير عن وهب بن منبه والسُّدي أن مولد عيسى كان في منطقة قريبة من بيت المقدس، وأضاف ابن كثير: «هذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض، ولا يشكّ فيه النصارى أنه ببيت لحم[3]، وقد تلقاه الناس» [4].

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص494، ص666، ص136.

(2) الشنقيطي، محمد الأمين المختار (ت: 1393هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1415هـ- 1995م، ج3، ص389.

(3) بيت لحم: مدينة فلسطينية، في الضفة الغربية، على مسافة (10) كم جنوب القدس وفيها كنيسة المهد.

(4) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج5، ص223.

ثانياً: النبيّ محمد ﷺ

جاء ذكر النبيّ الكريم وخاتم المرسلين محمد ﷺ بالاسم في القرآن الكريم (4) مرات، في السور: آل عمران والأحزاب ومحمد والفتح، وذكر باسم «أحمد» في سورة الصف، مع ملاحظة أن السور الخمس مدنية[1].

ولأن القرآن العظيم كتاب الله المنزل على قلب محمد ﷺ، فقد كَثُر ورود آيات تخاطبه بـ يا أيها النبي، ويا أيها الرسول.

ويمكن تمييز الآيات القرآنية التي ظهر فيها ارتباط النبيّ محمد ﷺ بالأرض المباركة، على النحو الآتي:

1. الآية الأولى من سورة الإسراء، وقد صرّحت بالإسراء به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:1].
2. الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:60]، فقد رجّح الطبري أنها تتحدث عن الإسراء إلى بيت المقدس، ونَقَلَ ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد[2].
3. الآيات التي جاءت في تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، في سورة البقرة 142-152؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ، فقال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الكَعْبَةِ»[3].
4. الآيات 1-18 سورة النجم، وهي تعطي إشارات لما حصل مع النبي ﷺ في رحلة المعراج، وبوّب مسلم في صحيحه أبواباً خرّج فيها أحاديثاً ربطت الآيات بحادثة المعراج[4].

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص218.

(2) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج17، ص480.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما جاء في القبلة، ج1، ص89، ح403.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، ج1، باب: في ذكر سدرة المنتهى، وباب: ﴿وَلَقَد رَآهُ نَزلَةً أُخرى﴾.

5. الآيات فواتح سورة الروم (1-6)، قال الطبري: « أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس. ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها طرف الشام. وعن عكرِمة أنها أَذْرعات»[1]. و«أَذْرِعَاتُ: اتفقوا على أنها بالشام، واختلف في تحديد موقعها: فقائل إنها من البلقاء في الأردن، وقائل إنها في حوران من أرض سورية، قرب مدينة درعا»[2].

6. الآية الثانية من سورة الحشر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر:2]، قال الطبري: «(لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) لأوّل الجمع في الدنيا، وذلك حشرهم إلى أرض الشام»[3]، ونقل ذلك عن الزهري وعن الحسن وابن زيد. وقال العدوي: «الحشر حشران: الأول: هو حشر اليهود وجمعهم في الشام، والحشر الثاني: هو حشرهم يوم القيامة مع الخلائق»[4].

وبناء على ما سبق، فإن الآيات القرآنية التي احتوت مشاهد لقصص أنبياء آخر الزمان (زكريا وعيسى ومحمد) عليهم السلام في الأرض المباركة، والتي ستكون موضع الدراسة لاستنباط المبادئ التربوية، مبينة في الجدول رقم [7] الآتي.

---

(1) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج20، ص66.

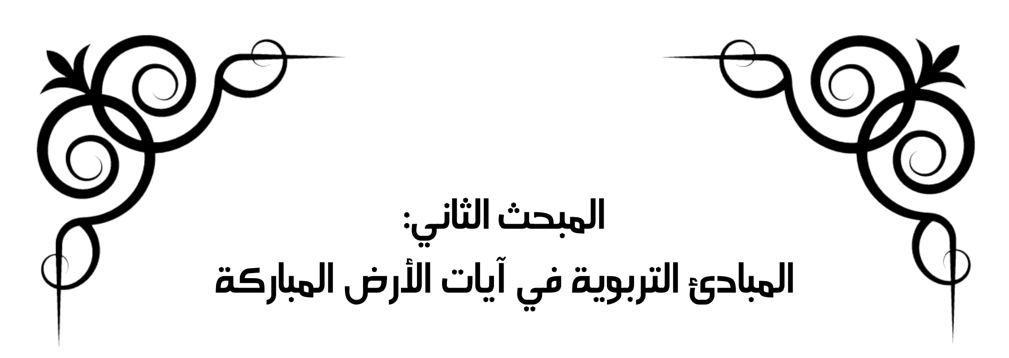
(2) الحربي، عاتق بن غيث (ت:1431هـ). **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 1402 هـ - 1982 م، ج1، ص22.

(3) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج23، ص259.

(4) العدوي، مصطفى شلباية، **سلسلة التفسير**، دروس صوتية فرّغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net، باب تفسير قوله تعالى: «هو الذي أخرج الذين»، ج57، ص5.

جدول رقم [7] آيات الأرض المباركة المرتبطة بالأنبياء زكريا وعيسى ومحمد ﷺ

	الآيات	سياق الآيات وموضوعها العام
1	33-63 آل عمران	اصطفاء آل عمران ومريم، وصفات عيسى ومعجزاته ودعوته
2	156-159 النساء 171-172 النساء	تفنيد اتهام اليهود لمريم عليها السلام وزعمهم أنهم قتلوا عيسى ابن مريم عليه السلام، ودعوتهم لترك الغلو في الدين
3	17 المائدة 46-47 المائدة 72-86 المائدة 110-115 المائدة	تفنيد عقائد النصارى الباطلة، وكفر من اتخذ عيسى إلهاً مع الله تعالى، وأن عيسى بعث مصدقاً لمن سبقه من الرسل، وأن الله اصطفاه وأمه وأيده بالمعجزات، وبالمائدة من السماء، ومشهد سؤاله وحسابه يوم القيامة
4	30-32 التوبة	كفر اليهود والنصارى، وسعيهم لمحاربة نور الله تعالى
5	1-38 مريم	زكريا عليه السلام يطلب وريثاً من الله تعالى. وتحمل مريم بعيسى وتلده وينطق في المهد
6	89-92 الأنبياء	يستجيب الله لدعاء زكريا، وبيان فضل الله تعالى على عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام
7	50 المؤمنون	عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام آية للناس
8	57-65 الزخرف	عيسى ابن مريم عليه السلام مثلاً للناس، وأنه عبد لله سبحانه وتعالى
9	27 الحديد	عيسى عليه السلام امتداد لمن سبقه من الرسل، وتميز أتباعه بالرأفة
10	6، 14 الصف	عيسى عليه السلام بشّر بمحمد ﷺ، ووجوب نصرة الأنبياء والرسل
11	12 التحريم	ضرب الله مثلا للمؤمنات مريم ابنة عمران، شهادة بطهرها
12	142-152 البقرة	تحويل قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام
13	(1-8) (60) الإسراء	حادثة الإسراء لبيت المقدس، وإفساد اليهود في الأرض
14	1-18 النجم	المعراج بمحمد ﷺ من بيت المقدس إلى السماء



المبحث الثاني:
المبادئ التربوية في آيات الأرض المباركة

في هذا المبحث سيتم دراسة آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم المبينة في الجداول من (3-7)، ومراجعتها وتحليل محتواها لاستنباط ما فيها من مبادئ تربوية في المجالات الخمسة التالية:

المبحث الأول: في مجال العلاقة بالله تعالى

المبحث الثاني: في مجال الأخلاق الفردية

المبحث الثالث: في مجال الأخلاق الاجتماعية

المبحث الرابع: في مجال الدعوة

المبحث الخامس: في مجال العمل الجهادي

والمبادئ التربوية: عرّفها كلٌ من شحاتة وزينب بأنها: « نمطٌ أو صورةٌ من التعميمات، تأخذ هيئة قواعد خُلُقية، أو مبادئ أو مُثل عُليا، يتوجب على الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات اتّباعها في تعاملهم مع بعضهم ومع غيرهم[1]، وعرّفت بصول (2002م) المبادئ التربوية بأنها «المرتكزات والقواعد الأساسية التي يعتمد عليها السلوك الإنساني والتي يتم الانطلاق منها في تغيير السلوك وتعديله»[2].

وعرّف الباحث المبادئ التربوية إجرائياً بأنها: المرتكزات الإيمانية والقواعد الخُلُقية والقيم التربوية والطرائق الدعوية والتعليمية التي يعتمد عليها في تربية الجيل وتوجيه سلوكه.

---

(1) حسن شحاتة وزينب النجار. **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، ص205.

(2) بصول: **المبادئ التربوية في تغيير السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية**، ص10.

المطلب الأول: المبادئ التربوية في مجال العلاقة بالله تعالى

جدول رقم [8] المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة في مجال العلاقة مع الله ﷻ

المبادئ	الشواهد على المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة
1. مبدأ عبادة الله وحدة	❊ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [البقرة:83] ❊ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران:51] ❊ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [مريم:36] ❊ ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:172] ❊ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ [المائدة:72] ❊ ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:14]
2. مبدأ الطاعة	❊ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [البقرة:59] ❊ ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ [البقرة:93] ❊ ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ۝٩٠ قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ۝٩١ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه:90-93] ❊ ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ۝٢١ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ [المائدة:21-22]

❋ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:83] ❋ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ [المائدة:12] ❋ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الأعراف:170] ❋ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:14] ❋ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِين﴾[الأنبياء:73]	3. مبدأ إقامة الصلاة
❋ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: 23] ❋ ﴿وَقَالَ يَابَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُون﴾[يوسف:67]	4. مبدأ التوكل على الله تعالى
❋ ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَاب﴾ [ص:32] ❋ ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَاب﴾ [ص:24] ❋ ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِ﴾ [البقرة: 247] ❋ ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: 27] ❋ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَاب﴾ [ص:26] ❋ ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه:20-93] ❋ ﴿يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:54]	5. مبدأ المحاسبة

❋ ﴿يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة:54] ❋ ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:156] ❋ ﴿أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:74] ❋ ﴿قَالُواْ يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف:97] ❋ ﴿إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل:11] ❋ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:30] ❋ ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:24]	**6. مبدأ الرجوع عن الخطأ**

المطلب الثاني: المبادئ التربوية في مجال الأخلاق الفردية

جدول رقم [9] المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة في مجال الأخلاق الفردية

الشواهد على المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة	**المبادئ**
❋ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:26] ❋ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ [النمل:20] ❋ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:18] ❋ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:246] ❋ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [يوسف:66]	**1. مبدأ تحمّل المسؤولية**

2. مبدأ العمل الصالح	❊ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمل:19] ❊ ﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سبأ:11] ❊ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13] ❊ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [ص:24]
3. مبدأ الوفاء	❊ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:154] ❊ ﴿قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف : 59] ❊ ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف:88] ❊ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ [طه:86]
4. مبدأ الصبر	❊ ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:90] ❊ ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18] ❊ ﴿فَصَبْرٌ جميل عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف:83] ❊ ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف:137]

5. مبدأ عِفّة الفرج وإحصانه	❊ ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 91] ❊ ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ [التحريم:12] ❊ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم:20] ❊ ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:81] ❊ ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:166] ❊ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل:55] ❊ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود:78]
6. مبدأ العفو والصفح	❊ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُمِ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:52] ❊ ﴿ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ﴾ [النساء:153] ❊ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:13] ❊ ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:92] ❊ ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:98]

المطلب الثالث: المبادئ التربوية في مجال الأخلاق الاجتماعية

جدول رقم [10] المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة في مجال الأخلاق الاجتماعية

المبادئ	الشواهد على المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة
1. مبدأ العدل	❋ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ص:26] ❋ ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّـا إِذًا لَّظَالِمُون﴾ [يوسف:79] ❋ ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:78-79] ❋ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل:21] ❋ ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُون﴾[الأعراف:159]
2. مبدأ الرحمة	❋ ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ۚ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:27] ❋ ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:21] ❋ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِين﴾ [الأنبياء:75] ❋ ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾ [الأعراف:151] ❋ ﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيد﴾ [هود:73]

3. مبدأ بر الوالدين	❋ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم:14] ❋ ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:32] ❋ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف:99] ❋ ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يوسف:100] ❋ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [البقرة:83]
4. مبدأ الرعاية الوالدية	1. رعاية يعقوب عليه السلام لأبنائه وشفقته عليهم وتربيتهم وتوجيههم والصبر على تعديل سلوكهم ❋ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف:5] ❋ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ [يوسف:67] ❋ ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف:87] ❋ ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:98] 2. رعاية امرأة عمران لمريم ووفائها بنذرها، حتى تقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً: ❋ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:36] 3. كفالة زكريا لمريم عليها السلام، ومتابعته لشؤونها وتفقده أحوالها: ❋ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب﴾ [آل عمران:37]

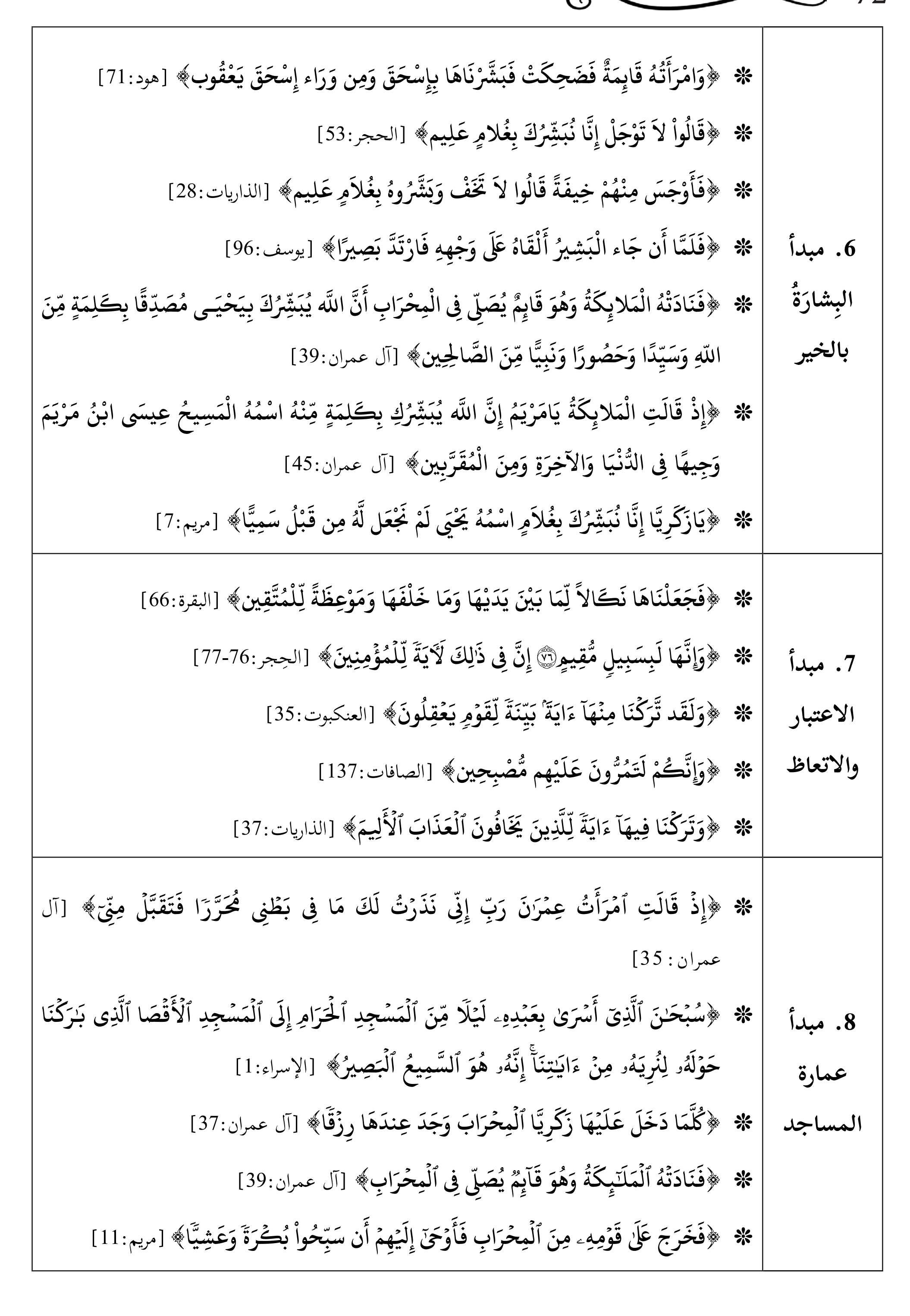
5. مبدأ إفشاء السلام	❋ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69] ❋ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحِجر:52] ❋ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:25] ❋ ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:33] ❋ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:47] ❋ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:59]
6. مبدأ إكرام الضيف	❋ ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69] ❋ ﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:78] ❋ ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحِجر:51] ❋ ﴿قَالَ إِنَّ هَؤُلاء ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِ﴾ [الحجر:68] ❋ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:24] ❋ ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:37]
7. مبدأ الإنفاق في وجوه الخير	❋ ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة:83] ❋ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي﴾ [المائدة:12] ❋ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: 73]

المطلب الرابع: المبادئ التربوية في مجال الدعوة

جدول رقم (11) المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة في مجال الدعوة

المبادئ	الشواهد على المبادئ من آيات الأرض المباركة
1. مبدأ الحوار	* حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام عند تكليفه بالرسالة. * مجادلة إبراهيم مع الملائكة عليهم السلام في شأن قوم لوط عليه السلام. ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ**﴾ [هود:74] * محاورة لوط لقومه يدعوهم لترك الفاحشة والاستغناء بالحلال عن الحرام. ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ [هود:78-80]
2. مبدأ التكرار	* تكررت قصة زيارة ضيف إبراهيم من الملائكة عليهم السلام في أربع سور هي: هود والحجر والعنكبوت والذاريات. * تكررت قصة لوط مع قومه في عدة سور منها: الأعراف، والعنكبوت، والنمل، والشعراء... * تكرار قصة تكليف موسى بالرسالة في عدة سور منها: طه، والنمل، والشعراء، والقصص.. * تكرار تذكير بني إسرائيل بنعمه عليهم، في الآيات: [المائدة:20]، [إبراهيم:5]، [إبراهيم:6]

❊ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ [آل عمران:41]. ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:43] ❊ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:36] ❊ ﴿وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:27] ❊ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُون﴾ [المائدة:82] ❊ ﴿قَالُواْ يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِين﴾ [يوسف:78]	3. مراعاة الفروق الفردية
❊ ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:20] ❊ ﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم:5] ❊ ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [إبراهيم:6]	4. مبدأ التَّذكير بالنِّعم
❊ ﴿قَالَ هُمْ أُولاَء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه:84] ❊ ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عمران : 35] ❊ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء:90] ❊ ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:12] ❊ ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:44]	5. مبدأ المسارعة في الخيرات

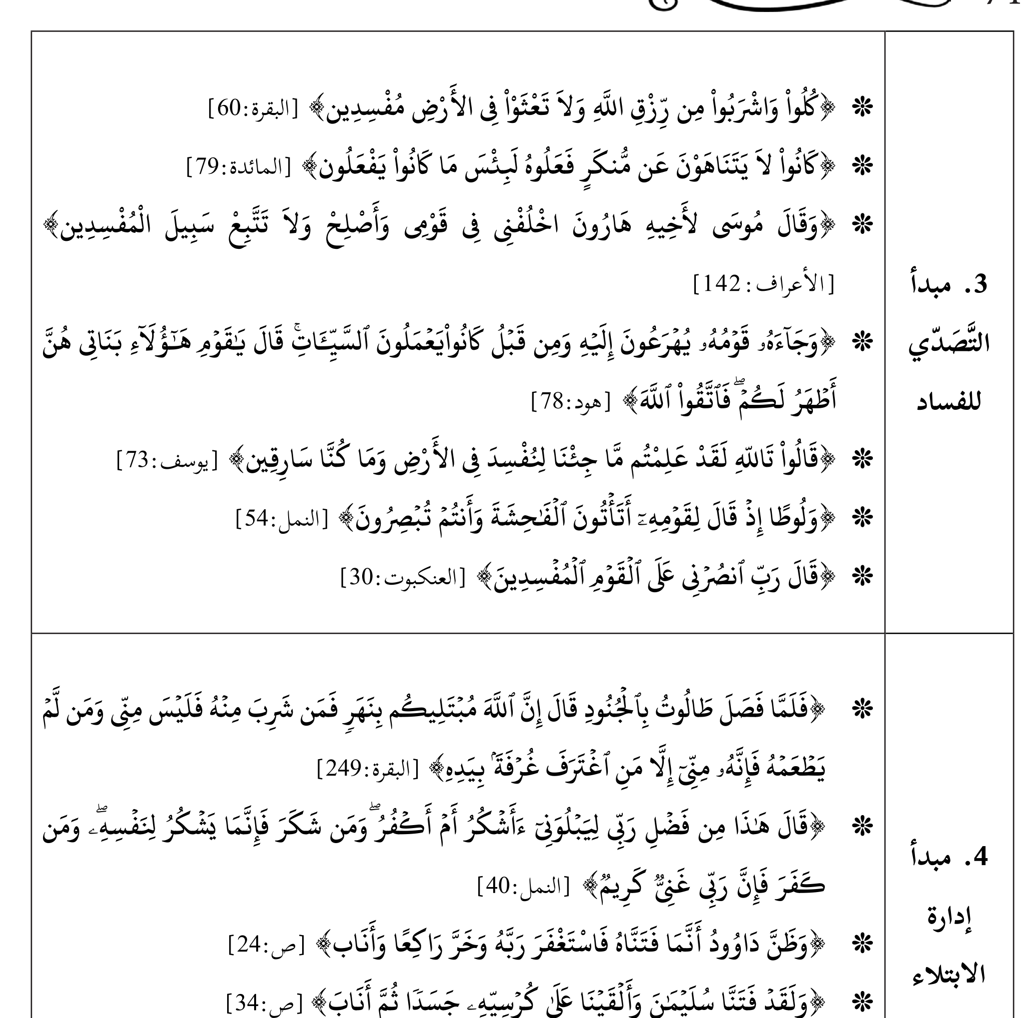


المبدأ	الآيات
6. مبدأ البِشارَةُ بالخير	❁ ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:71] ❁ ﴿قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:53] ❁ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:28] ❁ ﴿فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يوسف:96] ❁ ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:39] ❁ ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران:45] ❁ ﴿يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم:7]
7. مبدأ الاعتبار والاتعاظ	❁ ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:66] ❁ ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحِجر:76-77] ❁ ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت:35] ❁ ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ [الصافات:137] ❁ ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الذاريات:37]
8. مبدأ عمارة المساجد	❁ ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ﴾ [آل عمران : 35] ❁ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء:1] ❁ ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ﴾ [آل عمران:37] ❁ ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ [آل عمران:39] ❁ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم:11]

المطلب الخامس: المبادئ التربوية في مجال العمل الجهادي

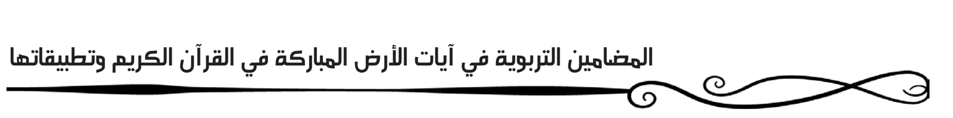
جدول رقم [12] المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة في مجال العمل الجهادي

المبادئ	الشواهد على المبادئ التربوية من آيات الأرض المباركة
1. مبدأ الهجرة في سبيل الله	❋ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:71] ❋ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:26] ❋ ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾[هود:81] ❋ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:35]
2. مبدأ الجهاد	❋ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:246] ❋ ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:251] ❋ ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [النمل: 37]



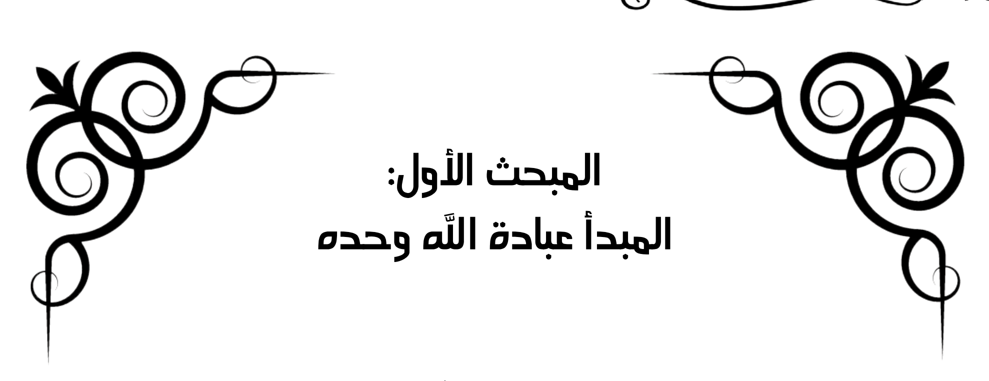
المبدأ	الآيات
3. مبدأ التَّصدّي للفساد	❊ ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:60] ❊ ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة:79] ❊ ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142] ❊ ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْيَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود:78] ❊ ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف:73] ❊ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل:54] ❊ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:30]
4. مبدأ إدارة الابتلاء	❊ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:249] ❊ ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:40] ❊ ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص:24] ❊ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص:34] ❊ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:49]

المبدأ	الآيات
5. مبدأ توجيه الخوف	❊ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ۝٢٢ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:22-23] ❊ ﴿فَلَمَّا رَأَىٰٓ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود:70]، ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات:28] ❊ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:46] ❊ ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ [القصص:31] ❊ ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [النمل:10] ❊ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: 33-34]
6. مبدأ الحَذَر	❊ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ [يوسف:5] ❊ ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾ [يوسف:11] ❊ ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ [يوسف:13] ❊ ﴿قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡ﴾ [يوسف: 66] ❊ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖ﴾ [يوسف:67]
7. مبدأ نُصْرَة الحق	❊ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:52] ❊ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف:14]





الفصل الثالث: المضامين التربوية في مجال العلاقة باللّه تعالى



المبحث الأول:
المبدأ عبادة الله وحده

العِبَادَةُ لغة هي: «الطَّاعةُ، وأَصْلُ العُبُودِيّةِ: الذُّلُّ والخُضُوعُ. والعِبَادَةُ: فِعْلُ مَا يَرْضَى بِهِ الرَّبُّ»[1]. وهي اصطلاحاً كما عرّفها ابن تيمية، فقال إنها: «اسم جامعٌ لكل ما يُحبّه اللهُ ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[2].

وبهذا يتسع مفهوم العبادة لكل ما شرعه الله من العبادات المخصوصة كالصلاة والصيام، ويضم أيضاً أنشطة المرء وعاداته المباحة التي يؤجر عليها المسلم عند الله تعالى ويثاب إن استحضر نية صالحة؛ كأن يقصد فيها الاستغناء بالحلال عن الحرام امتثالاً لأمر الله تعالى.

وللعبادات المخصوصة أركان وشروط، أوردها الشرع وبيّنها العلماء، فلا يصح إنقاص شيء منها أو الزيادة عليها، وهذا معنى قول رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[3].

وأكد العلماء أن شرطا قبول العبادة عند الله تعالى هما: موافقتها للشرع، وإخلاص النية فيها لله تعالى بتجنب الشرك والرياء، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110].

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج8، ص330.

(2) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ). **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1987م، ج5، ص154.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب نقض الأحكام الباطلة، وردّ محدثات الأمور، ج3، ص1343، ح1718.

وإن الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده كانت رسالة الأنبياء في حياتهم، ووصيتهم عند مماتهم، فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِنَفْسِهِ «الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[1].

ومثل ذلك ورد عن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه حين حضرته الوفاة، قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:133]. وعلى دربه كان يوسف عليه السلام يُصَّحِحُ مسار العبادة لأصحابه في السجن، ويبين لهم مؤكداً أن عبادة الله وحده هي الدين الصحيح، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:40]، قال الشوكاني: «والمعنى أنه أَمَرَكم بِتَخْصِيصِهِ بالعبادة، دون غيره مما تزعمون أنه معبود، ثم بَيَّنَ لهم أن عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ دون غَيْرِهِ هي دينُ اللهِ الذي لا دينَ غيره. وإن تخصيصه بالعبادة الدين القيم. أي: المستقيم الثابت»[2].

وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام ومن جاء بعدهم من الدعاة والمربين والمجاهدين، فقد سعوا لهداية الناس إلى عبادة ربهم الواحد، واستنقاذهم وتطهير قلوبهم مما علق بها من حُبّ الأوثان وعبادتها، وقد عبّر عن ذلك ربعي بن عامر ﷺ، في جوابه لرستم قائد الفرس عندما سأله: « مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ»[3].

---

(1) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب هل أوصى رسول الله ﷺ، ج2، ص900، ح2697. وصحّحه الألباني، **صحيح وضعيف** سنن ابن ماجه، ج6، ص197، ح2697.

(2) الشوكاني، محمد بن علي (ت:1250هـ). **فتح القدير**، دمشق، بيروت، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ، ج3، ص33.

(3) ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ). **البداية والنهاية**، دار الفكر، د. ط، 1407ه- 1986م، ج7، ص39.

تطبيق مبدأ عبادة الله وحده

1. ينبغي أن تقوم منابر المجتمع المتعددة والمؤسسات التربوية بالتوعية بمبدأ عبادة الله، وتوضيح مفهومه، وأهميته، وأدلته من القرآن الكريم والسنة والنبوية.
2. يكرر العلماء تذكير الناس وتعريفهم بشرطي قبول العبادة عند الله تعالى، وهما: الإخلاص فيها لله تعالى وموافقة الشرع، وتحذيرهم من الرياء والشرك، كما جاء في الحديث القدسي: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[1].
3. تربية الأبناء والطلاب على إفراد الله سبحانه بجميع الأنشطة التعبدية التي يقومون بها، لتكون خالصة له سبحانه، فهذا من أقوى الدوافع لإتقانها.
4. قيام الأسرة والمدرسة بتعليم صنوف العبادة والتربية على أدائها، والأمر بها من سِنٍّ مبكرة، فعَن الرُّبَيِّع بِنْت مُعَوِّذ ﵂، قَالَتْ: أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ: «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا، فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا، فَلْيَصُمْ»، قَالَتْ: فَكُنَّا نَصُومُهُ بَعْدُ، وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا، وَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ العِهْنِ، فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهُ ذَاكَ حَتَّى يَكُونَ عِنْدَ الإِفْطَارِ»[2]. ومثله قول رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ»[3].
5. لأجل إتقان العبادات يستمر المسلم بمتابعة طلب العلم وحضور الدروس في حِلَق المساجد، وفي القنوات العلمية والدينية، للتفقه في الدين، وتَعَلُّم أحكام العبادات، وتنقيتها من البِدع وتصويبها من الأخطاء.
6. يعتني المسلم بالفرائض التي كتبها الله تعالى، فيحافظ عليها ولا يضيّعها، ثم يتقرب إلى الله تعالى بنوافل العبادات، لقول رسول الله ﷺ: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب من أشرك في عمله غير الله، ج4، ص2289، ح2985.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب صوم الصبيان، ج3، ص37، ح1960.

(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133، ح495. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح495.

إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[1].

7. العناية بمؤسسة المسجد باعتبار المساجد بيوت الله تعالى وأماكن العبادة، وهي المدرسة التربوية الأولى في الإسلام، فيحرص على عمارتها: مادياً بالمساهمة في بنائها وفرشها ونظافتها وصيانتها، ومعنوياً بربط القلوب بها من خلال إحياء الجُمُعة والجماعات فيها، وكثرة الخطى إليها، وحضور دروس العلم التي تقام فيها.

8. متابعة أفراد الأسرة وتوصيتهم بعبادة الله في بيوتهم، بتلاوة القرآن الكريم، وصلاة السنن والنوافل فيها، كما قال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[2].

9. مراعاة القدوة الصالحة من الوالدين والقادة، وأبطال الرياضة، ونجوم الفن لاحترام العبادات، وأدائها صحيحة في أوقاتها، والتواصي بها وتعاون الجميع للتذكير بها.

10. ترسيخ الوعي والإيمان بالمعنى الشمولي للعبادة، كما عرّفها ابن تيمية بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[3]. فهي تشمل الشعائر التعبدية كالصلاة والزكاة والصيام والحج والدعاء والذكر وقراءة القرآن الكريم، وتشمل أيضاً الأعمال الحياتية كصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود، والإحسان للجار واليتيم والمسكين، والزواج والسعي على رزق العيال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:162].

11. استحضار النية الحسنة في العادات والأنشطة الحياتية المختلفة، لنيل أجرها وثوابها عند الله تعالى، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[4]،

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب التواضع، ج8، ص105، ح6502.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، ج1، ص539، ح780.

(3) ابن تيمية: **الفتاوى الكبرى**، ج5، ص154.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج2، ص697، ح1006. (وفي بضع أحدكم) هو الجماع بين الزوجين، وفيه دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات،

ونحوه حديث النبيّ ﷺ: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»(1).

12. تسهيل إمكانية أداء العبادات، بتدريب الأبناء والطلاب على أدائها من سن مبكرة، وتنمية دوافعها: كمعرفة الله تعالى، واستشعار عظمته والخوف منه، والسعي لنيل محبته سبحانه، والرغبة بما أعده في الجنة للعابدين.

13. يستشعر المسلم تميز عبادته لربه القريب المجيب، فالمسلم لا يحتاج إلى وسيط أو شفيع من بشرٍ أو حجرٍ أو صاحب قبرٍ أو وثنٍ، ولا تنطلي عليه دعوات الجهلة والمبتدعين في الدين.

14. يأمر المسلم أهله بالعبادة، ويتعاهدهم بالحفاظ عليها والدوام، ويربّي أولاده على حبّها، مقتدياً بإسماعيل عليه السلام: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:55].

15. يقوم المسلم بجميع العبادات التي أمره الله تعالى بها، وله أن يمتاز ويجتهد عن غيره بنوع منها، لسعة في مال، أو قوة في جسد، قال النبي ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ -يعني الجَنَّةَ- يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»(2).

16. يستمر المسلم بعبادة الله تعالى ما كان في عُمُرِه بقية، ولا يشغله عنها عمل أو نحوه، ويحرص عليها في الأمن وفي الخوف، وفي السفر وفي المرض، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [النور:37].

فالجماع يكون عبادة إذا نُوى به قضاء حقّ الزوج والمعاشرة بالمعروف أو طلب الولد الصالح أو إعفاف النفس أو إعفاف الزوج، ومنعهما جميعاً من النظر إلى حرام أو الفكر فيه أو غير ذلك من المقاصد الصالحة.

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الوصية بالثلث، ج2، ص1250، ح1628.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ج5، ص6، ح 3666.

17. الاعتدال والتوسط في أداء العبادات، بعيداً عن الغُلُو أو التشدد أو تحميل النفس ما لا تطيق، فقد جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

18. الإقبال على العبادة في كل الأوقات، واغتنام أوقات مضاعفة الأجور، كشهر رمضان، والعشر الأواخر منه وليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة، وصيام يومي عاشواء وعرفة.

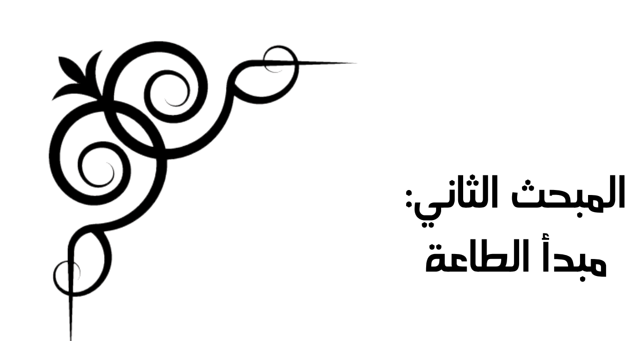
19. عبادة الله تعالى في المساجد الثلاث، وشدّ الرّحال إليها بالحج والعمرة والزيارة، قال رسول الله ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ، وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ المَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[2].

20. مراعاة مبدأ الأولويات الذي يفرضه الواقع المعاصر، والذي يجعل من الجهاد في سبيل الله لتحرير القدس والأرض المباركة عبادة الوقت وفريضة الزمان المُلِّحة؛ وإدراك أن ما يجعل من فلسطين اليوم في صدارة قضايا الأمة - بالإضافة إلى قداستها وبركاتها- هذا الاحتلال الصهيوني الغاشم لها. فإن عجز المرء عن الجهاد بنفسه، فلا يعدم وسيلة للجهاد بماله، أو أن يتعبد الله بقول الحق في شأنها والدفاع عن مجاهديها ونصرة أهلها بما أمكن من وجوه النصرة.

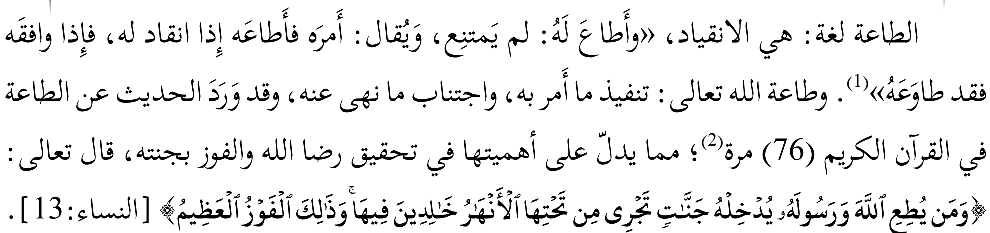
---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، ج5، ص6، ح 3666.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في فضل الحج والعمرة، ج3، ص166، ح 810. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج2، ص310.



المبحث الثاني:
مبدأ الطاعة



الطاعة لغة: هي الانقياد، «وأَطاعَ لَهُ: لم يَمتنِع، وَيُقال: أَمرَه فأَطاعَه إِذا انقاد له، فإِذا وافقَه فقد طاوَعَهُ»[1]. وطاعة الله تعالى: تنفيذ ما أَمر به، واجتناب ما نهى عنه، وقد وَرَدَ الحديث عن الطاعة في القرآن الكريم (76) مرة[2]؛ مما يدلّ على أهميتها في تحقيق رضا الله والفوز بجنته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:13].

وتلتقي طاعة الله تعالى مع عبادته سبحانه، لكن العبادة لا تكون إلا له وحده سبحانه، أما الطاعة فمفهومها يتسع ليشمل طاعة الله، وطاعة رسوله، وطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء ونحوهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: 59]، ويقول النبي ﷺ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[3]. وعليه فإن الطاعة لله ولرسوله مطلقة، ولغيرهما مقيدة في غير معصية؛ ولا مبرر أبداً يتيح للمرء طاعة أي مخلوق في معصية الخالق، لا طمعاً في رزق ولا خوفاً على حياة؛ فقد تكفل الله بهما، ولا سلطة لبشرٍ عليهما. وقد رُوى عن عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ. فقال: يا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ﴾ [التوبة:31]، قال: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»[4]. فهؤلاء اليهود والنصارى جعلوا من أحبارهم ورهبانهم آلهة تُحلل وتحرم.

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج21، ص461.

(2) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص429.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ج3، ص1469، ح1839.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ومن سورة التوبة، ج5، 278، ح3095. وحسنه الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج7، ص95، ح3095.

وإن الله ﷻ أمر الناس بما يستطيعون، وجعل لهم مخرجاً في كثير من الأوامر والأحكام، وراعى اختلاف قدرات الناس وظروفهم والفروق بينهم، فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20]، فهو سبحانه رحيمٌ بعباده ولا يكلف نفساً إلا وسعها، كما قال سبحانه: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286].

وهكذا كانت وصايا الرسول ﷺ لأصحابه، أن يسدّدوا ويقاربوا، ويتجنبوا ما نهاهم عنه، ويأخذوا من أوامر الدين ما يستطيعون، فقال ﷺ: « فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[(1)]. ثم جاء التوجيه النبوي للناس أن يطلبوا المستطاع من بعضهم، ومن زوجاتهم ومن أبنائهم ومن خدمهم، فأوصى رسول الله ﷺ فقال: «وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْه»[(2)].

ومما ينبغي إدراكه أن الطاعة أساسٌ في أي عمل مشترك، وسبب في نجاح أي مشروع جماعي ولا يتصور الأمر بدونه؛ وإن قناعة المرء بذلك تعطيه دافعاً لحسن السمع وسرعة الامتثال، وهي تُقلّل من الخلاف والنزاع، ولذا جاء التوجيه النبوي بضرورة وجود أمير لكل فريق من ثلاثة فأكثر، وهذا الأمير مهمته أن يدير ويستشير، ويأمر وينهى، ثم يُسمع له ويطاع، فيما يحقق مصلحة رعيته، كما بيّن الشوكاني في تعليقه على قول النبي ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ»[(3)]، قال: «فيه دليل على أنه يُشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يُؤمِروا عليهم أحدهم، لأن في ذلك السلامة من الخلاف... فمع عدم التأمير يستبدُ كل واحدٍ برأيه ويفعل ما يطابق هواه؛ فيهلكون، ومع التأمير يَقَلُّ الاختلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار، ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى»[(4)].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج9، ص94، ح7288.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج1، ص15، ح30.

(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب في القوم يسافرون يأمرون أحدهم، ج3، ص36، ح2608. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح2608.

(4) الشوكاني: محمد بن علي (ت: 1250هـ). **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الصبابطي، مصر، دار الحديث، ط1، 1413هـ - 1993م، ج8، ص294.

تطبيق مبدأ الطاعة

1. التوعية بمبدأ الطاعة، ببيان مفهومها وحُكْمها وحِكمتها وشروطها، والأدلة عليها من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتعريف بآداب الآمر والمأمور.
2. تقوم المؤسسات التربوية والتعليمية بدورها في غرس مبدأ الطاعة، والتدريب على تطبيقات عملية لها، من خلال تنظيم الأعمال الخدمية والتطوعية، وتنفذيها جماعياً.
3. تجنب المراوغة أو التسويف في الطاعة، أو كثرة السؤال المفضي للتشديد، فعن النبي ﷺ، قال: « دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»[1]. وفي تفاصيل قصة بقرة بني إسرائيل في سورة البقرة شاهد على الأثر السلبي للمراوغة والمماطلة.
4. توجيه الدراسات والبحوث لاستخراج النصوص والقصص المرتبطة بمبدأ الطاعة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث، وتحليلها وأخذ العبرة والقدوة منها، وتعميمها على المجتمع.
5. امتثال الطاعة من المرأة لزوجها، ومن الأبناء للوالدين، ومن الطلبة للمعلمين، مع مراعاة أن تكون طاعة بالمعروف. والمعروف هو ما وافق دين الله وشريعته.
6. إن كان الرفقاء ثلاثة فأكثر أَمّروا أحدَهم، وإن كانا اثنين تطاوعا، فقد بعَثَ النبي ﷺ: مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى اليَمَنِ فأوصاهما قائلاً: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»[2].
7. الوصول إلى القرارات بطريقة شورية، ومراعاة تعليل الأوامر وتوضيح مبرراتها ما أمكن، فهذا يساعد في تفهمها وقبولها وحسن الامتثال لها؛ وقد استخدم القرآن الكريم هذا المنهج، فخُتمت كثيرٌ من الآيات بكلمة (لعلكم)، تعليلاً لحُكْمٍ أو بياناً لحِكْمَة.
8. ترسيخ مفهوم الطاعة المبصرة، المستندة إلى العلم والفهم، فقد بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، فَغَضِبَ، فَقَالَ: أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا، فَجَمَعُوا، فَقَالَ: أَوْقِدُوا نَارًا، فَأَوْقَدُوهَا،

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، ج9، ص94، ح7288.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ج4، ص65، ح3038.

فَقَالَ: ادْخُلُوهَا، فَهَمُّوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا، وَيَقُولُونَ: فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[1].

9. على علماء الأمة وقادتها أن يقوموا بواجبهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 401]. ومن الأولويات التي يأمرون بها الإعداد المادي والمعنوي، والنصرة والرباط والنفير والجهاد في سبيل الله. وعلى أبناء الأمة سرعة الامتثال بالسمع والطاعة في المنشط والمكره وتحمل الأذى في سبيل ذلك.

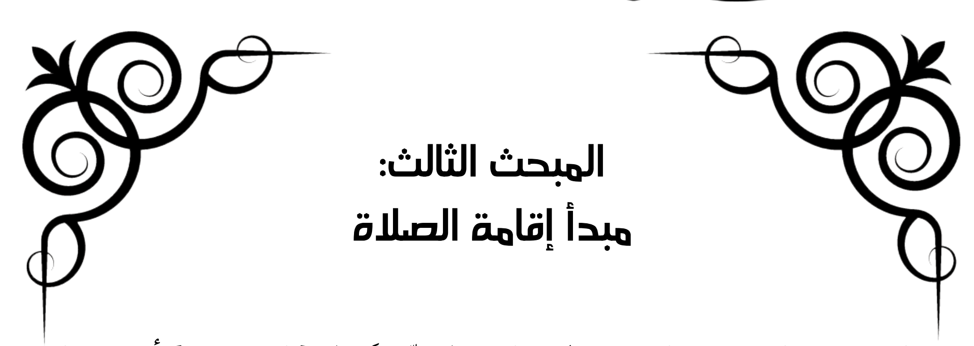
10. رفض الانصياع لأي أمر فيه مخالفة لدين الله وشريعته، قال تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:12]، فالتدبر في هذه الآية يوحي أن طاعة النبي ﷺ - على فضله وعظيم مكانته - مشروطة أن تكون في معروف، وهو لا يأمر إلا بالمعروف ﷺ، فكيف بغيره من البشر. يقول سيد قطب ﵀ في تعليقه على الآية: «هذا الشرط هو أحد قواعد الدستور في الإسلام، وهو يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حاكم إلا في المعروف الذي يتفق مع دين اللّه وشريعته، وأنها ليست طاعة مطلقة لولي الأمر في كل أمر! وهي القاعدة التي تجعل قوة التشريع والأمر مستمدة من شريعة الله، لا من إرادة إمام ولا من إرادة أمة إذا خالفت شريعة الله. فالإمام والأمة كلاهما محكوم بشريعة الله»[2].

11. ترك طاعة الكافرين والمنافقين من القادة والأمراء وعلماء السلاطين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، فهم يثبطون الناس عن واجب النصرة والرباط والجهاد لتحرير بيت المقدس والأرض المباركة قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 84].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب سرية عبدالله بن حذافة، ج5، ص161، ح4340.

(2) قطب: سيد إبراهيم (ت: 1966م). **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، د. ط، ج6، ص3548.



المبحث الثالث:
مبدأ إقامة الصلاة

الصلاة في اللغة: هي الدعاء، قال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:103] أي ادع لهم. وكل داعٍ مُصّلٍ، والصلاة من الله تعالى على عباده رحمته بهم، ومن الملائكة على الناس الدعاء لهم والاستغفار، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب:43]، أما صلاة الناس لخالقهم فهي تكون بالصلاة المخصوصة التي فيها قيام وركوع وسجود ودعاء وتسبيح.

وإقامة الصلاة تكون بالدوام على أدائها، والمحافظة على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:23]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُون﴾ [المعارج:34].

والمتتبع يلحظ أن الصلاة عبادة في كل الشرائع، مع اختلاف صورها وطرق أدائها، وهي عند أهل الإسلام: أعظم العبادات، والركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين، والفرض منها خمس صلوات في كل يوم وليلة، لا تسقط بسفر أو مرض أو خوف، وتسقط عن المرأة بالحيض والنفاس، يصليها المسلم جماعة ومنفرداً، ويستوي في صفوفها الناس ويتراصون، ويُرفع لوقتها الأذان، وتُقام لأجلها الجمعة والجماعات، ويسبقها طهارة بوضوء أو تيمم، وتبدأ بتكبيرة الإحرام وتنتهي بالتسليم. وقد ورد ذكر الصلاة والأمر بها في القرآن الكريم أكثر من (90) مرة[(1)]، مما يؤكد عظيم مكانتها، فهي صلة العبد بربه، وأول ما يسأل عنه يوم القيامة، ووردت أحاديث تبين أن من تركها فقد كفر. ولأهمية الصلاة فإننا نُعلّمها للأبناء صغاراً، ونأمرهم بها كباراً، وقد رفعت المآذن للتذكير بها، وبنيت المساجد لأدائها. وهي أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما بيّن النبي ﷺ حين سئل: أَيُّ العمل أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قال: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»[(2)].

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص413.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى" ووصينا الإنسان بوالديه"، ج8، ص2، ح5970.

ومن الجدير بذكره أن الصلاة كانت من آخر ما وصّى به النبي ﷺ قبل وفاته. كما روى ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: «كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[1].

وقد تميزت الصلاة عن غيرها من سائر العبادات بأنها فرضت في السماء أثناء رحلة المعراج[2]، وكانت قبلتها الأولى بيت المقدس في أرض فلسطين المقدسة المباركة، ثم تحوّلت بأمر الله تعالى شطر مكة المكرمة حيث أول بيت وضع للناس - المسجد الحرام-، وكان ذلك التحول في القبلة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة بسبعة عشر شهراً [3].

وإذا أُقيمت الصلاة جماعة ضُوعف أجرها إلى (27) درجة، لقول النبي ﷺ: «صَلاَةُ الجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلاَةَ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»[4]. وإن صُلِّيَت في المسجد الحرام ضُوعف أجرها إلى مئة ألف صلاة، وإلى ألف صلاة في المسجد النبوي، كما قال النبي ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»[5]. ويضاعف أجره صلاة الجماعة إلى مئتين وخمسين صلاة في المسجد الأقصى، كما رَوى أبو ذَرٍّ رضي الله عنه، فقال: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ النبي ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى»[6].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب في حق المملوك، ج4، ص339، ح5156. وصحّحه الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح5156.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المعراج، ج5، ص52، ح3887.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق، ج9، ص87، ح7252.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل صلاة الجماعة، ج1، ص131، ح645.

(5) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام، ج1، ص451، ح1406. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج3، ص406.

(6) الحاكم، محمد بن عبد الله (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ1990-م، باب أما حديث أبي عوانة، ج4، ص554، ح8553. وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه" وقال الذهبي صحيح.

تطبيق مبدأ إقامة الصلاة

1. التوعية بأهمية الصلاة ومكانتها وحُكْمها بين شرائع الإسلام، وأنها أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ»[1].

2. التحذير من ترك الصلاة أو الغفلة عنها، ومعالجة مظاهر التهاون بها كتأخيرها عن وقتها أو العجلة المخلّة بأركانها.

3. يقدم الوالدان والمربّون والمسؤولون من أنفسهم القدوة الحسنة في إقامة الصلاة والحفاظ عليها.

4. التوعية والتذكير بأن من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:14]، وعن أنس بن مالك، قال: قال نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً، أَوْ نَامَ عَنْهَا، فَكَفَّارَتُهَا أَنْ يُصَلِّيَهَا إِذَا ذَكَرَهَا»[2].

5. نشر الكتب والمنشورات والمطويات التي تزيد من الوعي بأحكام الصلاة والطهارة، وتضمين المناهج الدراسية دروساً تعرّف بها، والعناية بتطبيقات الهواتف والبرامج الحاسوبية التي تخدم تعليم الصلاة وتذّكر بمواقيتها وتعين على أدائها.

6. تضافر جهود العلماء والخطباء والمدرسين والأسرة في تعليم الصلاة وبيان أركانها وشروطها، وعقد الدروس والمحاضرات الدورية في وسائل الإعلام والمساجد، وإنتاج مقاطع الصوت والفيديو التي تحتوي مواعظ تُذَكِّرُ وتُرَغِّبُ بالصلاة، وتحث على الخشوع فيها.

7. توجيه الإعلام للقيام بدوره في غرس مبدأ إقامة الصلاة عند إنتاج الأفلام والمسلسلات والدعايات، وذلك استكمالاً لدور مؤسسات التربية كالأسرة والمسجد والمدرسة.

8. تخصيص أماكن للصلاة في الأسواق وأماكن العمل، وبناء المساجد في المدارس والجامعات

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في أول ما يحاسب عنه العبد، ج2، ص269، ح413. وقال حسن غريب.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب قضاء الصلاة الفائتة واستعجال تعجيل قضائها، ج1، ص477، ح684.

ومعسكرات الجيش والتدريب.

9. العناية بكفايات العاملين في المساجد من أئمة وخطباء ومؤذنين، وتقديم الأعلم والأتقى والأحسن خلقاً والأندى صوتاً.
10. البدء باكراً بتعليم الأبناء الصلاة وأمرهم بها، لقول رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[1].
11. ربط القلوب بالمساجد، بكثرة المشي إليها، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فيها، واصطحاب الأبناء إلى الجمعة والجماعات، ومراعاة التلطف مع المصلين من الأطفال.
12. تهيئة المساجد ومرافقها لتناسب كبار السِن وذوي الاحتياجات الخاصة.
13. مراعاة وجود مرافق مناسبة للنساء في المساجد، لأجل الوضوء والصلاة.
14. التوجيه للحرص على الطهارة والنظافة وأخذ الزينة عند صلاة الجمعة والجماعات والعيدين، والاغتسال لها والتبكير إليها، والإنصات لخطبتها.
15. التعريف بأحكام الصلاة الخاصة بالمرضى، وأصحاب الأعذار، والمسافرين: كالتيمم، والمسح على الخفين والجبيرة، وجمع الصلوات وقصرها، وصلاة الخوف.
16. التذكير بفضل صلاة السنن والنوافل وأنها تقرّب المسلم من ربه، وتزيد من حبه لعبده، وترفع درجته وتجبر النقص في صلاته يوم القيامة، وبالنوافل تعمر البيوت بذكر الله والصلاة.
17. الترغيب بأداء صلاة الليل من قيام وتهجد ببيان فضلها وأجرها.
18. التأكيد على فضل صلاة الاستخارة، وأهميتها في توجيه مسار المؤمن، والعناية بتحفيظ الدعاء الوارد فيها [2].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133، ح495. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح495.

(2) دعاء الاستخارة، كما أخرجه البخاري 6382: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيمِ، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولَا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولَا أَعْلَمُ، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأمْرَ

19. يحرص المسلم على عمارة المساجد: عمارة مادية ببنائها وصيانتها عموماً والإنفاق عليها، وكذلك عمارتها المعنوية بالصلاة والاعتكاف فيها للعبادة والذكر وطلب العلم.

20. ينبغي شَدَّ الرّحال للصلاة في المساجد الثلاث، لمن استطاع إلى ذلك سبيلاً، رجاء ربط القلوب بها ونيل ثواب زيارتها والأجر المضاعف للصلاة فيها، قال النبي ﷺ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[1].

21. يستعين أهل الأرض المباركة أثناء رباطهم وجهادهم بالصبر والصلاة، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة:153].

22. يتوجب على القاطنين في الأرض المباركة - قبل غيرهم وهم رأس حربة أمتهم - أن يواظبوا على شَدَّ الرّحال للصلاة في المسجد الأقصى المبارك والرباط فيه ليبقى عامراً بالأذان وذكر الله تعالى، فلا يترك المسجد الأقصى المبارك فارغاً من المصلين والمرابطين حتى يأذن الله بفكّ أسره وتطهيره.

23. ينبغي اسراج قناديل المسجد الأقصى بالزيت وبما يصلح حاله، وتهيئته للقائمين والعاكفين والركع السجود، والعمل على تحريره وإزالة القيود التي تمنع من عمارته، ومده والمرابطين والمصلين في رحابه بما يبقيه رمزاً شامخا وجامعاً وموحداً للأمة، وقد أخرج أحمد في مسنده عن زياد ابن أبي سَوْدة عن ميمونةَ مولاةِ النبيِّ ﷺ أنها قالت: يا رسولَ الله، أفتِنا في بيتِ المَقدِسِ، فقال: «ايتُوهُ فصَلوا فيه - وكانت البلادُ إذ ذاك حَرباً- فإن لم تأتوه وتُصَلُّوا فيه، فابعَثوا بزَيتٍ يُسرَجُ في قَناديلِه»[2].

خَيْرٌ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قالَ: في عَاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذا الأَمْرَ شَرٌّ لي في دِينِي ومعاشِي وعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قالَ: في عَاجِلِ أَمْرِي وآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي واصْرِفْنِي عنْه، واقْدُرْ لي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي به".

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج2، ص60، ح1189.

(2) الشيباني، أحمد بن محمد (ت:241هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م، باب السرج في المساجد، ج١، ص343، ح457. وضعّفه الأرنؤوط في تخريج أحاديث مسند أحمد.

المبحث الرابع:
مبدأ التَّوَكُّل على الله تعالى

التوكل على الله من أعمال القلوب، وهو من أعظم العبادات التي يستعين بها المؤمن في كل أحواله، وتبرز أهميته أكثر عند الشدائد والمحن، وعند المرض والفقر؛ فبه يلجأ المؤمن إلى الله تعالى نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق:3]، وبه يعتمد المرء على ربه، ويفوض أمره إليه، ويثق أن الله هو عونه ونجدته، وهذا يزيده طمأنينة وثباتاً، ويدفع عنه الخوف واليأس.

يقول ابن منظور: تَوَكَّلَ بالأَمر إِذا ضَمِن القِيامَ بِهِ، ووَكَلْت أَمري إِلى فُلَانٍ أَي أَلجَأْتُه إِليه وَاعْتَمَدْتُ فِيهِ عَلَيْهِ، ووَكَّلَ فلانٌ فُلَانًا إِذا استَكْفاه أَمرَه ثِقةً بكِفايتِه أَو عَجْزاً عَنِ القِيام بأَمر نَفْسِهِ. ووَكَلَ إِليه الأَمرَ: سلَّمه. والمُتَوَكِّل على الله: هو الذي يعلم أن الله كافِلٌ رِزْقَهُ وأَمْرَه فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره[1]. ومن أسماء الله تعالى: الوَكِيلُ، الذي تكفّل بخلقه وبأرزاقهم وشؤونهم.

ومما يدل على أهمية التوكل ومكانته أن القرآن الكريم أوصى به وأمر به وأثنى على المتوكلين (68) مرة [2]. كما وردت أحاديث وأدعية نبوية تغرس التوكل في النفوس وتؤكد عليه، كما في حديث عمر بن الخطاب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « لو أنكُم كُنتُم توكلُون على الله حق توكله لرُزقتُم كما يُرزقُ الطيرُ تغدُو خِماصاً وترُوحُ بِطاناً»[3]، ودعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» [4].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص734.

(2) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص762.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب في التوكل على الله، ج4، ص151، ح2344. وقال حديث حسن صحيح.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب التعوذ من شرّ ما عمل، ج4، ص2086، ح2717.

والتوكل على الله تعالى ثمرة الإيمان الصحيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:23]. فالدعاء والاستعانة والاستغاثة بالله ﷻ والاعتماد عليه، كلها مظاهر وتطبيقات لما في القلب من الإيمان، وكلما زاد الإيمان في القلب زاد التوكل على الله.

وقد قدّم الأنبياء عليهم السلام أروع الأمثلة في التوكل على الله تعالى وتفويض الأمر له، فلم يخافوا في الله لومة لائم، ولم يداهنوا الباطل، فهذا هود عليه السلام يجابه بمفرده جموع المشركين، ويستهين بكثرة عددهم وعدتهم؛ وما ذاك إلا لشدة إيمانه بربه وتوكله عليه، ويقينه بنصره، قال تعالى يحكي عن هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:56]، يقول الرازي يصف توكل هود عليه السلام: «واعلم أن هذا معجزة قاهرة، وذلك أن الرجل الواحد إذا أقبل على القوم العظيم وقال لهم: بالغوا في عداوتي وفي موجبات إيذائي، ولا تؤجلون فإنه لا يقول هذا إلا إذا كان واثقاً من عند الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه»[1]. وعليه فإن التوكل الصحيح، يعتبر طارداً للخوف من القلب، ومثبتاً للأقدام ودافعاً للإقدام.

وقد توكّل إبراهيم عليه السلام على ربه، حين حطّم أصنام المشركين، وقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فجعلَ اللهُ النارَ برداً وسلاماً عليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما: حسبُنا اللهُ ونعم الوكيلُ، قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها مُحمدٌ ﷺ حين قالُوا: ﴿إن ٱلناس قدۡ جمعُوا لكُمۡ فٱخۡشوۡهُمۡ فزادهُمۡ إيمٰنًا وقالُوا حسۡبُنا ٱللهُ ونعۡم ٱلۡوكيلُ﴾ [آل عمران: 173][2].

أما موسى عليه السلام الذي صنعه الله تعالى على عينه، فكان كلمّا اشتد الكرب على قومه، ذّكرهم بالتوكل على الله، وتفويض الأمر له، والثقة به، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِين﴾ [يونس:84]. وظهر التوكل جلياً في قصة خروج موسى عليه السلام من مصر عندما لحق فرعون وجنوده بالخارجين، وظن الناس أنهم مدركون، فقال موسى عليه السلام لهم واثقاً مثبتاً: كلا إن معي ربي سيهدين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ * قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:61-62].

(1) الرازي: **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج18، ص365.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله" فاذهب أنت وربك فقاتلا"، ج6، ص39، ح4563.

تطبيق مبدأ التَّوَكُّل على الله تعالى

1. التوعية بمبدأ التوكل على الله تعالى، وبيان أهميته وأدلته وعلاقته بإخلاص العبودية لله تعالى.
2. ترغيب الناس بالتوكل على الله سبحانه، فهو نعم المولى ونعم الوكيل ونعم النصير، وتعريفهم بأن الله يحبّ المتوكلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:159].
3. تتعاون الأسرة والمدرسة في تربية الأبناء على مبدأ التوكل على الله تعالى، وغرسه في نفوسهم، من خلال المناهج الدراسية، والتطبيقات العملية، وتعليم الدعاء به، كما يراعي الآباء والمعلمون أن يكونوا قدوة حسنة في التوكل الصحيح.
4. تعظيم مقام الله تعالى في قلوب المؤمنين بتعريفهم بأسمائه وصفاته، وتذكيرهم بنعمه وبأيامه ورحمته وعونه لعباده، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: 5]، فكلما زادت المعرفة بالله تعالى زاد القرب منه وعظم التوكل عليه سبحانه.
5. تخصيص الله العظيم بعبادة التوكل، فلا نعبد غيره ولا نتوكل إلا عليه سبحانه؛ فالاستعانة بالله والتوكل عليه جوهر العبادة، كما قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5].
6. الاستعانة والدعاء والاستغاثة إذا كانت بقصد بعيد عن العبادة، مثل ما يجري بين الناس من معاملات، وما يحصل بينهم عادة من طلب العون والمساعدة لإنجاز أمر ما، فليس فيه محذور، وهو يجري مجرى الأسباب التي يأخذ بها الإنسان.
7. إبراز القدوات والنماذج الحسنة في التوكل على الله، من خلال العناية بالقصص القرآني والسيرة النبوية والتاريخ، وجمعها ودراستها، وتقديمها للناس.
8. نشر العبارات والأدعية المأثورة التي تعبر عن التوكل الصحيح، وإشاعتها بين الناس، مثل: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:173]، ودعاء الخروج من المنزل، الذي يقول فيه النبي ﷺ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ، وَكُفِيتَ، وَوُقِيتَ، فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ»[1].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب ما يقول إذا خرج من بيته، ج4، ص325، ح5095، وصحّحه الألباني في: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح5095.

9. ربط مبدأ التوكل بالأخذ بالأسباب، فليس مع التوكل قعود، بل يصاحبه عمل وسعي واجتهاد وإعداد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:46]، فمن أراد الجهاد أو النجاح أو الرزق أو الشفاء أخذ بأسبابه وأعد للأمر عدته واستعان بالله تعالى وصبر، كما قال ﷺ: « يَا عِبَادَ اللهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاء»[1].

10. توجيه الأبحاث لدراسة ظاهرة تقدم الأمم الأخرى وتراجع المسلمين، وربط ذلك بالخلل الحاصل في فهم وتطبيق مبدأ التوكل والتقصير في الأخذ بالأسباب والصبر عليها.

11. استحضار مبدأ التوكل على الله في مواجهة أعداء الأمة، والأخذ بأسباب النصر، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:7]. فتوحيد الأمة على الإيمان، ونشر العلم النافع، والإصلاح الإداري والاقتصادي والعسكري، كلها من أسباب النصر.

12. الاستعانة بالله تعالى والصبر، فهما من مستلزمات التوكل، كما يقول ابن عاشور: «والتوكل هو جماع قوله: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ [الأعراف:128]، وقد عبّر عن ذلك بلفظ التوكل في قوله: ﴿يَاقَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِين﴾[يونس:84]، فإن حقيقة التوكل أنه طلب نصر الله وتأييده في الأمر الذي يرغب حصوله، وذلك داخل في الاستعانة وهو يستلزم الصبر على الضُّرِّ لاعتقاد أنه زائل بإذن الله»[2].

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في الدواء، ج4، ص383، ح 2038، وقال حسن صحيح. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج5، ص38، ح2038.

(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج9، ص59.



المبحث الخامس:
مبدأ المحاسبة

المحاسبة مبدأ تربوي له مقدمات كالمراقبة والإحصاء والمراجعة والتقييم، وينبني عليها نتائج كالمؤاخذة والمجازاة، يقول ابن عاشور: «الْمُحَاسَبَةُ مشتقة من الْحُسْبَانِ وهو الْعَدُّ، فمعنى يحاسبكم في أصل اللغة: يَعُدُّهُ عليكم، إلا أنه شاع إطلاقه على لازم المعنى وهو المؤاخذة والمجازاة، كما حكى الله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشعراء:113]»[1]. ومبدأ المحاسبة: يقتضي أن يؤمن المرء بالمحاسبة ويتقبلها ويستعد لها، ويمارسها فيُحَاسِب نَفْسَه قبل أن يُحَاسَب، ويُحَاسِبُ غَيْرَه بغية تصحيح الأخطاء وتطوير الأعمال ومتابعتها.

وعلى المرء محاسبة نَفْسه قبل أن يحاسبه ربه أو الآخرون؛ فهذا منهج تربوي تقويمي أمر الله تعالى به فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:18]، وهو معنى قول النبي ﷺ: «الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»[2]، أي أن العاقل الفَطن يحاسب نَفْسَهُ، ويزّكيها ويصحّح مسارها فيما يرضي الله تعالى. وأعظم المحاسبة ما كانت من الله تعالى لعباده، بحضرة الأنبياء والشهداء يوم القيامة، حيث تعرض الأعمال، وتنشر الصحف، وتوزن الحسنات والسيئات، ويكون الجزاء الأوفى، وقد سُمّي يوم القيامة بيوم الحساب في أربع آيات قرآنية[3]، تنبيها للغافلين عنه.

وذكر لنا النبي ﷺ جانباً مما يحاسب عنه العبد يوم القيامة، فقال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ

---

(1) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج3، ص130.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، ج4، ص219، ح2459، وقال الترمذي حديث حسن. وضعّفه الألباني: **ضعيف سنن الترمذي**، ط1، ج5، ص459، ح2459.

(3) الآيات [ص: 16]، [ص: 26]، [ص: 53]، [غافر: 27].

أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1]. كما نبّه ﷺ المسلمين إلى أن أول ما يحاسب عليه العبد فيما بينه وبين ربه من حقوق، الصلاة، فقال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ»[2]، ومن جانب آخر فإن أول ما يقضى بين الناس من حقوق، الدماء - قتل النفس التي حرم الله تعالى- لقول رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»[3].

وسجّل لنا القرآن الكريم مشهد محاسبة إبليس حين تكبر فعصى الله ولم يسجد لآدم عليه السلام، فسأله ربه سبحانه واستمع جوابه، ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف: 12]، ثم حُكِم عليه أن يخرج منها مذموماً مدحوراً، وأُنْظِر إلى يوم يبعثون. أما آدم عليه السلام، فمع أنه رجع إلى الله تائباً، إلا أنه حوسب وجوزي بإخراجه من الجنة. ولعل هذه صورة مصغرة لحساب يوم القيامة نسأل الله السلامة؛ فسوف يحاسب كل إنسان، فيكرم بدخول الجنة أو يهان بدخول النار، كما قال النبي ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[4].

ويشّكل إيمان المسلم بالحساب والميزان والجزاء يوم القيامة، دافعاً كبيراً لعمل الخير واجتناب الشرّ، كما قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:3]، والنفس اللوامة نفس عظيمة أقسم الله بها، لأنها تُكْثِر محاسبة صاحبها، تلومه إن قصّر في الطاعة، وتلومه إن اقترف معصية.

وتبدأ محاسبة المرء لنفسه قبل شروعه بالعمل؛ فإن ترجَّح له صحة ما هو مقبل عليه باشر فيه وإلا تركه، ثم يعالج نيته ويُخْلِصُ لربه، ويتحرى الإتقان والإحسان، ثم يختم بحمد الله واستغفاره، معتذراً لربه راجياً منه القبول.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب في القيامة، ج4، 612، ح2417. وقال حديث حسن صحيح، وصححّه الألباني، **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج5، ص417، ح2417.

(2) النسائي: **المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي**، باب المحاسبة على الصلاة، ج1، ص233، ح466. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي**، ج2، ص110، ح466.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، ج3، ص1304، ح1678.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الوضوء، ج1، ص203، ح223.

وتشرع محاسبة الآخرين، في إطار متابعة كل راع لرعيته، فقد حاسب سليمان عليه السلام الهدهد وناقشه في سبب غيابه، ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل:27]، وحاسب موسى أخاه هارون عليهما السلام بعد عودته من ميقات ربه غضبان أسفاً؛ وفي ذلك تأكيد على مشروعية المحاسبة في كل مستويات القيادة والإدارة، فهي لا تَضُر العامل ولا تنقص من قدره؛ بل تؤكد أمانته، وتصوّب مساره، وتجعل منه أسوة لغيره وعبرة.

وقد مارس النبي ﷺ المحاسبة مع عمّاله وقادته؛ حين قال الرجل الذي اسْتَعْمَله على جمع الصدقة: "هذا لكم وهذا أُهْدِيَ لِي"، فصحّح له النبي ﷺ فهمه وقوّم سلوكه، ثم استثمر الموقف في تقديم توجيه عام لكل أمثاله من العمّال والموظفين، فقال ﷺ: «فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، إِنْ كَانَ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ»[1].

تطبيق مبدأ المحاسبة

أولاً: تطبيق محاسبة النفس

1. إدراك أهمية أن يحاسب المرء نفسه، فهذا خيرٌ له ونجاة، كما أوصى الله تعالى عبادة المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:18]، ويحاسب المرء نفسه استعداداً للقاء الله تعالى وحسابه يوم القيامة، وهذا مما يعزز الرقابة الذاتية.
2. ينبغي إدراك طبيعة النفس البشرية، وأنها أمّارة بالسوء، وقد تظلم صاحبها جهلاً أو طمعاً، فينبغي مراقبتها ونهيها عن الهوى، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:40-41].
3. ويحاسب المرء نفسه قبل الشروع بالعمل، فإن كان ما سيعمله معصية أو كان ضرره أكثر من نفعه؛ ترك ذلك العمل، وإن كان خيراً مضى فيه، وعالج نيته ليقصد بعمله وجه الله تعالى ورضاه.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب هدايا العمال، ج3، ص159، ح2597. (استعمل) وظّف، (رغاء) صوت ذوات الخُفّ. (خُوَارٌ) صوت البقر، (تَيعَرُ) وهو صوت الشاة.

4. يحاسب المرء نفسه في آخر يومه، وقبل نومه، ويتصفح ما قامت به جوارحه في نهاره، فيحمد الله على صواب عمله وسلامة نيته، ويندم على فعل المعصية، ويستدرك ما فاته.

5. يبحث المسلم له عن أسوة حسنة من صالحي السلف أو الخلف، ويقرأ ويستمع من أخبارهم، ويتعظ من مواقفهم في محاسبتهم أنفسهم.

6. يحاسب المرء نفسه بعد العمل، «على طاعة قصّر فيها من حق الله، فلم يوقعها على الوجه الذي ينبغي، كما يحاسب نفسه على كل عمل تَرْكُهُ كان خيراً من فعله، ويحاسب نفسه على أمر مباح، أو معتاد: لِمَ فعله؟»[(1)] ليستدرك في القادمات ويعتاد استحضار النيات.

7. يراعي المسلم أن يبدأ بمحاسبة نفسه على فعل الطاعات التي فرضها الله تعالى، كالصلاة والصيام والزكاة وبرّ الوالدين والجهاد، ويستدرك النقص فيها وما فاته منها، ويحاسب نفسه ويُعجّل بالتوبة.

8. العناية بما يعين على المحاسبة الذاتية ويدفع إلى الجدّ والاجتهاد، وتلافي التقصير، ومنها:

أ. إدراك أهمية المحاسبة وفائدتها في مراجعة الذات وتجنب السيئات والأخطاء والرجوع عنها، وتقييم الأعمال الصالحة للتأكد من صحتها والتزود منها.

ب. استحضار النصوص من القرآن والسنة، التي تُؤكد وتُذكّر بإحصاء الملائكة لأعمال الناس في الدنيا، وحسابهم عليها في يوم القيامة، مثل قوله تعالى: ﴿**وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف:49].وقول الله تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[(2)].

(1) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد. **محاسبة النفس**، تحقيق: مجدي إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، د. ط، ص13.
(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ج1، ص1994، ح2577.

ت. استشعار عظمة الله تعالى، واستذكار أسمائه وصفاته، فهو سبحانه سميعٌ عليمٌ بصير، ورقيبٌ وحفيظ، لا تخفى عليه خافية، وهو مُطلعٌ على عبده، ويرقب أحواله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:4].

ث. التفكّر والنظر في عواقب الأمور، والسعي لتيسير الحساب وتهوينه يوم القيامة.

ج. الخشية من تعجيل عقوبة المعاصي التي تمحق النعم في الدنيا وتنزع البركة، وتعقب بغض الله تعالى، ثم بغض أهل السماء والأرض، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:276]، وقال النبي ﷺ: « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»(1).

ح. استذكار الغاية التي خُلق من أجلها الإنسان، وهي عبادة الله تعالى وطاعته، وعمارة أرضه، وخلافته فيها، وأن الحياة الدنيا دار ابتلاء للناس أيهم أحسن عملاً، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:115].

ثانياً: محاسبة الناس بعضهم:

1. العلاقات الأبوية والأخوية والزوجية من لوازمها النّصح والتذكير والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة، ويراعى فيها تقديم الفضل على العدل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:237]، فبالعدل ينال كل ذي حق حقه، وبالفضل والإحسان يكون العفو والتنازل والتسامح والتغافل.

2. اعتماد المحاسبة في أي عمل إداري أو وظيفي أو مهني، بناء على الأسس الصحيحة والمتعارف عليها. وصياغة معايير ومقاييس للجودة في المجالات المختلفة، والإعلان عنها وتوضيحها للمعنيين.

3. تطوير أدوات المراقبة والمتابعة لجمع البيانات والتثبت منها، ومراعاة دقتها وتنوع مصادرها، وتطبيق المحاسبة بناء عليها بالعدل على كافة المستويات الإدارية.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، ج9، ص142، ح7485.

4. تأسيس الهيئات واللجان لتشرف على مهام التفتيش والمحاسبة، وتمكينها من الأدوات والصلاحيات، وتفعيل أنظمة تكافئ المحسن وتعاقب المقصر، والإعلان عنها مقدماً.

5. ينبغي تَقَبُّل المحاسبة، والاستعداد النفسي لها، ودعوة الناس للتعامل الإيجابي معها؛ فقد دعا الخلفاء الراشدون الناس إلى مراقبتهم، وحثّوا الناس على محاسبتهم، فخطب أبو بكر ﷺ في الناس قائلاً: «إِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي»[1]، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: «لَا خَيْرَ فِيهِمْ إِنْ لَمْ يَقُولُوهَا لَنَا، وَلا خَيْرَ فِينَا إِنْ لَمْ نَقْبَلْ»[2].

6. دعم حرية الصحافة والإعلام، لتقوم بدورها في الرقابة الاجتماعية، وتتبع مظاهر الفساد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقديم النقد البناء.

7. تمثيل الناس والطلاب والعمال في مجالس شورية ونقابية، لمتابعة شؤونهم والمطالبة بحقوقهم والمحاسب باسمهم.

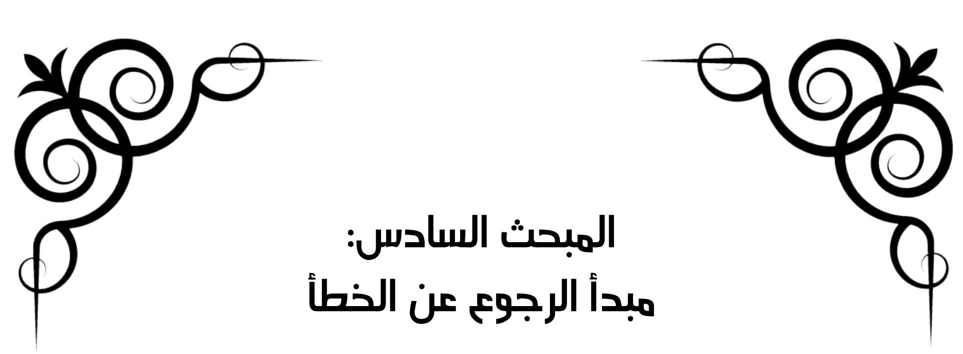
8. اعتماد المحاسبة استراتيجية لتطوير الأعمال وتحسينها، وأداة تمنع الفساد والتسلط أو استغلال المنصب.

9. السرعة في محاسبة المفسدين والخائنين، بالوصول إليهم والقدرة عليهم، وإعلان عقوبتهم دون تأخير، إحقاقاً للحق، وبتراً للفساد، فالله سبحانه سريع الحساب وسريع العقاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: 51].

---

(1) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج6، ص333. وقال ابن كثير: هذا إسناد صحيح.

(2) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ). **الخراج**، تحقيق: طه عبد الرؤوف وسعد حسن، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت، ج1، ص22.



المبحث السادس:
مبدأ الرجوع عن الخطأ

يُعدّ الرجوع والإنابة إليه ﷻ من صفات الأنبياء ﷺ والعباد الصالحين. وصفة "الأواب" تعني: الرَّجّاع الذي يرجع إلى الله بالتوبة والطاعة، من قولهم: قد آب يؤوب أَوْباً: إذا رَجَع[1].

ونجد أن الله ﷻ أثنى على داود وسليمان وأيوب ﷺ ووصف كلاً منهم بصفة (الأواب)؛ فقال عن داود ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: 17]، وقال ﷻ يمتدح سليمان وأيوب ﷺ: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّاب﴾ [ص:30] و[ص:44].

يقول الرازي: «ذَكَرَ اللهُ تعالى: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ ثم قال بعده: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، وهذه للتعليل مما يدل على أنه إنما كان نعم العبد لأنه كان أواباً، فيلزم أن كل من كان كثير الرجوع إلى الله تعالى- في أكثر الأوقات وفي أكثر المهمات - كان موصوفاً بأنه نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ[2].

وفي أسماء الله تعالى ما يناسب صفة العبد الأواب كالغفور والغفار والعفو والتواب والرحمن الرحيم، وهي مرتبطة بفتح باب التوبة والرجوع إليه سبحانه؛ فضعف الإنسان وتكرار خطئه ونسيانه يناسبه أن تفتح له أبواب الندم والاستغفار، والمرء مفتقر لعفو الله عنه كلما وقع في الذنب، وهذا ما نص عليه الحديث القُدسي، قال الله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[3].

---

(1) الأنباري: محمد بن القاسم (ت: 328هـ). **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م، ج1، ص115.

(2) الرازي: **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج26، ص389.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ج4، ص1994، ح2577.

لكن على المؤمن أن يتحرى طاعة الله تعالى، ويجتنب معصيته، ويحذر خطوات الشيطان، ويحيط نفسه بمن يذّكره إن نسي ويشجعه إن أصاب ويرشده إن ضلّ، ثم إن زلّت قدمه في المعصية بادر إلى الاستغفار والتوبة النصوح التي يكون معها إخلاص وندم وإقلاع عن الذنب وعزم على عدم الرجوع إليه، وفيها ردُّ الحقوق لأصحابها، واعتزال لأهل الباطل والمعصية. وينصح بتعجيل التوبة خشية فوات أوانها، ففي تأخيرها مظنة اعتيادها أو الإصرار عليه.

ولا يَملّ المؤمن من التوبة وتكرار الرجوع إلى الله ﷻ، مهما عادت نفسه للذنب؛ بل يستمر بمجاهدة نفسه، فيعالجها مرة بالتوبة ومرة بالطاعة، حتى يعظمَ قدر الله في صدره، وتُسلِم نفسه وتُقلِع عن المعصية والشرك؛ فيلقى الله تعالى آيباً تائباً مستغفراً، خيراً من أن يلقاه مذنباً مُصّراً، فعن النبي ﷺ، فِيمَا يَحْكِيه عَنْ رَبِّهِ تعالى، قَالَ: « أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»(1)، فهو ما دام أواباً استحق المغفرة والرحمة.

ويحذر المؤمن من اليأس أو القنوط مهما استعظم ذنبه، فعفو الله تعالى ورحمته ومغفرته أوسع وأعظم، ولقد تاب الله تعالى على أبينا آدم عليه السلام، لما رجع إليه نادماً مستغفراً، وكذلك ينبغي أن يكون حال البشر من الفرار إلى ربهم، ليتوب عليه كما تاب على أبيهم من قبل، قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»(2). أما من يرفض الرجوع إلى ربه ويترك التوبة أو يغفل عنها، فمصيره مع إبليس مذمومًا مدحورًا في جهنم وساءت مصيرًا .

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب قبول التوبة من الذنوب وأن تكررت، ج4، ص2112، ح2758.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت، ج4، ص2113، ح2759.

تطبيق مبدأ الرجوع عن الخطأ

1. التعريف بمبدأ الرجوع عن الخطأ، وعلاقته بالتوبة والاستغفار والإنابة والطاعة له ﷻ وأهميته والأدلة عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية.

2. استخراج النصوص التي تُعنى بالتوبة من القرآن والسنة والتراث، والتي تُذكّر بقصص الأوابين والتائبين، وإبراز القدوات الحسنة منهم.

3. التذكير بأن إسلام المرء توبة، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما في معنى حديث عَمْرِو بن عَبَسَة ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِمُ عَلَى عَصًا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ قَالَ: « أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ « قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ»[(1)].

4. تنمية دوافع التوبة وأهمها الترغيب بعفو الله تعالى وجنّته، وما أعده سبحانه في الجنة للتائبين، والتحذير من عذابه وما أعده في جهنم للمصرّين والمجاهرين بالمعاصي.

5. استمالة العصاة وترغيبهم بالتوبة، وتذكيرهم بعفو الله وسعة رحمته، وفرحه بتوبة عبده ورجوعه إليه، كما قال ﷺ: «اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاَةٍ»[(2)].

6. يتجنب المسلم اتباع خطوات الشيطان، ويبتعد عن مقدمات المعاصي وما يؤدي إليها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: 151].

7. يبادر المؤمن إلى التوبة ويواظب على أدعيتها اليومية، اقتداء بالنبي محمد ﷺ القائل: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(3)].

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، باب حديث عمرو بن عبسة، ج32، ص173، ح19432، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط صحيح بشواهده.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب التوبة، ج8، ص68، ح6309.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم، ج8، ص67، ح6307.

8. الحذر من الاستهانة بالمعصية، أو المجاهرة بها، لقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[1].

9. يدرك المسلم أن ندمه على فعل السيئات يعتبر توبة؛ فيستمر ويواظف على مراجعة نفسه يحاسبها ويلومها، فعن عبد الله بن مَعْقِل، قال: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عبدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ، فقال: أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: « النَّدَمُ تَوْبَةٌ؟ « قَالَ: نَعَمْ، وَقَالَ: مَرَّةً سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»[2].

10. يسعى المسلم حثيثاً لردّ الحقوق إلى أصحابها أو التحلل منها وإصلاح الأخطاء التي تسبب بها، لقول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»[3].

11. يُعجّل المسلم توبته ويترك التسويف به، لقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[4].

12. يرجو المسلم تمام توبته بإتباعها العملَ الصالح والصدقة، لقول النبي ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا»[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ستر المؤمن على نفسه، ج8، ص20، ح6069.

(2) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، مسند عبدالله بن مسعود، ج6، ص37، ح3568، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط صحيح.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب القصاص يوم القيامة، ج8، ص111، ح 6534.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب فضل التوبة والاستغفار، ج5، ص547، ح3537. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج8، ص37، ح3537.

(5) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في معاشرة الناس، ج4، ص355، ح1987. وحسنّه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج4، ص487، ح1987.

13. الرجوع عن القرارات والمواقف والأيمان والنذور إن رأى صاحبها غيرها خيراً منها، لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»[1].

14. معالجة أسباب المعصية، وأهمها: ضعف الإيمان، والجهل بالأحكام الشرعية، ورفقاء السوء. والعناية بالبيئة الصالحة والصحبة المعينة، التي تأمر بالخير وتحضُّ عليه، كما في حديث التائب عن قتل مئة نفس، حيث قيل له: «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ»[2].

15. إقامة المراكز التربوية التي تقدم الدعم للمدمنين على المخدرات والمسكرات، وتساعدهم للتخلص من المعصية والإدمان عليها.

16. توفير برامج الوعظ والإرشاد والدعم النفسي لنزلاء السجون، وترغيبهم بالتوبة والرجوع عن الخطأ.

17. مع أهمية وضرورة استمرار ملاحقة الخونة والجواسيس والمنافقين والغلظة عليهم إلا أنه ينبغي فتح باب التوبة لهم بين فينة وأخرى رجاء تسهيل توبتهم ورجوعهم وتصحيح أخطائهم.

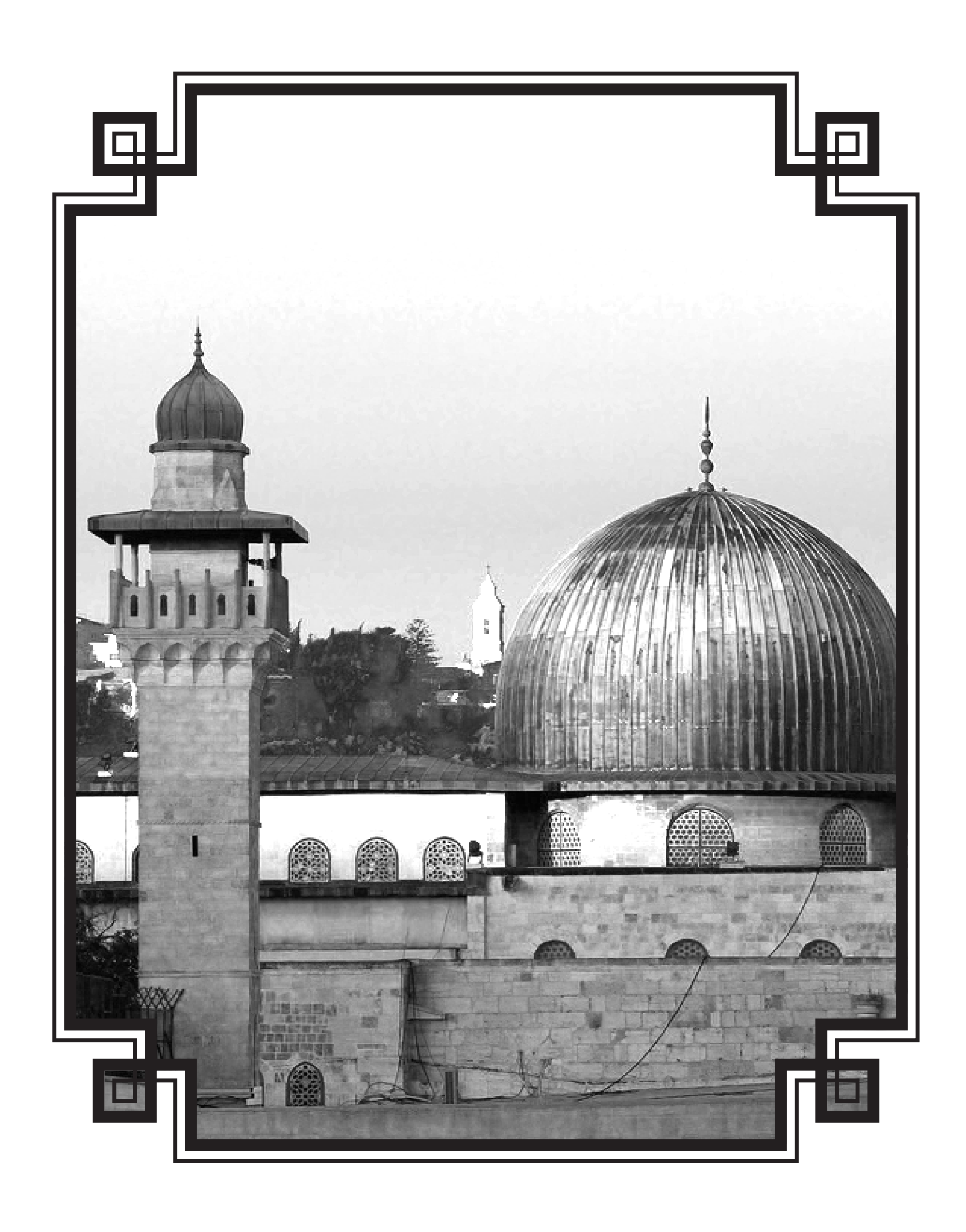
18. التوعية المستمرة بخطر المعاصي والآثام فهي سبب للهزيمة أمام الأعداء، كما قال عمر بن عبد الْعَزِيز وهو يوصي جنده: «إِن الذُّنُوب أخوف عِنْدِي على النَّاس من مكيدة عدوهم، وَإِنَّمَا نُعادي عدونا ونُنصَرُ عَلَيْهِم بمعصيتهم، وَلَوْلَا ذَلِك لم تكن لنا قُوَّة بهم، فَلَو استوينا نَحن وهم فِي الْمَعْصِيَة كَانُوا أفضل منا فِي الْقُوَّة وَالْعدَد»[3].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها، ج3، ص1272، ح1650.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب توبة القاتل وإن كثر قتله، ج8، ص2118، ح 2766.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب توبة القاتل وإن كثر قتله، ج8، ص2118، ح 2766.

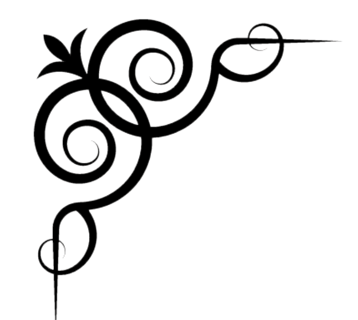
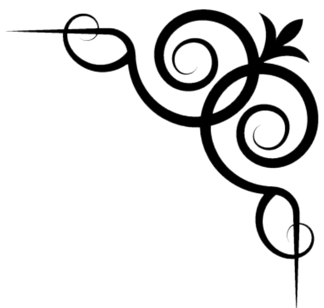




الفصل الرابع: المضامين التربوية في مجال الأخلاق

المحور الأول: المضامين التربوية في مجال الأخلاق الفردية

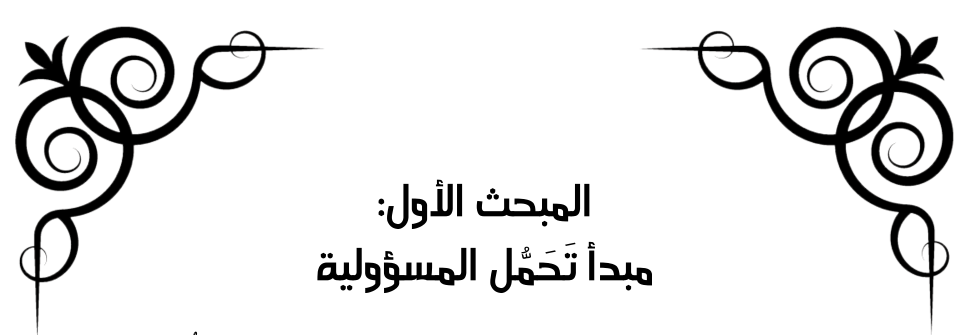
المحور الثاني: المضامين التربوية في مجال الأخلاق الاجتماعية

المحور الأول:

المضامين التربوية في مجال الأخلاق الفردية

1. المبحث الأول: مبدأ تحمل المسؤولية
2. المبحث الثاني: مبدأ العمل الصالح
3. المبحث الثالث: مبدأ الوفاء
4. المبحث الرابع: مبدأ الصبر
5. المبحث الخامس: مبدأ عفة الفرج وإحصانه
6. المبحث السادس: مبدأ العفو والصفح



المبحث الأول: مبدأ تَحَمُّل المسؤولية

تحمل المسؤولية: شعور إيجابي يدفع للالتزام بتحمُّل الأعباء وعدم التَمَلُّص منها أو التقصير فيها. وكلما عَظُمَ هذا الشعور أثمرَ جِدّاً ومثابرة وأداءً للمطلوب على أكمل وجه، وتُعَرَّف بأنها: «حَالُ أَو صِفةُ من يُسْأَلُ عَن أَمرٍ تقعُ عَلَيْهِ تَبعته، وتطلق (أخلاقياً) على الْتِزَام الشَّخْص بِمَا يصدر عَنهُ قولاً أَو عملاً، وَتطلق (قانوناً) على الِالْتِزَام بإصلاح الْخَطَأ الْوَاقِع على الْغَيْر طبقًا لقانون المجتمع»[1].

ومبدأ تحمل المسؤولية هو أداء للأمانة التي حُمّلَها الإنسان، وأداء للحقوق التي في ذمته نحو ربه ودينه ونفسه وزوجه وأبنائه ووالديه وجيرانه ومجتمعه وأمته، كما في قول النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2]. والراعي هو: كُلُّ من وَلِيَ أَمْرَ قومٍ بالحفظ والسياسة[3]. فالكل مسؤول: الحاكم والمحكوم حتى الخادم، وكلمّا ارتقت مكانة المرء عظمت مسؤوليته، فالكل على ثغرة، ويقع عليه أن يجتهد في سدّها، وأن يؤدي ما عليه من أمانة فلا يُؤتين من قِبَلِه.

وأعظم مسؤوليات المرء ما كانت تجاه ربه ونبيّه وقرآنه ودينه؛ وهذه تدفعه للتفقه في الدين ونشره وتعليمه، ثم مسؤوليته تجاه نفسه فيزكّيها بالطاعات وتجنب المحرمات، ومسؤوليته تجاه أبنائه فيحسن تربيتهم ويجتهد في رعايتهم، ومسؤوليته تجاه والديه وزوجه وباقي أقاربه بحسن

---

(1) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. **المعجم الوسيط**، القاهرة، دار الدعوة، د. ط، د. ت، ج1، ص411.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الجمعة في القرى والمدن، ج2، ص5، ح893.

(3) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج38، ص163.

صحبتهم وبرّهم ونصحهم، فقد أوصى الله تعالى فقال: ﴿يأيها ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:6]، ومسؤوليته تجاه مجتمعه وجيرانه ووطنه وأمته بالذود عنها والسعي في تحقيق عزتها وكرامتها وقوتها.

وفي القرآن الكريم آيات عديدة أبرزت مبدأ تحمّل المسؤولية، ومنها التي بينت أن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام مسؤولون يوم القيامة أمام الله تعالى عن تبليغ الرسالة وأداء الأمانة، قال تعالى: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف:6].

ونجد أن يوسف عليه السلام تَصَّدر في مصر لتحمل مسؤولية كبرى إلى جانب النبوة والدعوة، فكان بذلك رحمة للناس ونجاة لهم من محن الدنيا ومن عذاب الآخرة، ﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾ [يوسف: 55].

وقد ذَكَّرَ الله تعالى دواد عليه السلام بمسؤوليته كخليفة لله في الأرض، فأمره بأن يحكم بين الناس بالحق وحذّره من اتباع الهوى، فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص:26].

أما سليمان عليه السلام وكان ملكاً نبياً، فقد أبرز القرآن الكريم حاله ورحمته أثناء تفقده جنده، وتحمله مسؤوليته في نشر العدل وإقامة التوحيد في ربوع هذه الدنيا وأطرافها.

ومن الجدير التنويه إليه أن الأنبياء والرسل عليهم السلام ورغم انشغالهم الكبير فلم يغفلوا عن مسؤوليتهم تجاه والديهم وأبنائهم وأهليهم، فقد ذكرَ اللهُ تعالى نوحاً عليه السلام وحرصه على دعوة ولده ونجاته من الغرق والهلاك، ودعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، وأثنى الله سبحانه على إسماعيل لاصطباره على تكرار أمره أهله بالصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾[مريم:55].

تطبيق مبدأ تَحَمُّل المسؤولية

1. السعي لجعل تَحَمُّل المسؤولية وأدائها على وجهها ثقافة متفقًا عليها في الأسرة والمجتمع من خلال نشر الوعي بأهميتها وتكرار التذكير بها، والإشارة إلى أدلتها من القرآن الكريم والسنة النبوية، والتفكر في الآثار المترتبة عليها.

2. السعي لتحصيل العلم اللازم، والتدريب النظري والعملي، لتطوير القدرات، وتنمية المهارات المساعدة على أداء الأمانة وتحمّل المسؤولية.

3. التذكير بالدوافع المؤدية لتحمل المسؤولية وأدائها على أحسن وجه، ونذكر منها:

أ. تحمل المسؤولية نصرة لله ولدينه، وابتغاء مرضاته وثوابه، واستعداداً لحسابه يوم القيامة.

ب. استشعار الواجب تجاه الأهل والأقربين والجيران.

ج. الانتماء والوفاء، وأداء حق الأوطان والمقدسات.

د. التفكر بعواقب الأمور، فالخير والبركة وفرح المؤمنين يكون نتيجة الاستعداد المناسب والعمل الجاد.

4. تعديل وتطوير المناهج التعليمية والبرامج التربوية، وطرق التدريس لتعتمد على تفعيل دور الطالب إلى جانب المعلم؛ فتعتني بتدريبه على المهارات، وخلق روح المبادرة والمنافسة في تنفيذ الأنشطة والمشاريع والتجارب والواجبات، وتنمية قدرة المتعلم على تقويم المكتسبات العلمية والخبرات، مما يعوّد على تَحمّل المسؤولية، ويشعر بعِظَم الأمانة، ويؤدي للاجتهاد والتحصيل وتقدير الذات.

5. تربية الشباب على تحمل المسؤوليات، وإعدادهم لتحملها، من خلال توفير المهام والوظائف وتكليفهم بها، والثقة بهم والاعتماد عليهم لإنجازها، مع مراعاة استمرار المتابعة والتوجيه؛ فقد كُلّف مصعب بن عمير رضي الله عنه بنشر الإسلام في المدينة قبل الهجرة، وخُلّف علي بن أبي طالب رضي الله عنه للنوم في فراش النبي ﷺ وتوزيع أماناته يوم الهجرة، وحمل مجموعة من الشباب المؤمن مسؤولية تسهيل هجرته ﷺ إلى يثرب،



وكلّف زيد بن ثابت ﷺ بتعلُّم لغة اليهود، وعُيّنَ أسامة بن زيد ﷺ قائداً على بعث يخرج صوب الشام، واستعمل عتّاب بن أُسيد ﷺ على مكة عام الفتح.

6. من الأهمية إبراز القدوات والنماذج في تحمل المسؤولية؛ من شباب سلف الأمة وخَلَفِها، والإخبار عن مواقفهم، وتحويل قصصهم إلى أفلام ومسلسلات، لتكون دافعاً وباعثاً على تحريك الهمم.

7. إدراك المرء لما له من حقوق، وما عليه من واجبات، وتذكيره بمسؤولياته تجاه ربه ودينه وأهله ومجتمعه ووطنه ومقدساته وأمته.

8. إجراء المتابعة والتقييم والمراجعة لمستوى أداء المسؤوليات، ومحاسبة القائمين عليها، وتكريم المحسن وإعفاء المقصر أو استبداله.

9. مراعاة أن يُكلف المرء بما يطيق وما يحسن من مهام ومسؤوليات، وكما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286]، ويراعى التدرج في التكليفات والمسؤوليات، والتعاون في أدائها، لقوله ﷺ: «وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُم»[1].

10. التوعية بأن الوظيفة والمهمة ليست تشريفاً، بل هي أمانة ومسؤولية، ويوم القيامة خزي وندامة إلا من عمل وأنجز وأداها بحقها، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[2].

11. وضع معايير وشروط ومواصفات يتم على أساسها توّلي المهام والمناصب، فمثلاً: قوة العلم والجسم معياران لاختيار القائد العسكري، كما قال تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:247]. والقوة والأمانة، معياران لاختيار الأجير، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينِ﴾ [القصص:26]. والحفيظ العليم معياران لاختيار الوزير والمنصب العام، ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَاِئنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيم﴾ [يوسف:55].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها، ج1، ص15، ح30.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج3، ص1457، ح1825.

12. الاستعانة بالله على تحمّل المسؤوليات، فيبدأ المرء أعماله ببسم الله، ويرجو البركة من الله، ويأخذ بالأسباب، ويستشير الأصحاب ويتسعين بالمخلصين، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته. ويأخذ المسؤوليات بعزيمة وقوة وهمة عالية؛ فذلك مدعاة لحسن أدائها وإتقانها، قال تعالى يوصي يحيى عليه السلام: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:12]. وقال تعالى:﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:36]، أي خذوه بطاعة وصدق وجدّ واجتهاد[1].

13. إزالة المعوقات المانعة من تحمل المسؤولية ومعالجة أسبابها: كالجهل، ونقص المعلومات، وقلة الخبرة، وسوء التقدير لحجم المسؤولية، وضعف المعاونين، وقوة الخصوم، وقلة الإمكانات المادية، وعدم مناسبة الوسائل والأساليب المستخدمة، والكسل والتسويف، أو ضعف الثقة بالنفس.

14. يتحمل القادة والأمراء مسؤولياتهم وأمانتهم، بتفقد أحوال الرعية وتأمين حاجاتهم، ورفع الظلم عن المستضعفين منهم، وتحقيق العدل والشورى والمساواة بينهم.

15. تقع على المسلمين مسؤولية تُجاه الأرض المباركة، على النحو الآتي:

أ- يتحمل العلماء والمؤسسات التعليمية والتربوية والأسرة مسؤولية نشر الوعي والتعريف بالحقائق المرتبطة بالأرض المباركة، والعناية بالتربية على الأخلاق وحبّ الجهاد والرباط في سبيل الله.

ب- يتحمل الإعلاميون مسؤولية كبيرة في توجيه حواراتهم وقنواتهم وما ينتجونه من أفلام وبرامج لخدمة قضية فلسطين والأرض المباركة ومسجدها الأقصى، وكشف التاريخ الإجرامي للعدو الصهيوني إفساده فيها.

ت- يتحمل المسلمون عموماً مسؤولية دفع العدو الإسرائيلي المعتدي على الأرض المباركة والمسجد الأقصى، كلٌ حسب علمه وإمكاناته وطاقته ومكانه؛ وقد نقل ابن تيمية

(1) الطبري، تفسير الطبري، ج2، ص161.

ﷺ إجماع العلماء على وجوب دفع العدو المعتدي، فقال: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط؛ بل يدفع بحسب الإمكان"[1].

ث- تَحَمُّلُ المسؤولية الفردية والجماعية في امتلاك أسباب القوة، والتحريض على القتال، وبذل الوسع في الإعداد والتحضير، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:60]، والعناية الخاصة بأسلحة الرماية الحديثة؛ تدريباً وتصنيعاً وتطويراً، فقد أوصى رسول الله ﷺ بها، فقال: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[2].

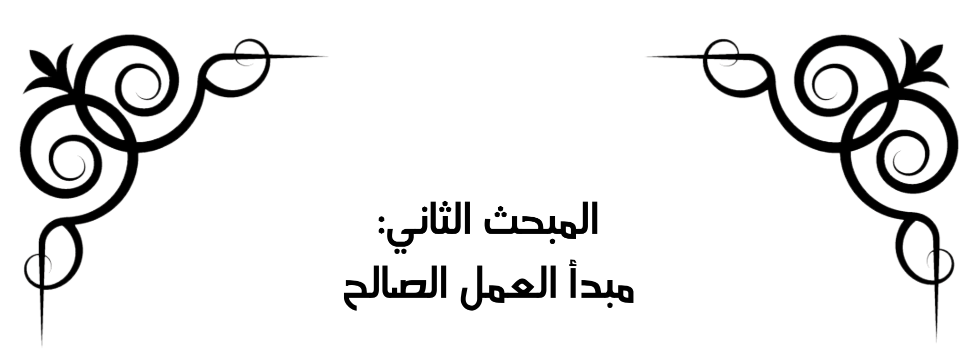
ج- تتحمل الأمة الإسلامية، ممثلة بقادتها وشعوبها، مسؤولية التضامن مع أهل الأرض المباركة ومساندة المرابطين والمجاهدين فيها، وتقديم كل ما يعينهم ويثبّتهم ويقوّي جهادهم.

ح- يتحمل المجاهدون والمرابطون في الأرض المباركة مسؤولية الحفاظ على سلامة مسار جهادهم، وأن يتحدّوا فيما بينهم ولا يتفرقوا، ولا يلتفتوا لمن خذلهم؛ بل يثبتوا ويصبروا.

---

(1) ابن تيمية: **الفتاوى الكبرى**، ج5، ص538.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الرمي والحث عليه، ج3، ص1522، ح1917.



المبحث الثاني:
مبدأ العمل الصالح

يعيش المرء حياته في الدنيا ويملأها بالعمل، لذلك يأتي التوجيه التربوي لأن تكون الطاقة والهمة نحو الأعمال الصالحة والتي تثمر خيراً في الدنيا وفلاحاً في الآخرة. وعند أهل اللغة، العمل هو: «مصدر من عَمِلَ يَعْمَلُ عَمَلًا، فَهُوَ عَامِلٌ، مأخوذٌ من (ع م ل)، الّتي تدلّ على: كُل فِعْلٍ يُفْعَلُ، وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ، إِذَا عَمِلَ بِنَفْسِهِ. وَالْعِمَالَةُ: أَجْرُ مَا عُمِلَ. وَالْعَمَلَةُ: الْقَوْمُ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ ضُرُوبًا مِنَ الْعَمَلِ، وَالرَّجُلُ يَعْتَمِلُ لِنَفْسِهِ، وَيَعْمَلُ لِقَوْمٍ، وَيَسْتَعْمِلُ غَيْرَهُ، وَيُعْمِلُ رَأْيَهُ أَوْ كَلَامَهُ أَوْ رُمْحَهُ[1].

ومبدأ العمل الصالح: يعني أن يسعي المرء لمباشرة الأعمال، دنيوية وأخروية، ويراعي في أدائها أن تكون متقنة لا تخالف الشرع. وقد عرّفَ المناوي العمل الصالح، بأنه «العمل المُراعى من الخلل، وأصله الإخلاص في النية، وبلوغ الوسع في المحاولة، بحسب علم العامل وأحكامه[2]. وعرّفه "جبل" بأنه: « الذي يتفق ويلتئم مع ما يطلبه الشرع أو يرضاه»[3].

وقد وردت مفردة "عمل" بتصريفاتها ولواحقها اللغوية في القرآن الكريم (359) مرة، وذكر العمل الصالح (90) مرة، وربط العمل الصالح بالإيمان (62) مرة[4]، وفي ذلك تأكيد لمكانة العمل في الإسلام، فهو أساس عمارة الدنيا، وسبب الفلاح في الآخرة.

---

(1) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج4، ص145.

(2) المناوي، زين العابدين محمد (ت:1031هـ). **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ1990-م، ج1، ص247.

(3) جبل: محمد حسن. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2010م، ج3، ص1251.

(4) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص483.

والأعمال إما أن تكون عبادات مخصوصة شرعها الله تعالى، أو تكون عادات مما يقوم به الناس في شؤون حياتهم المختلفة، وهذه العادات إما أن تكون محرمة يجب تجنبها، وإما أنها مباحات ينال صاحبها الأجر والثواب إن احتسبها عند الله تعالى وقصد بها العفة عن الحرام، كما يظهر من حديث رسول الله ﷺ: «وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[1]، وعليه فعلى المسلم أن يحرص على استحضار نية حسنة، في كل شأن مباح من شؤون حياته، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:162].

والعمل الصالح تتسع دائرته لتشمل أعمال القلوب، كالتوكل والصبر والحب في الله والبغض في الله، وأعمال الجوارح من أقوال وأفعال صالحة، كالعبادات بأنواعها، ومنها أعمال الدنيا وأنشطة الحياة المختلفة وعاداتها، كالسعي لكسب الرزق، وطلب العلم، والعمل في الصناعة والزراعة والتجارة، وكل ما فيه عمارة للأرض.

ولقبول العمل عند الله تعالى شرطان كما بين العلماء: أن يكون صالحاً فلا يخالف الشرع الحنيف، وأن يرجو به المرء وجه الله تعالى.

وقد رفع الإسلام من شأن العمل الإنتاجي والمعاشي، وأمر به، وشجّع عليه، وقدّر صاحبه، فقال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ»[2].

وفي الأنبياء الكرام أسوة حسنة، فمع عظيم انشغالهم بالدعوة، كان لهم مهنٌ يأكلون منها، كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[3]، فهم عليهم السلام لم يترفعوا عن بسيط العمل،

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج2، ص697، ح1006.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب بيع الحطب والكلأ، ج3، ص118، ح2373.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج3، ص57، ح2072.

فالكسب الحلال الذي يغني عن الناس عِزٌ وشرف، قال رسول الله ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مكة»[1].

ويرجو المؤمن من الله تعالى التوفيق في أعماله، فيتحرى الخير، ويحرص على ما ينفعه، وينفع أمته، ويعطي صاحب العمل حقه، حتى يقبل الله منه ويرضى عنه، كما قال سليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ [النمل:19]، ولنا أن نقتدي بإبراهيم عليه السلام، الذي سأل الله القبول أثناء قيامه بأجل الأعمال - رفعه قواعد الكعبة -، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ [البقرة:127].

ولا يغفل المسلم.. فسيتذكر أن الله سبحانه لا يتقبل إلا من المتقين؛ فابنا آدم عليه السلام تُقُبِّلَ من أحدهما ولم يتقبل من الآخر، كما في قوله تعالى: ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:27].

وتزداد دافعية المسلم لعمل الخير، والإحسان فيه، والإقبال عليه، عندما يعلم أن الله سبحانه وملائكته الكرام يحصون عليه أعماله، ويكتبونها، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:80]، ثم يعرضه عليه يوم القيامة، ويحاسبه عليها، وتكون هي شهادة فلاحه ونجاته يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: « يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[2].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب بيع الحطب والكلأ، ج3، ص118، ح2373.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ج1، ص1994، ح2577.

تطبيق مبدأ العمل الصالح

1. التوعية بمفهوم العمل الصالح، وأهميته في الدنيا وثوابه في الآخرة، والتدليل عليه من القرآن الكريم والسنة النبوية.

2. نشر ثقافة الجدّ والنشاط والسعي والحركة، ونبذ القعود ومحاربة البطالة، والتعاون لإيجاد فرص عمل تناسب الجميع، قال رسول الله ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1].

3. التذكير باستحضار النية الحسنة عند مباشرة الأعمال والمباحات، واحتساب التعب والمشقة أثناء العمل الصالح أو إنفاق المال، حتى ينال المرء الأجر والثواب من الله تعالى، كما قال رسول الله ﷺ: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»[2].

4. التربية على الأخلاق الفاضلة المرتبطة بالعمل الصالح، كالصدق والأمانة والوفاء والتعاون وتحمل المسؤولية، والتوكل على الله تعالى والأخذ بالأسباب.

5. تنمية الوازع الديني والرقابة الذاتية والخوف من الله، التي تؤدي لإتقان الأعمال والإحسان فيها، قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [المائدة:94].

6. تنظيم الأوقات والبرامج والأعمال الدنيوية الصالحة، كيلا تتعارض مع العبادة المخصوصة، كما قال تعالى عن صلاة الجمعة، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:10].

7. توجيه الأبحاث والدراسات لتتبع التجارب الاقتصادية الناجحة وتقييمها والإفادة منها.

8. العناية بتقديم العلم على العمل، وإصلاح التعليم، وتطوير المناهج؛ وتنظيم برامج محو

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج3، ص57، ح2072.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الوصية بالثلث، ج3، ص1250، ح1628.

الأمية، وتخريج جيل متمكن من لغة العصر وأدواته الحديثة.

9. العناية ببناء الدوافع والتوعية بحوافز العمل الصالح والتذكير بها، ومن أهمها:

أ. الإيمان بالله تعالى والسعي في رضاه، ورجاء الجزاء الحسن يوم القيامة.

ب. طاعة لله تعالى الذي أمر بإتمام العمل، فهو سيعرضه يوم القيامة وسيحاسب عليه.

ت. الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام الذين عملوا بأيديهم وأُمروا بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]

ث. إكرام النفس والأهل، والعمل لتأمين الحاجات الأساسية.

ج. الرغبة بالتوسعة وتوفير الكماليات التي تقلل من صعوبات الحياة الدنيا.

ح. مساهمة في بناء المجتمع وتقويته، وتخفيفاً من مشاكله كالبطالة والفقر والجهل.

خ. التصدي لظلم الأعداء وفسادهم.

10. استخدام الأساليب الحديثة في إدارة الأعمال وتطويرها، وما يرتبط بذلك من حسن المتابعة والتقويم والمحاسبة وتكريم المحسن ومعاقبة المقصر، ووضع المناسب في مكانه.

11. مراعاة أن يتولى الموقع القيادي أو المنصب السياسي القوي الأمين والذي يختاره الناس ويرضونه لإدارة شؤونهم.

12. يتمثل أهل الأرض المباركة مبدأ العمل الصالح مع مراعاة ما يلي:

أ. ينبغي أن يُقَدِّم أهل الأرض المباركة - عموماً - العمل في الجهاد بأنواعه لتحرير أرضهم السليبة ومسجدهم الأقصى المبارك على سائر أعمالهم، ويكون هذا شغلهم، وأولوية عندهم فهذا واجب الوقت عليهم.

ب. العمل في قضاء حوائج الناس والسعي لتخفيف معاناتهم، لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وَعَلَى الذِّكرِ، ج4، ص2074، ح2699.

ت. العمل لتطهير صفوف المسلمين من الخيانة والعمالة وردع المنافقين وفضحهم، وتوعية الناس بمكرهم وكيدهم وأساليبهم الخبيثة.

ث. العمل في إعداد النفس والأبناء والمجتمع والتهيؤ لمقارعة المعتدي والغاصب الصهيوني، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ [الأنفال:60].

ج. التحريض على جهاد الصهاينة وأعوانهم وفضح جرائمهم؛ بكل ما أمكن باستخدام وسائل العصر في الإعلام والانترنت، وبث الأمل في نفوس المسلمين، والتذكير بتاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، وبين الحق والباطل.

ح. جمع المال وتوزيعه واستثماره وتنميته لدعم المجاهدين والمرابطين في الأرض المباركة، لقول النبي ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[1].

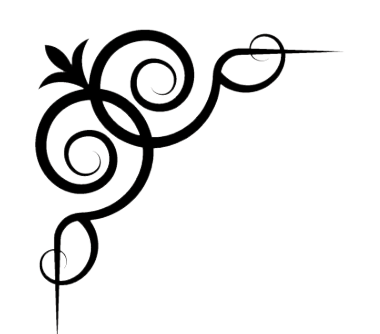
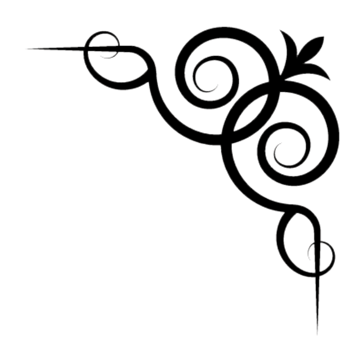
خ. العمل في رعاية أسر المجاهدين والأسرى، فعن أبي سعيدٍ الْخُدْرِيِّ، أن رسول الله ﷺ بَعَثَ إلى بَنِي لَحْيَانَ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ»، ثم قال للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»[2].

د. العمل في تطوير الصناعات النوعية التي تردع العدو، وتثخن فيه، والأخذ بوصية الرسول ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[3].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من جهّز غازياً، ج4، ص27، ح2843.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، ج3، ص1507، ح1896.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ونسيه، ج3، ص1522، ح1917.

المبحث الثالث:
مبدأ الوفاء

الوفاء بالعهد وبالوعد وبالميثاق، من مكارم الأخلاق، ومن صفات المؤمنين، وهو ضد الغدر والنكث. وقد عرّف ابن منظور الوفاء، فقال: «وَفَيْتُ بِالْعَهْدِ وأَوْفَيْتُ بِهِ سواء، وكل شيء في كتاب الله تعالى فهو بالألف، قال تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:1]، ووَفَى الشيءُ أَي تَمَّ، وأَوْفَيْتُه أَنا أَتمَمْته، والوَفِيُّ: الوافِي، الَّذِي يُعطِي الحقَّ ويأْخذ الحقَّ، وَرَجُلٌ وفيٌّ ومِيفاءٌ: ذو وفاء، ووفَّى نَذْرَهُ وأَوْفاه أَي أَبْلَغه. والمُوافاةُ: أَن تُوافيَ إِنْسَانًا فِي المِيعاد[1]. وعرّف ابن فارس الوفاء بأنه: إتمام العهد وإكمال الشرط. وأَوْفَيْتُكَ الشيءَ، إذا قَضَيْتُهُ إِيَّاك وافياً. وَتَوَفَّيْتُ الشيء وَاسْتَوْفَيْتُهُ: إذا أَخَذتَهُ كلَّه حتى لم تترك منه شيئاً [2].

وأعظم ما يجب الوفاء به الميثاق مع الله تعالى، بأن نؤمن به رباً، ونرضى بشريعته؛ وأحكامه ونعمل بها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآ﴾ [الأعراف:172]، وتظهر بعض تفاصيل هذا الميثاق في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: 83]، وقد نبّه الله تعالى عن الغفلة عن هذا الميثاق أو نسيانه أو التقصير به، ورتّب على ذلك اللعنة، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ﴾ [المائدة:13].

وأما العهد مع الناس فهو ما يكون بينهم من اتفاقيات الأعمال والعقود كالبيع والإجارة والرهن والنكاح وغيرها. وقد جاء الأمر والتشديد على وجوب الوفاء بشروطها، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾[المائدة:1]، وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص398.

(2) ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج6، ص129.

[الإسراء:34]، يقول الزحيلي: "وفّوا بالعهد الذي تعاهدون عليه الناس، وبالعقود التي تعاملونهم بها، فالعهد فضيلة وميثاق، والعقد التزام وارتباط، والإخلال بالعهد خيانة ونفاق، والتحلل من العقد إهدار للثقة وتضييع للحقوق"[1].

ويضاف الوفاء عادة لاسم آخر، كالعقد واليمين والعهد والوعد والميثاق وغيرها، والْفرق بين العقد والعهد: أَن العقد أبلغ من الْعَهْد، فتقول عهِدت إِلى فلان بكذا، أَي أَلزمته إِيَّاه، وعقدت عليه وعاقدته أَلزمته باستيثاق. والْفرق بين العَهْد والميثاق: أَن الميثاق توكيد الْعَهْد، من قَوْلك أوثقت الشّيء إِذا أحكمت شَدَّه، وقال بعضهم العَهد يكون حالاً من المتعاهِدَين، أما الميثاق فيكون من أَحدهما. والفرق بين الوَعد والعهد: أَن العَهد ما كان من الوَعد مَقْرُونا بِشَرط، مثل قوْلك إِن فعلتَ كذا فعلتُ كذا[2]. أما النَّذْرُ فهو ما كان وعْداً على شَرط، مثل قولك: فَعَليَّ إن شفى الله مريضي كذا[3]، وحكم الوفاء بالنذر واجب كاليمين، قال تعالى يصف المؤمنين ويثني عليهم: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: 8].

وبلا شك فإن الوفاء من أعظم الأخلاق الكريمة التي عرفها البشر، وجاء الإسلام لتوكيدها، فبه تؤخذ الحقوق وتؤدى الأمانات، وقد أثنى الله تعالى على الأوفياء، وجعلهم من المفلحين، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: 8].

والوفاء مع الله تعالى، ومع الناس، مؤمنهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، أما الخيانة فهي أسوأ الأخلاق، وهي كذب وخداع ونفاق ونقض للعهود وتنصل من الواجبات؛ ويوم القيامة يُفْضَحُ الخائن الغادر على رؤوس الأشهاد، وينادى عليه باسمه واسم أبيه، كما أخبر النبي ﷺ فقال: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ»[4]، وقال ﷺ: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا

---

(1) الزحيلي: **التفسير المنير**، ج15، ص73.

(2) انظر: العسكري، الحسن بن عبدالله (ت: نحو 395هـ). **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة، دار العلم والثقافة، ج1، ص57.

(3) الفيروزآبادى: **القاموس المحيط**، ج1، ص481.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الغدر، ج3، ص1359، ح1735.

مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ»[1]، قال ابن حجر: والحكمة في نصب اللواء: أن العقوبة تقع غالباً بضد الذنب، فلما كان الغدر من الأمور الخفية؛ ناسب أن تكون عقوبته بالشهرة[2]. وقال النووي: وفي هذه الأحاديث بيان غلظ تحريم الغدر، لا سيما من صاحب الولاية العامة، لأن غدره يتعدى ضرره إلى خَلْقٍ كثيرين، ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء[3].

وأشهر من عُرِف بغدره ونقضه العهود والمواثيق، اليهود بنو إسرائيل، الذين أخبر القرآن الكريم عن تكذيبهم ونكوصهم وغدرهم وقتلهم رسلهم ونقضهم عهدهم مع ربهم حتى صارت الخيانة والغدر ديناً لهم ؛ فاستحقوا اللعنة، وطبع على قلوبهم، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ﴾ [المائدة:13]، وفي ذلك «تقرير بأن اليهود دأبُهم وديدنهم قديماً وحديثاً نقض العهود»[4]. وقد جاء أحفاد هؤلاء الغادرين إلى الأرض المباركة -مطلع القرن العشرين- فاغتصبوها على حين غفلة من أهلها، فتآمروا مع أعدائها، وغدروا واحتلوا أرضها، ودنسوا مسجدها الأقصى وحرّقوه سنة 1969م، وقتّلوا وهجّروا وسجنوا وعذّبوا وأفسدوا، وما زالوا على ذلك حتى اليوم؛ فهل مع الغادرين والخائنين عهدٌ أو سلامٌ!

تطبيق مبدأ الوفاء

1. التوعية بمبدأ الوفاء بالعهد، وبيان أهميته، وحكمه، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية.
2. التذكير بأعظم عهد ينبغي الوفاء به، وهو ما كان مع الله تعالى، بتوحيده وطاعته واجتناب نهيه، وجعل هذا العهد دافعاً لفعل الخير وترك الشّر.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الغدر، ج3، ص1361، ح1738.

(2) ابن حجر: أحمد بن علي (ت:852 هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، 1379هـ، ج10، ص563.

(3) النووي: يحيى بن شرف (ت: 676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ، ج12، ص44.

(4) الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت: 743هـ). **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، تحقيق: إياد الغوج وآخرون، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ- 2013م، ج5، ص310.

3. يراعي الوالدان والمعلمون أن يكونوا قدوة حسنة بغرس الوفاء في نفوس الأبناء والجيل، من خلال الحرص على الوفاء بالعهد مع الأبناء والطلبة واحترام مواعيدهم وعهودهم، اقتداء بإسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾[مريم:54].

4. مراعاة أن يكون الدافع للوفاء بالعهد الامتثال لأمر لله تعالى، القائل: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:34].

5. إدراك أهمية الوفاء بالعهد مع الناس، وأنه أساسٌ في نجاح الأعمال وبناء الثقة وتحقيق التعاون، والتأكيد على أن المسلم يفي بعهده في كل أحواله، وحتى مع أعدائه، فما نقض النبي ﷺ ولا أصحابه عهداً ولا خفروا ذمة؛ بل كان النبي ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قال: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً»[1].

6. الوفاء للصديق ورفيق الطريق، كوفائه ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه، كما في رواية أَبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه قال، كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ» فَسَلَّمَ وقال: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فقال ﷺ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثَلاَثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ، فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَثَّمَ أَبُو بَكْرٍ؟ فَقَالُوا: لاَ، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي» مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُوذِيَ بَعْدَهَا[2].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ج3، ص1357، ح1731.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي لو كنت خليلاً، ج5، ص5، ح3661. (غامر) رمى بنفسه في الأمور الخطرة. (فأسرعت إليه) بالكلام الغليظ. (يتمعر) يتغير لونه من الضجر..

7. وفاء الزوجين لبعضهما، وحفظ العهد والمودة بينهما، والحذر من نكران الجميل، وكفران العشير، كما حذّر النَّبِيُّ ﷺ فقال: «أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ» قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: «يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»[1]. وضرب النَّبِيُّ ﷺ مثلاً رائعاً في الوفاء مع أهله كما تصف ذلك عائشة رضي الله عنها: «لَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خَدِيجَةَ حَتَّى مَاتَتْ». وقالت أيضاً: مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، فَيَقُولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ» قَالَتْ: فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: خَدِيجَةَ فَقَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا»[2].

8. سنّ القوانين التي تحفظ حقوق الناس وتلزمهم بما تعاقدوا عليه، وتشريع الإجراءات التي توثق العقود وتحميها من الضياع والتزوير.

9. الوفاء مع الخدم والموظفين والعمال، وأداؤهم أجورهم وحقوقهم كاملة دون تأخير أو مماطلة، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: « قال اللَّهُ تعالى: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ»[3].

10. تقييم عقود المعاملات التي يتداولها الناس، وتصويبها وتعديل شروطها إن تعارضت مع أحكام الشريعة الإسلامية، قال رسول الله ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ مَا وَافَقَ الْحَقَّ مِنْ ذَلِكَ»[4].

11. جمع قصص الأوفياء من القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث وواقع الناس، وإبراز القدوات فيها للناس، وتوجيه السينما لإنتاجها أفلاماً ومسلسلات.

12. تقييم وفاء وأمانة كل من تصدى للعمل العام، وتقدير الأوفياء منهم، ومعاقبة وتنحية المقصرين والضعفاء.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كفران العشير وكفردون كفر، ج1، ص15، ح29.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضائل خديجة أم المؤمنين، ج4، ص1888، ح2435، ح2436

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من استاجر أجيراً، ج3، ص90، ح2270.

(4) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب وأما حديث أبي هريرة، ج2، ص57، ح2310. وصحّحه الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، ج2، ص1138، ح6716.

13. الوفاء يقتضي الثبات في طريق الدعوة والجهاد، فلا يعتزل أو يستقيل حتى يلقى الله بنصر أو شهادة؛ وله في إبراهيم أسوة حسنة، قال تعالى عنه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:37]. قال ابن كثير ﴿وَفَّىٰٓ﴾ أي: «وفى جميع ما شَرَعَ له، فعمل به صلوات الله عليه»[1].

14. استذكار الأوائل الذي مهدوا طريق النجاح والنصر، ومن قضى نحبه منهم، وتكريمهم بالشكر والدعاء، والعناية بأُسرهم، كما يقول خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ، نَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ، فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى اللهِ، فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ شَيْءٌ يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا نَمِرَةٌ، فَكُنَّا إِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رَأْسِهِ، خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا وَضَعْنَاهَا عَلَى رِجْلَيْهِ، خَرَجَ رَأْسُهُ، فقال رسول الله ﷺ: «ضَعُوهَا مِمَّا يَلِي رَأْسَهُ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ الْإِذْخِرَ»، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهْوَ يَهْدِبُهَا[2].

15. الوفاء للمسلمين ولقضاياهم يقتضي الحذر من الانزلاق في مستنقع الخيانة والعمالة والغدر، والتحذير من موالاة الأعداء وبيع الدين والأوطان، وتفنيد المبررات المصلحية والنفعية التي يقف خلفها الخائنون، كالجهل والبطالة والفقر وقوة العدو.

16. سَنّ القوانين وتشريع الآليات التي ترصد بوادر الخيانة وغدر الخائنين، وتعاقبهم على مرأى ومسمع، مع إبقاء الباب مفتوحاً لتوبتهم وعودتهم.

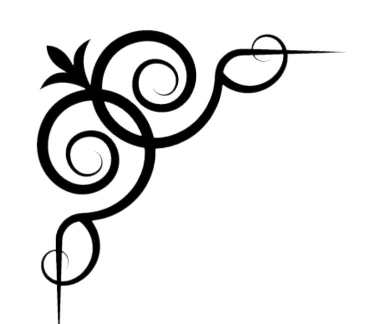
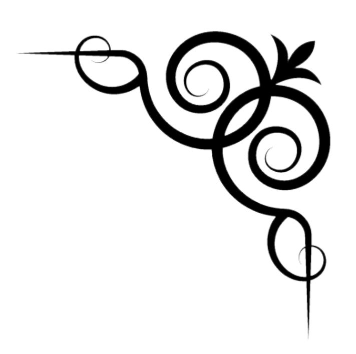
17. توجيه الدراسات والبحوث لبيان أحكام المعاهدات والاتفاقيات مع الأعداء، وتقديم خلاصاتها لرجال السياسة والقادة، والتأكيد على رفض الإسلام لأي معاهدة تفرّط بحقوق المسلمين وأرضهم.

18. التأكيد على بطلان أي معاهدات مبرمة مع العدو الصهيوني المحتل للأرض المباركة؛ لأنها تقر لليهود حقاً بما اغتصبوه من أرض فلسطين وما حولها.

---

(1) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج1، ص405.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب في كفن الميت، ج2، ص649، ح940. النمرة: شملة فيها خطوط بيض وسود أو بردة من صوف تلبسها الأعراب، (الإذخر) حشيش طيب الرائحة.

المبحث الرابع:
مبدأ الصَبْر

بلا شك فإن الصَّبْر من أعظم الأخلاق التي يحتاجها المرء في حياته، وهو كما وصفه علي بن طالب ﵁، فقال: الصبرُ مطيةٌ لا تكبو[1]، وعرّفه ابن منظور فقال: «الصبر حَبْس النَّفْسِ عِنْدَ الجزَع، وهو من صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْراً، فَهُوَ صابِرٌ وصَبَّار وصَبِيرٌ وصَبُور، والأُنثى صَبُور أَيضاً، بِغَيْرِ هَاءٍ، وَجَمْعُهُ صُبُرٌ. والصَّبُور من أسماءِ الله تعالى، وهو الذي لا يعاجل العُصاة بالانتقام»[2].

ويُعرّف ابن القيم الصَّبْرُ ويبين مراتبه، فيقول: الصبر هو حَبْس النَّفْسِ على طاعة الله، وكفّها عن معصيته، وتثبيتها لترضى وتُسَلِّم بما قدّره الله تعالى وقضاه دون شكوى. ومراتب الصابرينَ خمسة: فالصابر: أعمّها، والمصطبر: المكتسبُ الصبرَ الْمَلِيءُ به. والمتصبر: المتكلف حَامِلٌ نَفْسَهُ عليه. والصبور: عظيم الصبر والذي صبره أشد من صبر غيره. والصبّار: كثير الصبر[3]. وبذلك يرتبط مفهوم الصبر بحسن إدارة المرء لذاته، وكيف يتعامل أو يتجاوز المواقف الحياتية وتحدياتها المختلفة.

وقد تكرر ذكر الصبر في القرآن الكريم أكثر من مئة مرة[4]؛ فيها أثنى الله تعالى على الصابرين، وذَكّر بمواقف صبرهم وتحمّلهم ونوّه لثوابهم، نحو قوله تعالى:﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [المؤمنون:111]. وفي الحديث قال ﷺ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا**

(1) بن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656هـ). **شرح نهج البلاغة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة، ص11، ص203.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص437-438.

(3) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ1996-م، ج2، ص157.

(4) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص400.

أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1]، وهذا يؤكد عظيم مكانة الصبر وأهميته في حياة الأفراد والجماعات.

كما وجّه سبحانه عبادَه أن يكون صبرهم جميلاً، فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: 5]. ويكون الصبر جميلاً إذا خلا من الجزع أو الشكوى، وليس معه يأس أو قنوط أو عجلة، بل فيه تسليم بالقدر، ويصاحبه عمل وأخذ بالأسباب، مع دوام التضرع لاستمطار الفرج من الله تعالى، قال صاحب الظلال: «الصبرُ الجميلُ هو الصبرُ المطمئن، الذي لا يصاحبه السخط، ولا القلق، ولا الشك في صدق الوعد؛ صبر الواثق من العاقبة، الراضي بقدر اللّه، الشاعر بحكمته من وراء الابتلاء، الموصول باللّه المحتسب كل شيء عنده مما يقع به»[2]. وعرّفه ابن عاشور بأنه: «الصبرُ الحَسنُ في نوعه، وهو الذي لا يخالطه شيء مما ينافي حقيقة الصبر، أي اصبر صبراً محضاً، فإن جمال الحقائق الكاملة بخُلُوصها، عمَّا يُعَكِّر معناها من بقايا أضدادها»[3].

ويكون الصبر على فعل الطاعة، وترك المعصية، والصبر على معاناة المرض والفقر، وعلى فراق الوطن والأهل والأصحاب، والصبر على تحديات الحياة عموماً ومواقفها التي لا تنتهي. وأعظم الصبر ما يكون في الجهاد والرباط وتحت ظلال السيوف وقصف المدافع، وعند البحث عن الوالد والولد تحت الأنقاض والركام في جنح الظلام ورائحة الموت في كل مكان. لسان حالهم: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف: 81]. فلولا هذا الصبر لانهارت النفوس أمام هذه الخطوب والكروب، قال ﷺ: «وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ»[4].

وذكر الله تعالى صبر الأنبياء الكرام ليكونوا قدوة للناس، فقد تحمّلوا الأذى في سبيل نشر التوحيد وتحقيق العدل؛ فألقي إبراهيم عليه السلام في النار، ويونس عليه السلام ابتلعه الحوت، وأيوب عليه السلام فَقَدَ ماله وصحته وولده، ويعقوب عليه السلام صبر على فَقْدِ ولده، والنبي يوسف عليه السلام صبر على

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاستعفاف عن المسألة، ج2، ص122، ص1469.
(2) قطب: **في ظلال القرآن**، ج6، ص3696.
(3) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج29، ص158.
(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الوضوء، ج1، ص203، ح223.

ظلم إخوته فاسترق وبيعَ وسجن وغُيّب عن أَهلِه ووطنه، قال يوسف عليه السلام ملخصاً العبرة من قصته في أمرين هما: التقوى والصبر، فقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف:90].

وقد صبر النبي الكريم محمد ﷺ كما صبر سلفه من إخوته الرسل الكرام، فكان قدوة للصابرين، فصبر على الهجرة والدعوة ومفارقة الوطن والأحباب، كما صبر على فَقْدِ الولد والزوجة والعمّ، وصبر على أذى قومه، وقد أشار النبي ﷺ إلى نحو من ذلك في حديثه مع عائشة رضي الله عنها عندما سألته، فقالت: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[1] فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[2].

وبذلك يتميز صبر المؤمن عن صبر سائر الناس، بدافعيته المتمثلة في أن صبره عبادة لله وطاعة له سبحانه وتعالى يتقرب بها إليه ويحتسب أجرها، فهو يصبر طمعاً في الجنة، ويصبر عن الذنوب يرجو النجاة من النار، كما يصبر نصرة للمؤمنين ونيلاً من الكافرين، ويصبر ليكون قدوة للصابرين.

---

(1) قرن الثعالب أو قرن المنازل: هو ميقات أهل نجد، على مسافة يوم وليلة من مكة.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إذا قال أحدكم آمين، ج4، ص115، ح3231

تطبيق مبدأ الصبر

1. التوعية بمبدأ الصبر، مفهومه وحُكْمُه وفوائده ودوافعه، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية.
2. مما يزيد مستوى الصبر قراءة كتاب الله العزيز وتدبر آياته، والأخذ بوصية الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 002].
3. استحضار النية عند الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى، والاستغاثة بالله الواحد، فهو يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: 9].
4. يحمد المؤمن الحقّ ربَه في السّراء والضّراء ويلهج لسانه بـ "إنا لله وإنا إليه راجعون"، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ»[1]
5. الحذر من القنوط، وإن أبطأ الفرج أو تأخر النصر. ولا مكان لليأس، بل ينشر المؤمن روح التفاؤل والتبشير بالخير والثقة بوعد الله وبزوال المحنة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۞ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾، [الصافات: 171-173].
6. مراعاة الصبر عند الصدمة الأول، وعند الغضب أو الحزن الشديد؛ فيحفظ المرء لسانه، وجوارحه فلا تنفلت جزعاً، كما وصّى النبي ﷺ فقال: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[2].
7. العناية بإبراز النماذج الصابرة المعاصرة وتكريم أصحابها، واستضافة الصابرين والصابرات في وسائل الإعلام، وتيسير لقاءاتهم بالناس ليكونوا قدوة حسنة، ومثالاً يحتذى.

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب فضل المصيبة إذا احتسب، ج3، ص332، ح1021. وقال حديث حسن غريب. وحسّنه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج3، ص21، ح1021.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الصبر عند الصدمة الأولى، ج2، ص83، ح1302. (الصدمة الأولى: اللحظات الأولى عند تلقي أخبار المصائب، والمعنى أن أكمل الصبر ما كان في مثل هذه الأوقات).

8. يتجنب العاقل أي قولٍ فيه اعتراض على قَدَر الله تعالى ومشيئته، ويترك عنه ما يتبع "لو" من حديث التخذيل والتحسر على ما فات. قال رسول الله ﷺ: «وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(1).
9. يصبر المؤمن إن أُبْتُلِي بالأَسْرِ أو أصابته الجراحات أو فقد الأحبة، ويثبتُ ويَتَحَمَّلُ ويحتسبُ، ويستذكر قوله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(2).
10. تتحمل الأسرة والمدرسة المسؤولية، في غرس مبدأ الصبر في نفوس الأبناء، وتدريبهم عليه، من خلال المناهج الدراسية، والقدوة الصالحة، والتشجيع على أنواع العبادات المرتبطة به كالصوم، وتنفيذ الأنشطة والبرامج من رحلات في البَرِّ والبحر، وأنواع الرياضة، ومخيمات الكشافة والملتقيات الشبابية، وكل ما يعين على صقل قدراتهم الجسدية، ورفع مستوى تحملهم وصبرهم.
11. ضرورة بناء دوافع الصبر في نفوس الناس والمحفزات، ونذكر منها:

أ. ينبغي إدراك أن الإيمان هو ركيزة الصبر ومنبعه، إيمان بالله تعالى وإيمان بالفكرة يدفعان للثبات والتضحية والشجاعة والجود والإيثار. وكذلك الإيمان بالقدر خيره وشره، وبما أعده للصابرين، ومراعاة تقوى الله تعالى وترك المعاصي.

ب. الحبّ والوفاء للأوطان وتعظيم حرمة المقدسات يدفع المؤمن للصبر في سبيل الدفاع عنها وتحريرها.

ت. استشعار المسلم لواجبه تجاه المظلومين يدفعه لتحمل الأذى في سبيل نصرتهم.

ث. السعي في كسر شوكة الباطل وإغاظة أهله، تدفع للاستهانة بالأذى.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب حفظ اللسان، ج8، ص101، ح6478.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ج7، ص115، ح5648

12. يصبر المؤمن في مرضه، ويأخذ بأسباب الشفاء، لقول رسول الله ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[1]، ويرضى بمشيئته، وينتظر رحمته وموعوده، كما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ» يُرِيدُ: عَيْنَيْهِ[2]. ومهما ادلهمت الخطوب فلا يتمنى المؤمن الموت، ولا يدعو على نفسه، فإن طولَ عُمُره خير له؛ لعله يتزود من عمل الخيرات، أو يجاهد في سبيل الله، ولعله يطول به العُمُر فيفرح مع المؤمنين بنصر الله وفرجه، قال ﷺ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»[3].

13. زيارة الجرحى والمرضى، وأهالي الشهداء والأسرى والمهاجرين، وتقديم ما يحقق المواساة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ، قال: لَقِيَنِي رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ ۦ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ» قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ﴾ [آل عمران:169][4].

14. على أهل الأرض المباركة أن يصبروا صبراً جميلاً، يفوقُ صبرَ أعدائهم، إلى أن يستردوا حقّهم، ويحرّروا أوطانهم، ويفكّوا قيد أسراهم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [النساء: 104].

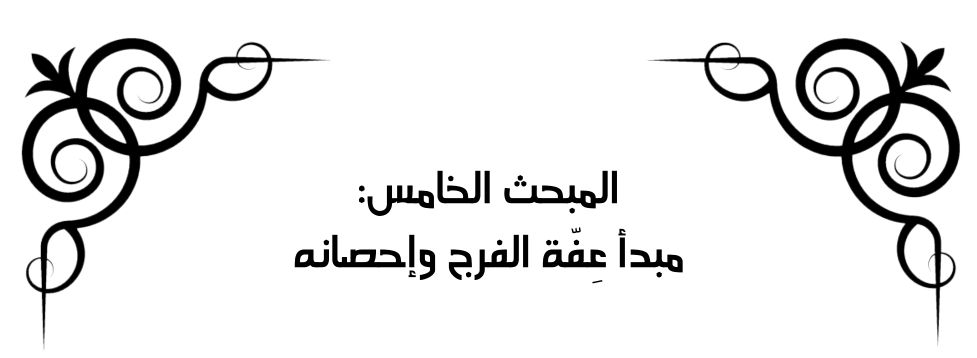
---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، ج7، ص122، ح5678.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من ذهب بصره، ج7، ص116، ح5653.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به، ج4، ص2065، ح2682.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ومن سورة آل عمران، ج5، ص230، ح3010. وقال حديث حسن غريب.



المبحث الخامس:
مبدأ عِفّة الفرج وإحصانه

تميّز الإسلام في تنظيمه العلاقة بين الرجل والمرأة، فجعل لذلك أحكاماً وآداباً، منها أمره بعِفّة الفرج وإحصانه، ويأتي ذلك في إطار صيانة الأعراض والأنساب، والتي هي من الضرورات التي جاء الإسلام لحفظها.

والعِفّة لغة هي: «من عَفَّ يَعِفُّ عِفَّة، وهي الكَفُّ عَمَّا لَا يَحِلّ ويَجْمُلُ، والصبر والنزاهة على ترك المَحارِمِ والأَطْماع الدَّنية»[1]. أما الإِحْصان فهو لغة: «المَنْعُ، تقول حَصُنَ المَكَانُ، أي مَنُعَ، فَهُوَ حَصِينٌ. وامْرَأَةٌ حَصانٌ: عَفيفَةٌ عَن الرِّيبَةِ؛ أَو مُتَزَوِّجَةٌ. وأَحْصَنَها زوجها وحَصَّنَها وأَحْصَنَتْ هي نفسها، فَهِيَ مُحْصِنَةٌ ومُحْصَنَةٌ، أي عَفَّتْ أَو تَزَوَّجَتْ، ويقال للرَجُل: مُحْصَنٌ، ويكونُ بمعْنَى الفاعِلِ والمَفْعولِ؛ وَقد أَحْصَنَهُ التَّزَوُّجُ»[2].

ومبدأ عفة الفَرْج وإِحْصَانه، يجعل مسؤولية على كل فرد، ذكراً أو أنثى، أن يصون عرضه وشرفه، ويحفظ فرجه، ويقتضي غضّ البصر، وستر العورة، والمبادرة للزواج، واجتناب كلاً من الزنا والشذوذ وكل مقدماتهما كالتبرج والاختلاط المحرم ونحوه، وفي ذلك نجاة للفرد وقوة للأسرة وتحصين للمجتمع وحماية له من الفساد والانحلال الخُلُقي.

وقد جاء الأمر بالعِفّة للجنسين - ذكوراً وإناثاً- في قوله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [النور:33]، وهي دعوة لكل من فقد الزوج، أو غاب عنه، أن يُنَزّه بصره، ويحفظ فرجه عما لا يَحِلّ، ويتصبر حتى يغنيه الله تعالى من فضله بالزواج.

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص253.

(2) المرجع السابق، ج9، ص253.

وقد قدّم القرآن الكريم نماذج تميزت بعِفّة الفرج وإحصانه، كيوسف عليه السلام الذي جعله الله أسوة للرجال حين فضّل السجن على الرذيلة، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:33]. وكذا كانت مريمُ عليها السلام مثلاً وأسوة للنساء؛ فقد تكرر وصفها بأنها أحصنت فرجها في سورتي الأنبياء والتحريم، وفي ذلك تأكيد على طهارتها وعفتها وبراءتها من كل سوء، وفيه دعوة لكل من جاء بعدها من النساء، أن يكن مثلها في الاستعفاف وإحصان الفرج.

وإن أعظم ما يدفع المؤمن إلى العفة هو إيمانه بالله وخوفه منه، ومراقبته والحياء منه سبحانه وتعالى، وهو يرجو بعفته أن يستظل في ظل الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، كما قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ» [1]. فهو لم يُغْرِه جمالها، ولم يخضع لها خوفاً من منصبها ومكانتها، بل استعصم تعظيماً لله سبحانه، فاستحق أن يُكرَّم يوم القيامة.

وبالمقابل فقد اعتبر الإسلام الاعتداء على العِرْض جريمة، وحَدّاً من حدود الله، يعاقب متجاوزه في الدنيا عقوبة شديدة، يشهدها طائفة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:2]، فيجلد غير المُحْصَن مئة جلدة، ويُرجم المُحْصَن بالحجارة حتى الموت، عن جَابِرِ بْنَ سَمُرَةَ رضي الله عنه، قال: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرَجُلٍ قَصِيرٍ، أَشْعَثَ، ذِي عَضَلَاتٍ، عَلَيْهِ إِزَارٌ، وَقَدْ زَنَى، فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ [2].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من ترك الفواحش، ج8، ص163، ح6806.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج3، ص1319، ح1692.

تطبيق مبدأ عِفّة الفرج وإحصانه

1. التوعية بمفهوم العفة وإحصان الفرج، وبيان أدلته وأهميته وتذكير الدعاة والخطباء والمدرسين بالدعوة إلى العفاف، باعتبارها من أهم مقاصد الدين، كما يظهر من حديث أبي سفيان، عندما قال له هرقل: سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ: «أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلاَةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالوَفَاءِ بِالعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ»، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ [(1)].
2. زيادة القناعة عند الشباب بالآثار الإيجابية للعفة على مستوى الفرد والمجتمع، وتذكيرهم بأضرار انتشار الفاحشة النفسية والاجتماعية، وتأييد ذلك بأدلة وإحصاءات من واقع المجتمع الإسلامي والغربي؛ فتقارن وتصف التفكك الأسري عند غير المسلمين، وضياع الأنساب، وجرائم الاغتصاب والخيانة الزوجية.
3. استخراج ما في القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث من آيات وأحاديث وقصص تشجع على التعفف، وتقديمها للناس وإبراز القدوات فيها، ومنها: قصتي يوسف ومريم عليهما السلام، وقصة أصحاب الغار الثلاثة، وقصة مرثد بن أبي مرثد رضي الله عنه مع عناق، وقصة عثمان بن أبي طلحة رضي الله عنه عندما رافق أم سلمة رضي الله عنها يحرسها في هجرتها.
4. إماتة الشّر بعدم ذكره، ودفنه بأرضه، وترك إشاعة أخبار العصاة والمفسدين وصورهم وقصصهم، ويحذر المؤمن أن يكون من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [النور:19].
5. بناء القدوة وتقدير النماذج العفيفة، من خلال توجيه الآباء والمعلمين وقيادات المجتمع ورموزه الإعلامية؛ لمراعاة العفة واحترام ودعم السلوك المعبّر عنها، في حياتهم الشخصية والمهنية، ليكونوا أسوة حسنة.
6. دعم وتشجيع صناعة الأفلام والسينما الهادفة التي تحترم العفة وتراعيها.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من أمر بإنجاز الوعد، ج3، ص180، ح2681.

7. اعتماد استراتيجية توفير البديل المشروع، الذي يحقق للنفس حاجتها مما أباحه الله تعالى، فالزواج يغني عن الزنا، وتعدد الزوجات يغني عن الخيانة الزوجية، واللباس المحتشم يغني عن التبرج، وصناعة الفن الملتزم بديلاً عن الهابط والمخلّ.

8. مراعاة العفة على الصعيد الفردي من خلال مراعاة ما يلي:

أ- يتخذ المسلم موقفاً قلبياً يبغض فيه العصاة والزناة وكل من امتهن الرذيلة واستهان بالعفة، ويسعى للتصدي لفسادهم، والتحذير من شرّهم، كما ويتجنب مشاركتهم مجالسهم ونواديهم.

ب- تنمية الوازع الديني في النفس، وحسن إدارة الذات، وزجرها عن المجاهرة بالمعصية أو الإسرار بالخيانة، والاستعانة بعبادة الصوم، فهو يزيد من التقوى ويقي من الحرام، لقوله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1].

ج- يحمل الإنسان نفسه على العفة، ويتكلفها، ويسلك مسالكها، ويجاهد نفسه ويصبر، حتى يظل عفيفاً، كما أوصى النبي ﷺ فقال: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

د- يَجُبُّ المسلم الغِيبة عن نفسه، ويحذر من الفضول والاستغفال، ويحذر من الوحدة والانعزال، ومن خطوات الشيطان، ولا يعرض نفسه للفتنة، ولا يدخل المواقع -الحقيقية أو الافتراضية- التي تنشر الفساد وتنتهك فيها العفة، بل يفارق مجالسهم، ولا يتصفح مواقعهم، كما في دلالة قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، ج3، ص26، ح1905. [(الباءة) مؤن الزواج، والتقدير من استطاع منكم الزواج فليتزوج، (وِجَاءٌ) قاطع للشهوة].

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاستعفاف عن المسألة، ج2، ص122، ح1469.

هـ- يستر المرء نفسه إن زلّ؛ ويسارع إلى لوم نفسه ويستغفر، ولا يُصِّرُ على المعصية، ويتجنب المجاهرة بها، ويسأل الله الستر، ويذكر قول النبي ﷺ: «عِفُّوا عَنْ نِسَاءِ النَّاسِ تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ»[1].

و- يتجنب المؤمن قذف المؤمنين بالزنا والفاحشة، ولا يتسرع في اتهام الآخرين؛ بل هو يعين غيره على العفة والستر والتوبة، فصلاح العصاة أولى من فضحهم، وإن بعض الظنّ إثم.

ز- ينبغي أن يعلم المسلم أن الشرع الحنيف يعاقب في الدنيا بالجلد (80) جلدة، لمن قذف مؤمناً دون أن يكون معه أربعة شهداء، وعليه فلا بد من مراعاة الحكمة عند النهي عن الفساد، وتغيير المنكرات.

ح- الالتجاء إلى الله بالدعاء أن يصرف عنّا السوء والفحشاء، وأن يرزقنا العفاف، كما فعل يوسف عليه السلام عندما دعا أن يصرف الله عنه كيد النسوة، ﴿**فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[يوسف:34]، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى»[2].

9. تعتني الأسرة بالوسائل المعينة على العفة، وتراعي ما يلي:

أ. تربية الأبناء على الأخلاق والقيم الإسلامية، وتقدير الإناث والاعتناء بتنشئتهن وتوجيههن صوب ما شرعه الإسلام من أحكام تحقق لهن الكرامة والعفة وتصونهن عن الابتذال، كستر العورة، وإخفاء الزينة عمن لا يحل، وتحذيرهن من الخلوة أو الإختلاط المحرم أو الخضوع بالقول، أو مصافحة غير محارمهن، أو السفر دون محرم، كما قال رسول الله ﷺ: «لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»[3].

ب. يقدم الوالدان والإخوة والأخوات والأرحام الأسوة الحسنة في تمثّل العفة في اللباس والحديث والسلوك، والتواصي بها.

---

(1) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، كتاب البر والصلة، ج4، ص170، ح7258. وقال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وضعّفه الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، ج1، ص544، ح3715.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ج4، ص2087، ح2721.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب حج النساء، ج3، ص 19، ح1862.

ج. التفريق بين الأبناء في المضاجع، لقول رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[1].

د. الترغيب باللباس الشرعي وتوفيره، وبيان أحكامه، وحِكَمِه، والتدرج به من سن مبكرة.

ه. يتعلم الأطفال آداب الاستئذان والدخول على الوالدين، كما هي مبينة في سورة النور.

و. يتحمل الوالدان مسؤولية التوعية والمراقبة والمتابعة والتقييم لما يشاهده الأبناء في قنوات التلفزة ووسائل التواصل الاجتماعي وصفحات الانترنت وتقويم الخلل.

ز. الحذر من رفقاء السوء، فهم أدلاء على المعاصي، ويُرَغِّبون بها، ويُسهلون دروبها.

ح. الحرص أن يكون الخدم والعاملون في البيوت من المسلمين، ومراعاة ستر العورات، وتجنب الخلوات المحرمة.

ط. يندب للمرأة الكبيرة التي قعدت عن الزواج، وزهدت به، أن تلتزم العفة وتحثُ النساء عليها، فتكون بذلك مُصْلِحة وناشرة للخير وقدوة صالحة لغيرها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:60].

10. يتحمل المجتمع المسلم والمحيط مسؤوليته فيعتني بالعفة، ويراعي ما يلي:

أ- يعمل المجتمع المسلم في تنظيمه العلاقة بين الرجل والمرأة على عدة استراتيجيات منها: نشر الوعي، وإحسان التربية، وتتبع دوافع السوء وأسبابه وإزالته، ودرهم وقاية خير من قنطار علاج، وتوفير البديل المباح، والاعتزاز بالثقافة الإسلامية وقيمها، والتكريم بوضع الحوافز، ومحاربة الفساد، وتشريع العقوبات الرادعة وتنفيذها بعدالة.

ب- تشريع القوانين التي تمنع الاختلاط المُحَرّم بين الرجال والنساء، وتضبط إيقاع الاختلاط المباح في المدارس والجامعات والأسواق والأندية وفي الشواطئ، وفي صالات الأعراس والمناسبات، وفي كل مناحي الحياة ليكون في إطاره الشرعي.

ت- تأسيس ودعم الجمعيات الخيرية التي تُسهّل سبل الزواج، وتُرغب فيه، وتيسر المهور،

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133، ح495. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح495.

وتسهم في حَلّ خلافات الأسرة، وتُنظّم حفلات أعراس الزواج الخالية من السفور.

ث- توجيه دور الأزياء لإحياء مظاهر التراث الإسلامي في اللباس الشرعي والزينة، ومراعاة الضوابط الشرعية والأخلاقية عند تصميم الملابس وتطوير أشكالها، وتنظيم المسابقات والدعايات والمهرجانات التي تسوّق الأزياء الشرعية وتُرَغب بها.

ج- العمل على جعل أحكام الزواج في المجتمع متوافقة مع الإسلام، فنبيح ما أباحه الله تعالى، كتَعَدُّد الزوجات والطلاق والمخالعة، ونحرّم ما حرّمه.

ح- مراعاة مبدأ العفة عند التصميم المعماري والهندسي للمرافق العامة المختلفة: كالأسواق والاستراحات والمطاعم والشواطئ والمتنزهات ودور العبادة والتعليم والأندية الرياضية والبيوت؛ فتعطى المرأة حقها دون أن يخدش حياؤها.

خ- التعامل الحكيم والكريم مع ضيوف بلاد المسلمين من الزوار والسائحين، بإعداد وتقديم برامج سياحية تعرّف بالثقافة الإسلامية وعادات وتقاليد المسلمين، وتسّهل مراعاة السائحين للمشاعر والأخلاق الإسلامية، وتوفير المرشدين المؤمنين.

د- الحذر من أساليب الأعداء الذين يجعلون من المرأة سلعة ووسيلة لنشر الخيانة والانحلال، وهم بذلك يحطّون من مكانة المرأة ويفسدون الأمة ويضعفون شبابها، ويصرفون طاقاتها بعيداً عن الدعوة والجهاد.

ذ- التحذير من تَشَبُّه الرجالِ بالنساء، أو تَشَبُّه النساء بالرجال؛ في اللباس والزينة والأخلاق والأفعال والأقوال ونحوه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»[1].

ر- تجنب الدخول على المرأة الأجنبية أو الخلوة بها، فقد قال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قال: «الحَمْوُ المَوْتُ»[2].

ز- التوصية خصوصاً بأن يَعِفَ المسلم عن نساء جاره، فقد عَظّمَ الإسلام ذنب من

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المتشبهون بالنساء، والمتشبهات بالرجال، ج7، ص159، ح5885.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، ج7، ص37، ح5232. الحَمْوُ: أقارب الزوج من غير المحارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم.

انتهك حرمة جاره، كما في حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ: إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»[1].

11. تحقيق مبدأ العفة في السجون والمعتقلات ومراكز التأهيل، وأثناء الخدمة العسكرية، ومراعاة ما يلي:

أ. تطوير فلسفة السجون والغاية منها، لتحفظ حقوق الإنسان حتى لو كان نزيلها مجرماً، واعتبار السجن مكاناً للإصلاح وإعادة التأهيل، وبيئة تدفع النزيل للتوبة والعودة إلى الرشد، ليخرج من سجنه صالحاً يخدم نفسه وأسرته ومجتمعه.

ب. التحذير أن تصبح السجون أوكاراً لممارسة الشذوذ، أو مدارس تُعَلَّمُ فيها الجريمة، أو مستنقعاً تخرج منه الأمراض الاجتماعية والصحية.

ج. التقليل من عقوبة السجن، وجعلها عند القاضي خياراً أخيراً، وإيجاد بدائل عنها، كالغرامات المالية، أو الحبس المنزلي، أو منع السفر، وفي ذلك تخفيف على الدولة، وتقليل للاكتظاظ في السجون، وحتى لا يختلط البسطاء بالمفسدين وكبار المجرمين.

د. وضع قوانين تضبط ممارسات ضباط الأمن والشرطة، وتمنعهم من الانتهاكات الجنسية أثناء عمليات الاعتقال والتحقيق والتفتيش، وتوفير الإمكانية للادعاء عليهم ومحاسبة من يتجاوز منهم.

ه. السعي نحو تطوير السجون لتصبح قادرة على توفير الخلوة الشرعية للمساجين مع زوجاتهم، أو تأمين الخروج المؤقت لهم؛ مظنة أن يكون تكرار هذه الخلوات حافزاً لتعديل السلوك والانضباط الأخلاقي.

و. منع دخول المواد الإباحية، والمخدرة إلى السجون، وعزل الشاذين ومجرمي الأخلاق عن غيرهم، وتوفير سجون خاصة للأحداث والنساء، ووضع آليات تضمن سلامتهم.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إثم الزنا، ج8، ص164، ح6811.

ز. إشغال السجناء بالأعمال البدنية والحرفية، والرياضة والتعلم وإكمال الدراسة، واستثمار أوقاتهم وطاقاتهم في الإنتاج وتحصيل المال وادخاره لهم، ويكون ذلك بتوفير المكتبات في السجون، وصالات الدرس والرياضة، ومشاغل النجارة والحدادة والصناعات الحرفية المختلفة ونحوه.

ح. توفير الحاجات الأساسية من مأكل وملبس لنزلاء السجن، ومراعاة أن تكون كافية، حتى لا يؤدي النقص فيها للابتزاز. وتنظيم عنابر السجون وأماكن النوم والخلاء بشكل يمنع الاكتظاظ، ويفرق بين النزلاء في المضاجع.

ط. تذكير الناس في السجن وخارجه بمقت الله تعالى لأفعال الزناة والشاذين، وأنه سبحانه يغار أن تنتهك الحرمات، ويغضب ويعاقب من يعتدي على الأعراض.

ي. في سياق التربية الوقائية ينبغي تخويف الناس من جريمتي الزنا والشذوذ، من خلال تذكيرهم بآثارها السلبية على الفرد والمجتمع، وبما يترتب عليها من عقوبة في الدنيا والآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ، فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ، وَالْمَفْعُولَ بِهِ»[1]. يقول ابن تيمية: "اتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهما جميعاً؛ لكن تنوّعوا في صفة القتل.. ولهذا كان مذهب جمهور السلف والفقهاء أنهما يُرجمان بكرين كانا أو ثيبين... وقد اتفق المسلمون على أن من استحلّها ... فهو كافر مرتد. وكذلك مُقدّمات الفاحشة ..فهي حرام باتفاق المسلمين[2].

ك. العناية الكبيرة بتوفير برامج الوعظ والإرشاد، والدعم النفسي المستمر لنزلاء السجن، ووضع الحوافز والمشجعات أمامهم؛ لزيادة انضباطهم السلوكي والأخلاقي وتقريب صلاحهم وتوبتهم.

ل. على إدارة السجون تأمين الحماية الفعلية لنزلائها فتحفظ حقوقهم ولا يعتدى عليها.

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب فيمن عمل عمل قوم لوط، ج4، ص158، ح4462. وقال الألباني: حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح4462.

(2) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج11، ص543.

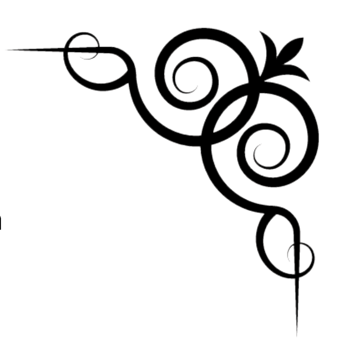
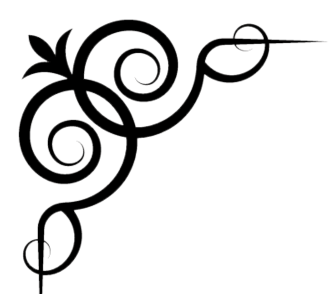
م. يتقي نزيل السجن والأسير ربه، ويصبر ويستعفف حتى يجعل الله له مخرجاً، ولا ينسى يوسف عليه السلام فهو قدوته في العفة، وأسوته في الصبر داخل السجن.

ن. تصبر المرأة المسلمة حال سجن زوجها أو أسره أو بُعْده، وتحفظه في نفسها وماله وولده، وتحذر عند دخول الناس عليها وتَجُبُّ الغيبة عن نفسها، وتتقي الله وترقب حسابَه يوم القيامة، وتحيط نفسها بأولادها والصالحين من أهلها والصالحات من صديقاتها، وتشغل نفسها بما هو خير، وتُحصّن فرجها، وتقتدي بمريم البتول عليها السلام التي جعلها الله آية لنساء العالمين، وفي الوقت نفسه ينبغي أن يكون محيطها ومجتمعها مقدراً لها وواقفاً إلى جانبها ويمدّها بالعون والمساعدة.



قال تعالى:﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾

[سورة النور: 33]

المبحث السادس:
مبدأ العَفْو والصَّفْحُ

العَفْو من الأخلاق العظيمة التي أقرها الإسلام ودعا إليها، والعَفُوُّ من أسمائه ﷻ، « وأصله المَحْو والطَمْس، يقال: عَفَا يَعْفُو عَفْواً، فَهُوَ عافٍ وعَفُوٌّ»[1]. ويرتبط بالعفو الصَّفْح، وهو: «تركُ التّثريب، وأصله من صَفْحُ الشَّيءِ: أي عَرْضُه وجانبه. وصَفَحْتُ عنه: أي أوليته مني صَفْحَة جميلة معرضاً عن ذنبه. والصفح أبلغ من العفو، فقد يعفو الإنسان ولا يَصْفَح [2].

وفي الصفح إعراضٌ وتجاوز عن الذنب، وترك للتأنيب أو العتاب، كما قال الشوكاني: «فاصفح الصفح الجميل أي: تجاوز عنهم واعف عفواً حسناً. وقيل: فأعرض عنهم إعراضاً جميلاً ولا تعجل عليهم، وعاملهم معاملة الصفوح الحليم»[3].

ويحرص المسلم على كظم غيظه وضبط نفسه ويتجنب الغضب، ثم يعفو ويصفح، فيكون من المحسنين الذين يحبهم الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾ [آل عمران:134].

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم بالعفو والصفح، فقال: ﴿**فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ**﴾ [المائدة:13]، وأمر عباده المؤمنين بالعفو والصفح، فقال: ﴿**فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ**﴾ [البقرة:109]، وقال تعالى مرغِّباً في العفو: ﴿**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥ**﴾ [المائدة:45]، قال الأصفهاني في تفسيره: «خطابٌ لِوَلِيِّ القتيلِ وللجروح؛ حثٌّ له على العفو، وذَكَرَ لفظ التَصّدُق تنبيهاً على

---

(1) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج11، ص543.

(2) الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ج1، ص486.

(3) الشوكاني: **فتح القدير**، ج3، ص169.

أن عفوه جارٍ مجرى صدقةٍ يستحق بها ثواباً، وتصيرُ كفارةً له»[1]. وتجلّى العفو والصفح في قصة يوسف عليه السلام بعد أن أقرَّ أخوته بأنهم كانوا خاطئين، فعفا عنهم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:92]، يقول الزحيلي: «وما فعله يوسف عليه السلام يعدّ مثلاً رائعاً في السماحة والعفو والصفح، فهو عفو لا لوم فيه ولا تعيير، وهو صفح في حال المقدرة على العقاب، وهو تنازل عن أي حق دون أي حقد أو كراهية، وأضيف إليه الدعاء بالمغفرة على الذنب والستر، والرحمة في عالم الآخرة بين يدي أرحم الراحمين»[2].

ويمكن تلمس العفو في سيرة النبي ﷺ وأصحابه، فقد عفا عن أسرى بدر بقبول الفدية منهم، وعن مشركي قريش يوم فتح مكة المكرمة، وحثّ رسول الله ﷺ على العفو فقال:

«وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا»[3]. وكان العفو شيمة الصحابة رضي الله عنهم مع بعضهم، فقد عفا أبو بكر الصديق، عن الذي تكلم في عِرْضِه، وأعاد له العطاء، امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:22].

والعفو والصفح ضرورة في علاقات الناس مع بعضهم، ومع جيرانهم، يتجاوزون خلافاتهم ويحلون به نزاعاتهم، وتكون الحاجة للعفو أكثر في العلاقات الأسرية، بين الأزواج، ومع الأولاد وبين الأرحام، فبه تبقى الأسرة متماسكة، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيم﴾ [التغابن:14]، فيعفو المسلم ويصفح رحمة بأهله ويرجو بذلك ثواب الله وعفوه يوم القيامة.

(1) الأصفهاني: **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج4، ص366.

(2) الزحيلي، وهبة مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ، ج13، ص60.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب العفو والتواضع، ج4، ص2001، ح2588.

تطبيق مبدأ العَفْو والصَّفْحُ

1. التوعية بمبدأ العفو والصفح، مفهومه وحكمه وأدلته، وأهميته، وأن مَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عنه، ومَنْ يَتَجَاوَز يَتَجَاوَزُ اللهُ عنه، كما قال النبي ﷺ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ»[1].

2. حاجة المرء لعفو الله تعالى ومغفرته تستلزم دوام الاستغفار، وتكرار التوبة، فمن خير الدعاء سؤال الله تعالى العفو، كما يظهر من رواية عن عائشة ﵂، قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عُفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»[2].

3. الحرص على التماسك الأُسري من خلال مراعاة مبدأ العفو والصفح في الأسرة وبين الزوجين، والتغافل عن بعض التقصير، والتماس الأعذار، وترك العتاب أو التعيير بالأخطاء، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:14].

4. نشر ثقافة العفو والصفح في العلاقات المجتمعية، ومقابلة السيئة بالحسنة، والإعراض عن الجاهلين، والعفو في القتل الخطأ وفي الجروح والحوادث، قال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فُصِّلَت:34].

5. القبول بالصلح ونبذ القطيعة، والبدء بالسلام، قال ﷺ: «لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[3].

6. العفو والتجاوز في الديون، وفي الحقوق المالية، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:280]، وتنظيم الحملات للعفو عن الغارمين، ومساعدتهم لسداد دينهم أو إسقاطه عنهم.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من أنظر معسراً، ج3، ص58، ح2078.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، ج5، ص534، ح3513. وقال حسن صحيح. وصحّحه الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج8، ص13، ح3513.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ج8، ص53، ح6237.

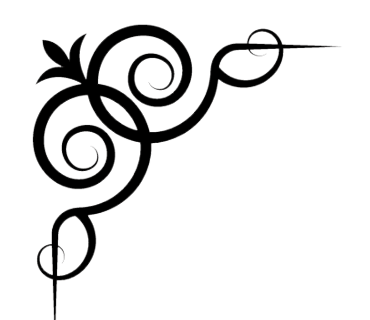
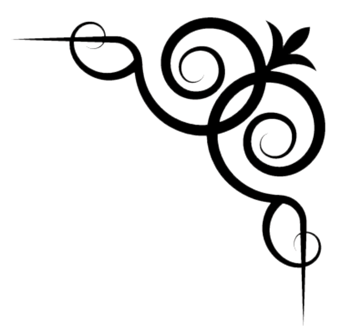
7. عمل الدراسات والأبحاث، وإقامة الندوات والحوارات، التي تجمع وتُحلّل وتناقش النصوص والقصص التي تُعلي قيمة العفو والصفح في القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث، ثم تنشرها بالوسائل الحديثة على شكل مطبوعات ومسموعات ومرئيات.

8. تضمين المناهج الدراسية بما يغرس مبدأ العفو والصفح في نفوس الجيل، ومراعاة تطبيقات العفو في المواقف التربوية والحياة المدرسية التي تعززُ هذه القيمة، وتُكَرِّمُ أصحابها؛ فَتُقَابَلُ أخطاء الطلاب، بتكرار العفو عنهم، مع الحكمة في التوجيه والإرشاد، ولا يُستعجَل في إنزال العقاب بهم.

9. العفو يكون عند المقدرة، تكرماً وإحساناً، ويُوهَبُ لمن سعى له نادماً، معترفاً، منكسراً؛ كحال أخوة يوسف عليه السلام حين اعترفوا وقالوا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:91]، [يوسف:97] قالوها مرتين: مرة مع أخيهم يوسف، ومرة مع أبيهم يعقوب عليه السلام، وفي ذلك إشارةٌ إلى ضرورة أن يسبق العفوَ ندمٌ، وانكسارُ نفسٍ، واعترافٌ بالذنب، وسعي لردّ الحقوق، وهذا ما يفهم من تعليق المغفرة على ترك الإصرار، في قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:135]. أما إن كان العفو عن ضعف أو تحت التهديد والإكراه فهذا ليس عفواً؛ بل هو محض استسلام وخضوع كحال الذي تنازل عن أرضه لعدوه عجزاً أو جبناً أو تحت التهديد والابتزاز.

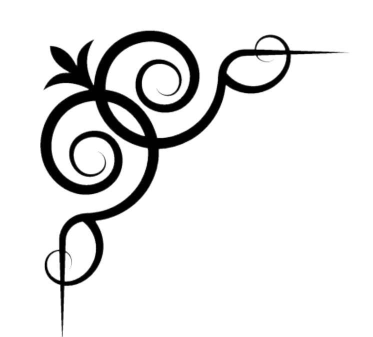
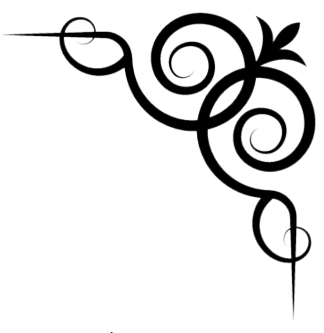
10. فتح باب العفو والصفح عن المجرمين والعصاة والخائنين- قبل القبض عليهم- رجاء صلاحهم وتخلصاً من كيدهم وشرّهم، وتحويلاً لطاقتهم لصالح الإسلام والمسلمين، كما وجّه الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:34].

11. لا عفو عن العدو الصهيوني، ولا يرجو عفواً كل من يقف خلفه أو يعينه أو ينصره. وسيذكر الناس ما فعلوه من احتلال للأرض المقدسة، وتهجير لأهلها وتدنيس لمسجدها الأقصى، فهذا العدو المجرم لا يَحلُم بعفوٍ ولا بصفح، وسيأتي اليوم الذي يجازى فيه على ما اقترفت يداه.

المحور الثاني:
المضامين التربوية في مجال الأخلاق الاجتماعية

1. المبحث الأول: مبدأ العدل
2. المبحث الثاني: مبدأ الرحمة
3. المبحث الثالث: مبدأ برّ الوالدين
4. المبحث الرابع: مبدأ الرعاية الوالدية
5. المبحث الخامس: مبدأ إفشاء السلام
6. المبحث السادس: مبدأ إكرام الضيف
7. المبحث السابع: مبدأ الإنفاق في وجوه الخير

المبحث الأول:
مبدأ العَدْل

العَدْل: وضع الأمور في نصابها. وهو يمسّ كل مجالات حياة الإنسان، وضدُّه الجَور، وعرّف أهل اللغة العدل بأنه: «ما قام في النفوس أنه مستقيم، وأنه الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط»(1). يقول ابن منظور: «عَدَلَ الحاكمُ في الحُكْمِ يَعدِلُ عَدْلًا، فهو عادِلٌ مِنْ قَوْمٍ عُدُولٍ، وفي أَسماءِ الله سبحانه: العَدْل».(2) وقد أمرَ اللهُ تعالى بالعدل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل:90]، ونهى سبحانه عن ضدّه وحرّمه على نفسه في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»(3).

ويعدل المرء مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره، ويعطي كل ذي حق حقه. فالعدل أساسٌ أقيمت عليه الحياة الدنيا، وقد بُعثت لإرسائه الرُّسل، وأنزل الله الكتب والميزان ليقوم الناس بالقسط، ومن أهميته أن الخطباء يذكّرون به في خطب الجمعة، فيتلون قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل:90]، و«الاحسان فوق العدل وزائد عليه، ففي العدل يُعْطِي ما عليه ويَأخُذُ ما لَه، وفي الإحسان: يُعْطِي أكثر مما عليه، ويَأخُذُ أقل مما له، فتحرّي العدل واجبٌ، وتحرّي الإحسان ندبٌ وتطوعٌ؛ لذلك عظّم الله سبحانه ثواب أهل الإحسان فقال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[آل عمران: 134]»(4).

وإذا اختل ميزان العدل الذي أنزله الله تعالى؛ وقع الطغيان والظلم، وحُكِمَ الناس بالأهواء؛ وكان ذلك إيذاناً بقرب الهلاك، وسقوط الدول، كما أكد النبي ﷺ في قصة المخزومية التي

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج29، ص443.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص340.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ج4، ص1994، ح2577.

(4) أبو حبيب، سعدي. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دمشق، دار الفكر، ط2، 1988م، ج1، ص89.

سرقت، فقال: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا «ثُمَّ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا»[1].

وقد حمل المسلمون رسالة العدل، وفتحوا بها البلاد، وسادوا فيها العباد، كما قال ربعي بن عامر ﷺ، في جوابه لرستم قائد الفرس عندما سأله: « مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ»[2]. وأكد ذلك عمر بن الخطاب ﷺ وهو يأخذ الحق للقبطي الذي ضُرب ظلماً: « مُذْ كَم تعبَّدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟»[3].

تطبيق مبدأ العدل

1. ينبغي أن تتكاتف جهود المؤسسات التعليمية والمساجد ووسائل الإعلام، للتوعية بمبدأ العدل وتطبيقاته في مجالات حياة الإنسان، وتعريف الناس بمفهومه وحكمه الشرعي، وأهميته، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأنه وصية الله وأمره، قال تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:8].
2. توجيه البحوث والدراسات لاستخراج قصص العدل من كتب التراث، وصياغتها وإنتاجها أفلاماً ومسلسلات تلفزيونية، وإبراز القدوات الحسنة فيها.
3. تنمية دوافع العدل عند المسلم، ومنها: الامتثال لأمر الله تعالى، وابتغاء مرضاته؛ وخوفاً منه سبحانه، ونصرة للحق، وإنصافاً للمظلوم.
4. يعدل المسلم في علاقته مع ربه، فيعطي الله تعالى حَقَّه بتوحيده وتخصيصه بالعبادة، فيتجنب الشرك بكل صوره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:13].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، ج5، ص151، ح4304.

(2) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج7، ص39.

(3) الهندي: علي بن حسام (ت: 975هـ). **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ1981-م، ج12، ص660.

5. يعَدل المرء مع نفسه، فلا يظلمها بارتكاب المعاصي، ولا يُحمّلها ما لا تطيق، بل يزّكيها، ويقودها لخير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة:36].
6. العدل في قول الحق، والشهادة به، ودعوة الناس إليه، والحذر من كتمانه، أو تحريفه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا﴾ [الأنعام:152].
7. العدل في معاملة الأبناء، وفي قسمة العطايا بينهم، فعن النُعمَان بن بَشِير رضي الله عنهما، قال: أَخَذَ أَبِي بِيَدِي وأنا يومئذ غُلامٌ، فَأَتَى رسولَ الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى الَّذِي وَهَبْتُ لِابْنِهَا، فقال رسولُ الله ﷺ: «يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هَذَا؟» قال: نعم، فقال: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قال: لا، قال: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ»[1].
8. العدل في القسمة بين الزوجات، ومراعاة تقديم الفضل والإحسان على العدل، فبالعدل ينال كل ذي حق حقه، وبالفضل والإحسان يكون العفو والتنازل والتسامح والتغافل، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة:237].
9. مراعاة أن يكون مبدأ تحقق صفة العدل من كفايات العاملين في المؤسسات التعليمية وأخلاقهم، وجعله أساساً في العلاقة بين أطراف العملية التعليمية.
10. ضبط ميزان العدل، ومحاربة الظلم والتصدي لأمراض المجتمع المعيقة والمانعة من إرساء مبدأ العدل، كالشفاعة في غير مكانها، وما يُسمى بالواسطة والمحسوبية؛ حتى يساوى بين الغني الفقير، وبين الشريف والضعيف، لقول النبي ﷺ: «فَإِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا»[2].
11. مراعاة أن تسري روح العدل وتطبيقه من رأس الهرم إلى قاعدته، فيعدل القائد والوزير والمدير وربّ الأسرة على نفسه ويلزمها بما يلزم به غيره، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:135].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج3، ص1243، ح1623.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، ج5، ص151، ح4304.

12. العدل في الحُكْم والقضاء وعند الإصلاح بين الناس، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58].

13. العناية بإعداد القضاة، وتوظيف من اتصف منهم بالعلم والتقوى وتحري العدل، وتقديم من تحرّر من العصبية واتباع الهوى، ومن لا يخاف في الله لومة لائمة.

14. العدل في الكيل والميزان، وفي أنواع البيوع، وعند تبادل المنافع والحقوق والأجور، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ [الإسراء:35].

15. مراعاة أن يكون العدل مثمراً مرناً إيجابياً عند تطبيقه، فلا يؤدي لتعطيل حياة الناس، قال تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ [سورة الأنبياء: 87]. قال صاحب الظلال في تعليقه: «لقد اتجّه داود ﷺ في حُكْمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحَرْث، وهذا عَدْلٌ فحسب، ولكن حُكَم سليمان ﷺ تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعاً إلى البناء والتعمير، وهذا هو العدل الحيّ الإيجابي في صورته البانية الدافعة»[1].

16. السماح بنقد الأحكام والمواقف والقرارات، وتمييزها ومراجعتها وتقييمها، والتراجع عنها إن بدا غيرها خيراً منها، فقد رجع داود ﷺ عن حُكْمه، واستغفر ربَّه وخرّ راكعاً وأناب، ورجع عمر بن الخطاب ﷺ إلى الحق، عندما حاول تحديد مهور النساء، « فقامت إليه امرأة فقالت: يا عمر، يعطينا الله وتحرمنا! أليس الله سبحانه يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء:20]؟ فقال عمر: أصابت امرأة وأخطأ عمر»[2].

17. من المهم التأكد من استحقاق المتهم للعقوبة، والتأكد من تفهم دوافعه، فقد استمع موسى ﷺ للسامري، وأخّر سليمان ﷺ عقوبة الهدهد الغائب حتى يسمع منه.

18. مراعاة أن:"الخطأ في العفو أفضل شرعاً من الخطأ في العقوبة، فتبرئة المجرم أهون من

---

(1) قطب، **في ظلال القرآن**، ج4، ص2389.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، ج5، ص99.

معاقبة البريء، فعمر بن الخطاب ﷺ لم يُقِم حدّ السرقة عام الرمادة، لأنه جعل من المجاعة العامة قرينة على الاضطرار، والاضطرار شبهة في السرقة تمنع الحدّ عن السارق"[1].

19. لا يُؤخذ أحد بجريرة غيره، ولا يجازى المرء إلا بعمله، ولا يَحْمِل أحد عن أحد، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:18]، وقال تعالى يحكي في قصة يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّـا إِذًا لَّظَالِمُون﴾ [يوسف:79].

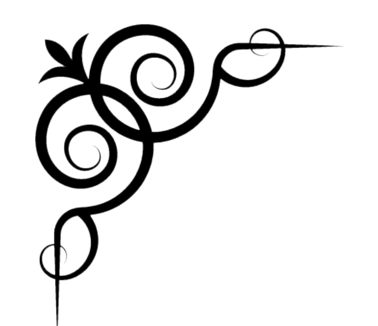
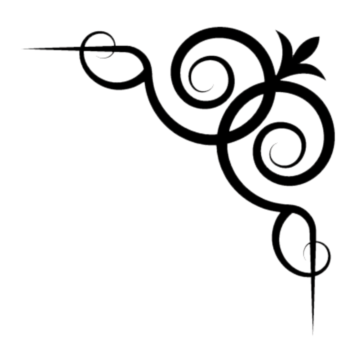
20. مراعاة أن تجبر الحسنات السيئات، فيُذكر لمن زلّ فضلُهُ وسبقُهُ وتضحيته وجهاده، وفي السيرة أن النبي ﷺ تجاوز عن حاطب بن أبي بلتعة ﷺ مع خطئه العظيم، فقد شفع له سبقه وجهاده في غزوة بدر، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[2].

21. يجب رفع الظلم الذي سبَّبه العدوان الصهيوني على أهل الأرض المباركة، فالعدل يقتضي وقوف الأمة صفاً واحداً في مقاومة العدو المعتدي، والتصدي له بالرباط والقتال في سبيل الله، ومن العدل معاملة العدو بالمثل، وردّ كيده في نحره، والنيل منه، والإثخان فيه، ومن العدل أن يحيا الناس أعزاء ويموتوا أوفياء لدينهم ومقدساتهم، ومن العدل تحرير الأسرى وإعادة البسمة لأمهاتهم وأبنائهم وزوجاتهم.

---

(1) انظر: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط1، مصر، مطابع دار الصفوة، 1427هـ، ج26، ص205.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الجاسوس، ج4، ص59، ح 3007.

المبحث الثاني:
مبدأ الرحمة

إن مما يميز الإسلام أنه دين الرحمة، فالله هو الرحمن الرحيم، رحم عباده في الدنيا، ووعدهم بالرحمة في الآخرة، كما قال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا. وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. وحذّر النبي ﷺ من ترك الرحمة، فقال: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[2]. فالرحمة مبدأ أسست عليه الحياة الدنيا، وهي حبل نجاة للرحماء يوم القيامة.

وقد عرّف ابن منظور الرَّحْمة بأنها: الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والْمَغْفِرَةُ، وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه. وتَراحَمَ القومُ: رَحِمَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. تقول: رَحِمَهُ رُحْماً ورُحُماً ورَحْمةً ورَحَمَةً ومَرحَمَةً. قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[البلد:17]، أَي أَوصى بعضُهم بَعْضاً بِرَحْمَة الضَّعِيفِ والتَّعَطُّف عليه[3].

وعرّف الراغب الرَّحْمَة بأنها: "رِقة مقتضية للتعطف والتفضل، فمبدأها الرِّقَة التي هي انفعال، ومنتهاها العطف والتفضل الذي هو فعل؛ فالإنسان إذا وُصف بالرحمة، فتارة يرادُ به حصول المبدأ الذي هو الرِّقَة، وتارة يراد به المنتهى الذي هو التَفَضُّل والعَطْف، وتارة يُرادان معاً. وإذا وصف بها الباري ﷻ، فليس يراد به إلا المُنتهى الذي هو التفضل والعطف"[4].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، ج4، ص2108، ح2752.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص7، ح5997.

(3) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج12، ص230.

(4) الأصفهاني: **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج1، ص50.

وقد وردت الرحمة اسماً وفعلاً (323) مرة في القرآن الكريم، كان منها وصف الله تعالى بالرحمن (57) مرة، ووصفه بالرحيم (115) مرة [1]، مما يؤكد أن رسالة الإسلام من أعظم أسسها الرحمة.

وتتنوع مظاهر رحمة الله تعالى بعباده لتشمل كل أفعال الربوبية كالتفضّل والتعطّف والحنان والإحسان والإنعام والرزق والمغفرة والتوبة والرأفة، فهو الرحمن الرحيم، والتواب الرحيم، والغفور الرحيم، والبَّر الرحيم، وهو الرؤوف الرحيم. ويُعدّ بعث الأنبياء وإرسال الرسل من أعظم رحمات الله المنزلة على عباده، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم:21].

وجاءت التوجيهات الإسلامية توصي المسلم بالرحمة وتؤكد عليها، فدعته إلى: الرحمة بالوالدين يبرهما وبخفض جناحه لهما، والرحمة بالزوجة فيحنُّ عليها ويكرمها ويعاشرها بالمعروف، والرحمة بالأبناء فيعطف عليهم ويسعى في رعايتهم والقيام بشؤونهم، والرحمة بالأقارب والأرحام فيتفقدهم ويَصِلُهم ويحسن إليهم، والرحمة بالجيران فيكرمهم ويُهدي إليهم ولا يؤذيهم، والرحمة بمجتمعه فيتصدق ويزّكي ويقف ويوصي. والرحمة بالناس جميعاً يدعوهم إلى الحق والهدى.

وحتى البهائم ينالها نصيبها من رحمة المؤمن وعنايته، فهو يتجنب ضربها أو تجويعها أو تعذيبها أو قتلها، بل المسلم يرحمها فيطعمها ويسقيها ما أمكنه ذلك، قال ﷺ: « بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقال: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»، قَالُوا: يا رسول الله، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قال: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[2].

فالرحمة مبدأ عظيم؛ تتنزل الرحمات من الله تعالى لعباده ولسائر خلقه، والمؤمنون يتراحمون بينهم، والبشر عموماً يتعاطفون مع بعضهم بغض النظر عن دينهم، وللكائنات الحية في بيئتنا نصيب من رحمة البشر؛ وهذا ما دفع الإنسان ليقنن لها القوانين، ويعقد لأجلها الاتفاقات التي ترعى حقوق

---

(1) المرجع السابق، ج1، ص50.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل سقي الماء، ج3، ص111، ح2363.

الإنسان وكرامته وتغيثه وترفع الظلم عنه، ونجد في السيرة نحواً من ذلك في حلف الفضول الذي حضره النبي ﷺ في الجاهلية وكان حلفاً مُقَدَّراً في الإسلام لما تعاهد عليه المجتمعون من نصرة المظلوم والدفاع عنه وحفظ حقه.

تطبيق مبدأ الرحمة

1. التوعية بمبدأ الرحمة، وبيان أهميته، وحكمه وأدلته، وآثاره، وتطبيقاته كالإحسان والعفو والصفح وإغاثة الملهوف ورفع المشقة وفك العاني والرفق عموماً، والتي هي تعبيرات عن انفعالات ومشاعر الإحساس بالآخرين والتعاطف معهم والرأفة بهم.
2. التفكّر في مظاهر رحمة الله التي مسّت عوالم الإنسان والحيوان والنبات، ومن أعظمها نعمة إرسال الأنبياء الكرام لهداية الناس، وما أُنزل معهم من الكتب وآخرها القرآن العظيم، فأي إكرام وأي رحمة من الله نالها الإنسان، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ [العنكبوت:51].
3. عدم اليأس أو القنوط من رحمة الله، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء، وهو يغفر الذنوب جميعها، قال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم﴾ [الزمر:53]، كما أنه سبحانه باسط يده بالرحمة يستقبل توبة التائبين، كما أخبر النبي ﷺ: فقال: «إِنَّ اللهَ تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].
4. العناية بالوسائل المؤدية لتنزل رحمة الله وبركاته، ومنها الإيمان بالله، والولاء للمؤمنين، وطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجديد التوبة والاستغفار، وحضور مجالس العلم، وكفالة اليتيم والرحمة بالفقير والمسكين، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون﴾ [الأعراف:156].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب، ج4، ص2113، ح2759.

5. تنمية الدوافع التي تعين الناس على رحمة بعضهم، ومنها الامتثال لأمر الله بالرحمة، والاقتداء بنبي الرحمة ﷺ، والتطلع لما أعده الله في الآخرة للرحماء.

6. يرحم المرء نفسه، فيزكّيها بحملها على فعل الصالحات واجتناب المعاصي، كما لا يقتل نفسه مهما صعبت عليه ظروف حياته، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:29]، ويقيها من الأمراض، ويجنبها موارد الهلاك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195]، ويرفق بها ولا يُحَمِّلها فوق طاقتها، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:286].

7. يرحم المرء أبنائه صغاراً وكباراً، ويعطف عليهم ويقبلّهم ويحنو عليهم، ويدعو لهم بكل خير، ويكون لهم عوناً وسنداً، ويحسن تربيتهم وتأديبهم ويأمرهم بالصلاة والزكاة، ويسعى لنجاتهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم:6]، وورد في رحمة الأحفاد حديث أُسَامَة بْن زَيْد ﷺ، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَأْخُذُنِي فَيُقْعِدُنِي عَلَى فَخِذِهِ، وَيُقْعِدُ الحَسَنَ عَلَى فَخِذِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَضُمُّهُمَا، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمَا فَإِنِّي أَرْحَمُهُمَا»[1]، وعن أبي هُرَيْرَة ﷺ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»[2].

8. يرحم الزوجان بعضهما، فيتبادلان مشاعر المودة والمحبة ويتعاشران بالمعروف، ولا يحمّل أحدهما الآخر ما لا يطيق، ويكون بينهما العفو والصفح والمغفرة والتغافل، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم:21]. وقال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب وضع الصبي على الفخذ، ج8، ص8، ح6003.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ج8، ص7، ح5997.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الوصية بالنساء، ج2، ص1091، ح1468.

9. يرحم الإنسان والديه ببرهما، والإحسان إليهما، ويرعاهما في ضعفهما وكبرهما، ويدعو لهما بالرحمة في حياتهما وبعد موتهما. قال تعالى: ﴿**وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [الإسراء:24].

10. العناية بصلة الأرحام، بإغناء فقيرهم، ومداواة مريضهم، ومدّ يد العون لمحتاجهم، وتفقد الأحوال بالسؤال والزيارة، قال تعالى: ﴿**فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ**﴾ [الروم:38]، وقد روى أبو هريرة ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ « قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد:22]»[1].

11. تقتضي الرحمة الإحسان إلى الجيران، فيتواضع لهم، ويبشّ في وجوههم، ويهدي لهم، ويعود مريضهم، ويشاركهم أفراحهم ويواسيهم في أتراحهم، قال تعالى: ﴿**وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ**﴾ [النساء:36]، وقد جاءت الوصية بالجار في قول النبي ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[2].

12. الرحمة بالمجتمع، فيُرحمُ الكبير ويُعطف على الصغير، ويُساعد الفقير والمسكين، ويُسدّ عن الغارم، ويُرحم ابن السبيل، ويُغاث الملهوف، ولا يُنهر السائل ولا يقهر اليتيم، قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»[3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب وتقطعوا أرحامكم، ج6، ص134، ح4830. (الرحم) القرابة. (الحقو) هو الخصر وموضع شد الإزار وهو الموضع الذي جرت عادة العرب بالاستجارة به..

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الوصاة بالجار، ج8، ص10، ح6015.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في رحمة المسلمين، ج4، ص323، ح1924، وقال حديث حسن صحيح. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج4، ص424، ح1924. (شجنة) هي في الأصل عروق الشجر المشتبكة. (من الرحمن) اشتق اسمها من هذا الاسم الذي هو صفة من صفات الله تعالى والمعنى أن الرحم أثر من آثار رحمته تعالى مشتبكة بها.

13. الرحمة بالبهائم فلا تُؤذى ولا تُعذّب ولا تُحمل فوق طاقتها، وقد حذّر النبي ﷺ فقال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ»[1]. كما جاء النهي عن اتخاذ الحيوانات غرضاً، كما روى أنس ﷺ قال: «نَهَى النبي ﷺ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ»[2]، وصَبْرُ البهائم حبسها وهي حية لتقتل برمي أو نحوه؛ بل الواجب أن يرحمها صاحبها ويتعبد الله تعالى في إطعامها وسقائها وعلاجها وإيوائها، وحتى عند ذبحها لأكلها فإن المسلم يراعي الإحسان في طريقة ذبحها رحمة بها، فعن شداد بن أوس ﷺ، قال: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[3].

14. من الرحمة التيسير على الناس، والتخفيف عليهم، فقد أوصى النبي ﷺ أصحابه بالتيسير على الناس، فقال لمعاذ وأبي موسى ﷺ قبيل إرسالهما إلى اليمن: «يسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا»[4]. ويروى أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، قال: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»[5]. وقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ»[6].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل سقي الماء، ج3، ص112، ح2365.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما يكره في المثلة، ج7، ص94، ح5513.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الأمر بالإحسان في الذبح، ج3، ص1548، ح1955.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ج4، ص65، ح3038.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، باب تخفيف الإمام في القيام، وإتمام الركوع، ج1، ص142، ح702.

(6) مسلم: **صحيح مسلم**، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج1، ص343،ص470. (الوجد) يطلق على الحزن وعلى الحب أيضا وكلاهما سائغ هنا والحزن أظهر أي من حزنها واشتغال قلبها به..

15. الرحمة بالغارمين وإمهالهم أو التجاوز والعفو عنهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:280]، وعن النبي ﷺ قال: «حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ»، قَالَ: « قَالَ اللهُ تعالى: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ»(1).

16. الرحمة بالخدم والموظفين والعمال، والتجاوز عن زلّاتهم ومعاونتهم فيما كلفوا به من أعمال، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الخَادِمِ؟ فَقَالَ: «كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»(2). وعن المعرور بن سويد، قال: رأيت أبا ذر الغفاري رضي الله عنه وعليه حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»(3).

17. الرحمة بمرتكبي الأخطاء من الجهلة من الناس والنادمين من العصاة، وإرشادهم وتأليف قلوبهم والعفو عنهم، كما فعل يوسف عليه السلام مع إخوته: ﴿قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:92]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(4).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل إنظار المعسر، ج3، ص1195، ح1561.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في العفو عن الخادم، ج4، ص336، ح1949. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج4، ص449، ح1949.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم ...، ج3، ص149، ح2545

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي ﷺ يسروا، ج8، ص30، ح6128. (فثار..) هاجوا عليه. (ليقعوا به) ليؤذوه بالضرب ونحوه.ص (سجلاً) دلواً فيه ماء.

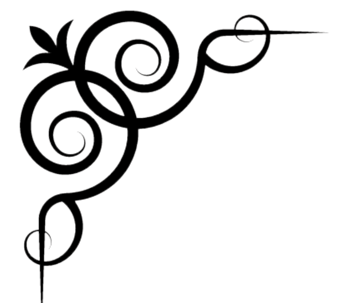
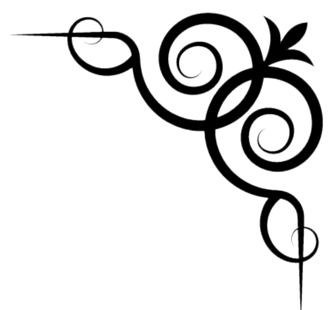
18. ترتقي رحمة المسلمين ببعضهم لتتجاوز التعاطف المعنوي والانفعال النفسي إلى ما تقتضيه الرحمة من أفعال وأقوال ومواقف تترجم بالتضامن والنجدة والغوث والنُصرة بالمال والنفس ونحوه.

19. يرحم المسلمون إخوانهم أهل الأرض المباركة، فيثبتونهم في أرضهم، وينصرونهم على عدوهم، ويرحمون ضعفهم، ويجبرون كسرهم؛ ويعملون على فك حصارهم؛ فالمسلمون جسد واحد وهم يدٌ على من سواهم. كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

20. الرحمة وصية الإسلام للمجاهدين، فرحمتهم تمنعهم استهداف الأطفال والنساء والشيوخ وغير المقاتلة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: وُجِدَتِ امْرَأَةٌ مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»[2]. وكان ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، يوصيه فيقول: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً»[3]. وبالمقابل فإن الشدة والغلظة تكون على العدو الصهيوني الغاشم الذي احتل فلسطين وقتل وهجّر وسجن شعبها المسلم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: 123].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج4، ص1999، ح2586.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قتل النساء في الحرب، ج4، ص61، ح3015.
(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ج3، ص1357، ح1731.

المبحث الثالث:
مبدأ بِرّ الوالدَيْنِ

اعتنى الإسلام بالوالدين، وأمر الله ببرهما وشكرهما والدعاء لهما، وأوصى سبحانه بخفض الجناح لهما والإحسان إليهما، ونهى عن نهرهما أو النطق بكلمة تجرح شعورهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء:23].

والبِّر اسمٌ جامعٌ لكلِ خير، وفيه معاني الصِّلَةُ والطاعة والاتساع في الإحسان للغير، وبَرَّ رَحِمَه إذا وَصَلَهُ، وبَرّ والدَيه إذا أطاعهما وأحسنَ إليهما، يقول الزبيدي: "أَصل معنَى البِرِّ السَّعَةُ، ثمّ شاع فِي الشَّفَقَة والإِحسانِ والصِّلَةِ والتوسُّع فِي فِعْل الخَير، ويُنسَب ذلك تارة إِلى الله تعالى في نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[الطور:28] وإِلى العَبْد تَارَة فيُقَال: بَرَّ العَبْدُ رَبَّه، أَي تَوَسَّعَ فِي طاعَته؛ فمِنَ الله تعالَى الثَّوابُ، وَمن العَبدِ الطّاعةُ»[1].

وبِرُّ الوالدَيْنِ يكون بصلتهما وطاعتهما والشفقة عليهما، وشكرهما والدعاء لهما، والتَّوسُّعُ فِي الإِحسان إِليهما، في حياتهما وبعد موتهما. وضِدَه العقوق، وهو من: "عَقَّ والِدَه، يعُق عَقّاً، وعُقُوقاً، ومَعَقّةً: أي شَقّ عَصا طاعَتِه"[2].

ومن مظاهر العقوق معصية الوالدين، أو الإساءة لهما أو التسبب في حزنها، وقد جاء نهي النبي ﷺ عن ذلك واعتباره من أكبر الآثام، فقال: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ»[3]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ:

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج10، ص151.
(2) المرجع السابق، ج26، ص172.
(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج8، ص4، ح5976.

عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ»[1]. وبالمقابل فإن برّ الوالدين من أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، فقد سئل النبي ﷺ: أَيُّ العمل أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قال: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قال: ثم أَيّ؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قال: ثم أَيّ؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[2].

واسْتَأْذَنَ رجلٌ النبي ﷺ في الجِهَادِ والهجرة قائلاً: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، فقال ﷺ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قال: نعم، بَلْ كِلَاهُمَا، قال: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قال: نعم، قال: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»[3].

وأخبر النبي ﷺ أن الوالد أوسط أبواب الجنة، في قوله: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ»[4].

وجاء إلى رسول الله ﷺ رجلٌ، فقال: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قال: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ»[5].

ولأن أشد ما يحتاجه الوالدان من البِّر والرعاية حال كِبَرِهما، فقد جاءت الوصية بذلك خصوصاً، في قوله تعالى: ﴿**إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا**﴾ [الإسراء:23].

وبِرُّ الوالدين حقٌ لهما واجبٌ على أبنائهما حتى لو كانا مشركين؛ أو مقيمين على معصية، فعَنْ أَسْمَاءِ بِنْت أَبِي بَكْر ﷺ، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ج8، ص4، ح5975. (عقوق الأمهات): أصل العقوق القطع، وأُطلق على الإساءة للأم وعدم الإحسان إليها، لما في ذلك من قطع حقوقها، وخصّ الأمهات بالذِّكر وإن كان يستوي في ذلك الآباء والأمهات؛ لأن الجرأة عليهن أكثر في الغالب.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى" ووصينا الإنسان بوالديه"، ج8، ص2، ح5970.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ج4، ص1975، ح2579.

(4) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب من حديث أبي الدرداء، ج2، ص1208، ح3663. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج8، ص163، ح3663.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ج4، ص1974، ح2548.

فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ»[1].

ويستمر البر للوالدين حتى بعد موتهما، كما في حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ، فقال: «يا رسول الله هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «نَعَمْ الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا»[2].

وقد جعل الله من أنبيائه الكرام قدوة للبارين، فهذا إسماعيل عليه السلام يمتثل لطاعة والده إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:102]، وأثنى الله تعالى على بِرّ يحيى لوالديه عليه السلام، فقال: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا﴾ [مريم:14]، وكذلك عيسى عليه السلام عرّف بنفسه، فقال: ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾ [مريم:32]، وفي الآيات تأكيد على أهمية برّ الوالدين، وأن عقوقهما تَجّبُرٌ ومعصية وشقاء، كما روي عن بعض أهل العلم قولهم: لا تجدُ عاقاً إلا وجدتَه جباراً شقياً[3].

إن هذه العناية الكبيرة من الإسلام ببرّ الوالدين، تأتي في إطار تربية النفس البشرية على تقدير من أحسن إليها، والوفاء لمن اعتنى بها وحفظها ورعاها في صغرها؛ وهذا بحد ذاته يعتبر طريقاً موصلاً إلى الإيمان، ويؤدي بالبار إلى شكر الله تعالى وعبادته؛ فهو سبحانه وتعالى خالق الابن ووالديه، وهو الذي أنشأ المرء جنيناً في بطن أمه، وصوّره وسوّاه وعدله في أحسن تقويم، ورعاه قبل أن يرعاه والداه، وعليه فإن من تَنكَّرَ لوالديه وعقّهما ولم يشكر صنيعهما، فإنه يخشى عليه أن يتنكّر لخالقه سبحانه وتعالى.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الهدية للمشركين، ج3، ص164، ح2620. (راغبة) أي في الإسلام، وقيل عنه أي كارهة له.

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب في بر الوالدين، ج4، ص336، ح5142. ورواه الحاكم في المستدرك، ج4، ص171، ح7260. وقال حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(3) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج8، ص350.

تطبيق مبدأ بر الوالدين

1. التوعية بمفهوم بِرّ الوالدين، وبيان حُكْمه، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية، والترغيب بالبِّر ببيان أجْره وثوابه في الدنيا والآخرة، والترهيب من العقوق ببيان عواقبه في الدنيا والآخرة.
2. إشاعة مبدأ برّ الوالدين ليكون ثقافة وديناً في المجتمع، بغرسه في نفوس الأبناء منذ طفولتهم.
3. عقد ورش العمل والندوات والدروس في الإذاعة والتلفاز وفي المدرسة والمسجد، لِلفت الانتباه إلى مواقف البارين بوالديهم من السلف والخلف، وإبراز النماذج والقدوات، والدعوة للاقتداء بهم.
4. جمع قصص البارين وتحويلها لمقاطع تمثيلية تذّكر بالبِرّ وتؤكد عليه.
5. نشر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المرتبطة ببر الوالدين، والتأكيد على الأحكام الشرعية المتضمنة.
6. تعاون الأبناء في بِرّ والديهم والتسابق والتواصي بذلك، وتوزيع الأدوار في بذل المال والوقت والزيارة والعناية.
7. تعديل القوانين والتشريعات التي تُسهّل مهمة كلٍ من الوالدين في إنجاب الأبناء ورعايتهم، ومهمة الأبناء في برّ الوالدين ورعايتهم، والعناية بالمسنّين وشملهم في مظلة الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي.
8. ينبغي أن يقف الوالدان على أسباب عقوق الأبناء ومعالجتها، ومنها:

أ. ضعف الإيمان بالله وغياب الوازع الديني.

ب. ما يكون من جهل عند الأبناء بمنزلة الوالدين وما يجب لهم من حقوق، وما عواقب عقوقهما، وثمرات برّهما في الدنيا والآخرة.

ت. ممارسات الوالدين السلبية، أو التقصير في حقوق الأبناء، أو تحميلهم فوق طاقتهم، أو إساءة معاملتهم بالعطف الزائد أو القسوة غير المبررة.

ث. غياب القدوة الحسنة، والتناقض الحاصل - أحياناً - بين أقوال الوالدين وأفعالهما، أو عقوق الوالد لوالديه.

ج. الخلافات بين الأبوين والطلاق، وما ينتجه ذلك من مواقف نفسية وتحريض من أحد الأبوين على الآخر.

ح. غياب العدل في معاملة الأبناء، والتمييز بينهم في العطاء أو في الحب، مما يخلق مشاعر الشحناء بين الأبناء، ويزرع بذور عقوق الوالدين.

خ. البيئة والمؤثرات الخارجية ووسائل الإعلام الهدام، ورفقاء السوء.

د. الأنانية وتفضيل الذات، والرغبة بالراحة والتخلص من مسؤولية برّ الوالدين ورعايتهما.

ذ. الابتلاء بزوج السوء، فبدلاً من الإعانة على البرّ، يدفع زوجه الآخر للتقصير وللعقوق.

9. مراعاة برّ الوالدين أثناء حياتهما على النحو الآتي:

أ- طاعة الوالدين، والإحسان إليهما، والنفقة عليهما، والتوسع في برهما عند الكِبَر والمرض.

ب- دعوتهما للإيمان وتذكيرهما بالعمل الصالح وبما ينفعهما من علم، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع أبيه آزر.

ت- التأدب في خطاب الوالدين وخفض الصوت في حضرتهما، فالحديث معهما ليس كالحديث مع غيرهما، فينبغي لين الكلام والتذلل وإظهار المودة والمحبة، وتجنب سوء الجدال الذي يكسر خاطرهما.

ث- التودد للوالدين بالسلام والمصافحة وتقبيل اليد والرأس، والقيام على خدمتهما بنفسه.

ج- مصاحبتهما في الدنيا معروفاً وطاعتهما في غير إثم أو قطيعة رحم.

ح- تقديم برّ الوالدين، وتكرار زيارتهما، وتفقد حالهما والسؤال عنهما. والحذر أن تمنع مشاغل الدنيا من أداء حقّهما، كما أرشد إليه حديث أصحاب الغار الثلاثة[1].

خ- بذل الهدية وتحقيق رغبات الوالدين، وتأمين حاجاتهما بطيب نفس وتواضع وحبّ وإيثار، والاجتهاد في إسعادهما، وقضاء الأوقات معهما.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، ج4، ص2099، ح2743.

د- مساندةُ الوالدين في أداء المسؤوليات الأسرية، كتقديم العون المادي والمعنوي في تعليم الإخوة ورعاية الأخوات.

ذ- تفعيل الوسائل الحديثة في برّ الوالدين كالتواصل عبر الهاتف والانترنت لتفقدهما ونحوه.

ر- الاستغفار للوالدين، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 42].

ز- تجنب كل ما يؤدي لسبّهما أو لعنهما، كما حذّر رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يا رسول الله، وكيف يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[1].

س- فعل وقول كل ما يؤدي لتقديرهما وإكرامهما وإسعادهما في الدنيا والآخرة بحسن السيرة والسلوك والنجاح والتفوق والإقدام والشجاعة والكرم.

10. مراعاة برّ الوالدين بعد موتهما، على النحو الآتي:

أ- أداء ما فاتهما من حق لله تعالى من عبادة كحج وعمرة وزكاة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ، جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً؟ اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالوَفَاءِ»[2]. وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال ﷺ: «نَعَمْ»[3].

ب- صِلة رحمهما، وبرّ صديقهما، كما يظهر من قصة ابن عمر رضي الله عنهما، عندما لَقِيَهُ رجلٌ من الأعراب بطريق مكة، فَسَلَّمَ عليه عَبْدُ الله، وَحَمَلَهُ على حمار كان يَرْكَبُهُ،

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا يسب الرجل والديه، ج8، ص3، ح5973.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الحج والنذور عن الميت، ج3، ص18، ح1852.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب وصول ثواب الصدقات عن الميت إليه، ج2، ص696، ح1004. (افتُلِتَت نَفسَهَا) ومعناه ماتت فجأة.

وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله إنهم الأعراب، وإنهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[1].

ت- تنفيذ وصية الوالدين والوفاء بعهدهما، وسداد ديونهما، وتذكُرُهما دائماً بالدعاء والاستغفار.

11. يتمثل أهل الأرض المباركة برّ الوالدين ويراعون ما يلي:

أ. احترام جيل الآباء وتقدير معاناتهم وجهادهم، والحرص على سماع توصياتهم والإفادة من تجاربهم الجهادية وحكمتهم.

ب. مواساة أمهات الأسرى والشهداء وزوجاتهم في الأرض المباركة وتصبيرهن.

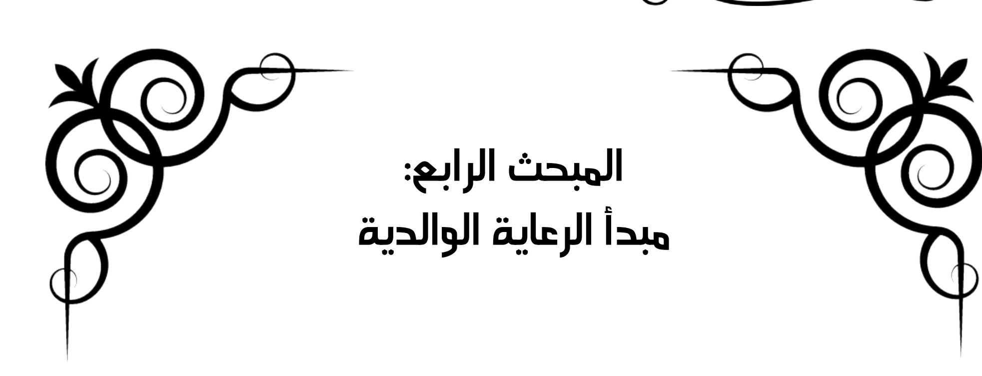
ت. يخلف الابن أباه بخير في برّ الأم والأرحام، إن غاب عنه مجاهداً، أو أسيراً، أو مهاجراً، أو شهيداً.

ث. الموازنة بين بِرّ الوالدين والجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المباركة، بالحرص على بقاء من يرعى الوالدين في كبرهما. ويستأذن الأبناء والديهم في أمور الدنيا، ما داموا في رعايتهما، أما عند فعل العبادات والفرائض فلا يلزم الابن استئذان والده، كالخروج للجهاد إن تعين، يقول ابن حجر: «قال جمهور العلماء يحرم الجهاد إذا منع الأبوان أو أحدهما بشرط أن يكونا مسلمين، لأن برهما فرض عين عليه والجهاد فرض كفاية، فإذا تعين الجهاد فلا إذن»[2].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ج4، ص1979، ح2552

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج6، ص140.



المبحث الرابع:
مبدأ الرعاية الوالدية

الوالد هو الأب، والوالدة هي الأم، وهما الوالدان، والأم يقال لها الوالد بغير هاء، ووالدة بالهاء[1]. وقد فطر الله تعالى قلوب الآباء على حبّ أبنائهم ورعايتهم بالحفظ والنظر في مصالحهم وتدبير أمورهم.

وإن التفاوت الحاصل في تحمّل الوالدين لمسؤوليتهما في رعاية الأبناء، وما يحصل من تفريط البعض في ذلك وجهل البعض الآخر يقتضي التنبيه والتذكير؛ فكثير من الظواهر السلبية في المجتمع تعود إلى خلل في قيام الأسرة بواجبها، وفي المقابل فكثيراً من الحلول تجعل من الأسرة والوالدين مفاتيحاً لأي عملية إصلاح أو تغيير.

وتتعدد مظاهر الرعاية الوالدية لتشمل حقوق الأبناء من قبل ولادتهم ومن بعدها، كاختيار الأم الصالحة، ورعايتها أثناء حملها، وتأمين ما يحتاجه الأبناء من غذاء ودواء وكساء ومسكن، وعناية بالروح وتنمية للفكر وتوجيه للأخلاق وتربية وتعليم ومراقبة للسلوك ومراعاة للمشاعر، ومنحهم الحبّ والحنان والعدل بينهم، فكل واحد منهما راع ومسؤول عن رعيته، وفي ذلك صدقة جارية لهما تنفعهما في حياتهما وبعد مماتهما. وما أجمل أن يسمع الوالد دعاء ولده له: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ [نوح:28]، يقول الشعراوي في تعليقه على قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء:24]، «علّة الدعاء للوالدين قيامهما بالتربية والرعاية، فكما أن هناك أبوةً للإيجاد هناك أبوة للتربية»[2].

---

(1) انظر: الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج9، ص329.

(2) الشعراوي: **تفسير الشعراوي- الخواطر**، ج19، ص11645.

وقد وجّه الله تعالى في القرآن الكريم الوالدين للقيام بواجبهما في استنقاذ الأبناء من ضياع في الدنيا ومن عذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم:6]، وأكد أن الخسارة الكبرى هي خسارة النفس والأهل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر:15]. وسوف يسأل الله يوم القيامة كل راعٍ عما استرعاه، وقد نقل ابن القيم عن بعض أهل الْعلم قولهم: «إِن الله سُبْحَانَهُ يسْأَل الْوَالِد عَن وَلَده يَوْم الْقِيَامَة، قبل أَن يسْأَل الْوَلَد عَن وَالِده»[1].

ووردت مشاهد قرآنية تبين رعاية الأنبياء الكرام لأبنائهم، كعناية يعقوب عليه السلام بأبنائه ورعايته لهم صغاراً، وصبره عليهم كباراً، حتى صلح حالهم وتاب الله عليهم. وكذلك ما أظهره نوح عليه السلام من سعي وحرص لهداية ولده ونجاته من الغرق، فلم ييأس منه حتى حال بينهما الموج. والنبي إسماعيل عليه السلام، أثنى الله تعالى عليه لعنايته بأهله ودوام أمرهم بالصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ [مريم:55].

وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تذكّر الوالدين بما عليهم تجاه أبنائهم، كتعليمهم الصلاة والتفريق بينهم في المضاجع والعدل بينهم، وقبل ذلك اختيار الزوج الصالح، والتسمية بالاسم الحسن، وذبح العقيقة فرحاً بمقدمهم واستبشاراً وشكراً. كما جاءت التوصية الخاصة بإكرام البنات ورحمتهن والإحسان إليهن، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، يُؤْوِيهِنَّ، ويَكفيهنَّ، ويرحمهنَّ، فقد وَجبت لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثِنْتَيْنِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَثِنْتَيْنِ»[2].

---

(1) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ). **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتب دار البيان، ط1، 1391ه1971-م، ج1، ص229.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، تحقيق: محمد ناصر الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418هـ- 1997م، بَابُ مَن عال جاريتين أو واحدة، ج1، ص41، ح78. وحسنّه الألباني في تعليقه على الحديث.

تطبيق مبدأ الرعاية الوالدية

1. توعية الوالدين بمسؤوليتهم تجاه الأبناء، وتنفيذ برامج تدريبية ترفع من فعالية إدارتهم الأسرية، وترشدهم لأفضل الأساليب في تربية الأبناء وتعديل سلوكهم، وتحذيرهم من التقصير في رعاية الأبناء، خشية ضياعهم في الدنيا، أو خسارتهم في الآخرة، لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[1].
2. إرشاد الوالدين لتوجيه الأبناء لأنسب الطرق في استخدام الهواتف الذكية والإنترنت والقنوات الفضائية، وبرامج التواصل الاجتماعي، للاستفادة منها وتجاوز مخاطرها.
3. إفصاح الآباء عن محبة الأبناء بإخبارهم بالقول والاهتمام بهم والسؤال عنهم، والابتسامة في وجوههم، واللين في معاملتهم، واللطف في محادثتهم، وتكرار مصافحتهم وتقبيلهم ومعانقتهم، ومشاركتهم أوقاتهم، والدعاء لهم.
4. توجيه الدراسات والأبحاث، لرصد أثر غياب الوالد الحسّي أو المعنوي عن الأسرة والأبناء، جَرَّاء ظروف الحرب والهجرة في الأرض المباركة وغيرها، وتقديم التوصيات لسَدِّ الفراغ الحاصل.
5. عناية الوالد المُرَبّي بتربية الأبناء ليهتموا بقضايا مجتمعهم وأمتهم، فيُعِدّونهم ويعينونهم لإتمام دراستهم، وتأسيس أسرهم، ويشجعونهم للقيام بواجبهم تجاه أوطانهم ومقدساتهم.

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، ج1، ص125، ح142.

6. توجيه الوالدين لمراعاة ما يأتي:

أ. حسن اختيار الزوج لأثر ذلك في صلاح الأبناء واستقرار الأسرة، قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1]. وقال ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قال: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[2].

ب. العناية بكسب الحلال من المال، وتجنب أن يُطعَم الأبناء حراماً، لقول النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[3].

ج. عناية الوالد بصلاح نفسه وتزكيتها، فلهذا أثر كبير في صلاح الأبناء وحفظ الله تعالى لهم في حياته وبعد مماته، وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام في سورة الكهف شاهد على ذلك. قال تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ [الكهف: 28].

د. احتساب الأجر في تربية الأبناء ورعايتهم والنفقة عليهم، كما قال رسول الله ﷺ: «وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»[4].

ه. التربية على العبادات والأخلاق والآداب من سن مبكرة، قال رسول الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الأكفاء في الدين، ج7، ص7، ح5090.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، ج3، ص387، ح1085. وقال الألباني: حسن لغيره: **صحيح وضعيف الترمذي**، ج3، ص85، ح1085.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما ذُكر في فضل الصلاة، ج2، ص512، ح614. وصحّحه الألباني في **صحيح وضعيف الترمذي**، ج2، ص114، ح614.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الوصية بالثلث، ج3، ص1250، ح1628.

(5) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، ج1، ص133، ح495. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح495.

و. العناية باختيار البيئة الصالحة للأبناء، وإحاطتهم بالصالحين من الأصدقاء، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

ز. الاستمرار في تربية الأبناء وتوجيههم بالحكمة والموعظة الحسنة والمحاورة؛ حتى وإن انحرفوا أو وقعوا في شَرَك الشيطان والمعصية.. ولا يملّ الوالدان من متابعة تذكيرهم والأخذ بأيديهم ودلالتهم على طريق الرجوع إلى الحق والصواب.

ح. مراعاة حسن معاملة الأبناء، بأن يغلب لين الوالد على شدته، فلا يستعجل العقاب بل يرحم ويتجاوز ويعفو عنهم ويتغافل أحياناً، فقد سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الخَادِمِ؟ فَقَالَ: «كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[2]. هذا في شأن السيد مع خادمه، فكيف يكون شأن الوالد المُرَبّي مع أبنائه.

ط. الدعاء بالخير للأبناء والاستغفار لهم، وسؤال الله تعالى أن يرضى عنهم، لقول رسول ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[3].

ي. الحذر من دعاء الوالد على ولده، فقد ورد نهي النبي ﷺ عن ذلك فقال: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[4].

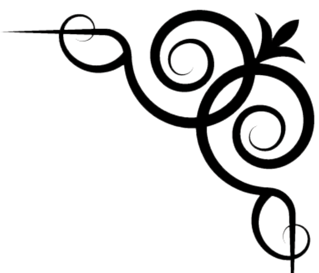
---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قُرَنَاءِ السُّوءِ، ج4، ص2026، ح2628.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في العفو عن الخادم، ج4، ص336، ح1949. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج4، ص449، ح1949.

(3) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، ج2، ص1270، ح3862. وحسنّه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج8، ص362، ح3862.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب حديث جابر الطويل، ج4، ص2304، ح3009.



المبحث الخامس:
مبدأ إفشاء السلام

السلام تحية المسلمين في الدنيا والآخرة، وإفشاؤه وصية النبي محمد ﷺ، وهو طريق لنشر المحبة والألفة والمودة بين الناس.

والسلام"مصدر بمعنى المسالمة؛ وُصِف الله تعالى به على طريقة الوصف بالمصدر للمبالغة في الوصف، أي ذو السلام، أي السلامة، وهي أنه تعالى سالم الخلق من الظلم والجور، وفي الحديث «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلاَمُ"[1]، للدلالة على العدل في معاملته الخلق»[2].

والإفشاء من: "فَشا يَفْشُو فُشُوًّا وفُشِيًّا: انتشر وذاع، وفشا الشيء: ظهر"[3]. وإفشاء السلام يكون بإظهاره ونشره، ومبادرة الآخرين به، وَرَدّ تحيتهم بمثلها أو بأحسن منها.

ومبدأ إفشاء السلام يبدأ بإلقاء التحية على الآخرين، وتكرار ذلك مرات في اليوم والليلة، ليعيش المرء السلام مع نفسه ومع من حوله، فيكُف شرَه، ويأمنه غيره، فتحصل المحبّة، وتزداد فرص التعاون والإنجاز والعمل الصالح؛ وقد بوّبَ البخاري في صحيحه: «باب إفشاء السلام من الإسلام»، وبوّبَ مسلم في صحيحه: «باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببٌ لحصولها»، وأورد مسلم حديث النبي ﷺ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[4].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب التشهد في الآخرة، ج1، ص166، ح831.

(2) ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج28، ص121.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، ج15، ص155.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ج1، ص74، ح54.

والتسليم والسلام: بمعنى التحية والأمان[1]، علمّها الله تعالى آدم عليه السلام، فصارت سنةً نبوية، وتقليداً بشرياً، وعنوانَ أمان، ومفتاحَ خير، قال ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ المَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ»[2]، فالملائكة ردّت السلام على آدم عليه السلام وزادته بالدعاء له بالرحمة، كما أنها بادرت به إبراهيم عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود:69]، وفي ذلك تعليم وتأكيد لأهمية الابتداء بالسلام وردّه قبل أي حديث أو حوار وعند أي لقاء.

وقد نقل القرطبي في تفسيره الحكم الشرعي لإلقاء السلام وردّه فقال: «أجْمَعَ العلماءُ على أن الابتداء بالسلام سُنّةٌ مرغبٌ فيها، وَرَدُّهُ فريضةٌ، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:86]، واختلفوا إذا رَدَّ واحد من جماعة هل يجزئ أو لا، فذهب مالك والشافعي إلى الإجزاء»[3].

تطبيق مبدأ إفشاء السلام

1. التوعية بمبدأ إفشاء السلام، وأهميته وأثره، وأدلته من القرآن الكريم والسنة والنبوية، وبيان آداب إلقائه وردّه، وصيغته التي علمنّا إياها الإسلام؛ كما بيّنها ﷺ عندما قال: «إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ أَخَاهُ المُسْلِمَ فَلْيَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[4].
2. توعية الناشئة بخطورة الغزو الفكري المتمثل في التساهل في إلقاء تحية السلام واستبدالها بغيرها من الألفاظ والعبارات القديمة أو الحديثة.

---

(1) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج1، ص57.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب بدء السلام، ج8، ص50، ح6227.

(3) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، ج5، ص298.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا، ج5، ص71، ح2721، وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج6، ص221، ح2721.

3. ربط تحية الإسلام بمدلولها الحضاري وأبعادها السلمية لكل إنسان مسالم.

4. توجيه وسائل الإعلام المختلفة؛ لصناعة وتصميم دعايات وأفلام تربوية هادفة؛ تدعم إفشاء السلام كقيمة عليا، وتبين أحكامه وتنشر آدابه، وتُهَذّب ما علق به من تطبيقات غير صحيحة.

5. ابتداء أي لقاء أو تراسل أو تواصل بالتحية، وجعل تحية السلام هي الأصل، والاعتزاز بها؛ فهي تحية مباركة طيبة، كما قال تعالى: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗۚ﴾[النور:61]، والتذكير بثواب تمامها؛ كما في حديث عمران بن حصين، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»[1].

6. تدعيم مناهج التعليم في المدارس بموضوعات وقصص وآيات وأحاديث ترتبط بإفشاء السلام، وتحثُّ عليه. كما يراعي العاملون في المؤسسات التعليمية آداب التحية والسلام، مما يساهم في نشر المحبة، ونجاح أكبر في التواصل والتعليم.

7. ربط مبدأ إفشاء السلام بالابتسامة والبشاشة والمصافحة، والعناق عند السفر أو حال العودة بعد غياب طويل، وتقبيل أيادي الوالدين ورأسيهما، وتقبيل الأبناء، وإظهار الاهتمام بهما، وعن قَتَادَةَ، قال: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[2]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلاَّ غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا»[3].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب كيف السلام، ج4، ص350، ح5195. وصحّحه الألباني: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ح5195.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المصافحة، ج8، ص59، ح6263.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في المصافحة، ج5، ص74، ح2727. وصحّحه الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج6، ص227، ح2727.

8. إحياء سُنّة السلام عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ، كما أخبر النبي ﷺ عندما سَأَلَه رجلٌ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[1].

9. إحياء سُنّة السلام على أهل القبور عند المرور بهم، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فقال: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ»[2].

10. تجنب المصافحة بين الرجال والنساء من غير المحارم، اقتداء بالنبي ﷺ الذي قال: «إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ»[3]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ بَايَعَهُنَّ بِالكَلاَمِ»[4].

11. المبادرة لإلقاء السلام لفضِّ الخلافات وإنهاء الخصومات، فالمسلمون أخوة، وخيرهما الذي يبدأ صاحبه بالسلام، فالسلام عنوان الصفح والتجاوز، كما قال النبي: ﷺ «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[5].

12. يحرص المسلم أن يعيش بسلام مع نفسه وأهله وجيرانه ومجتمعه، وأن يكون السلام سبباً في الرحمة والاتفاق بين العوائل والعشائر والفصائل والاتجاهات والدول المسلمة، فالشدة والغلظة على عدو أمتهم، وليست بينهم، وقد سئل النبي ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ؟ فقال: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ»[6].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، ج8، ص52، ح6236.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، ج1، ص218، ح249.

(3) النسائي: **المجتبى من السنن= السنن الصغرى، باب بيعة النساء**، ج7، ص149، ح4181. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي**، ج9، ص253، ح4181.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إذا أسلمت المشركة، ج7، ص49، ح5288.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الهجرة، ج8، ص21، ح6077.

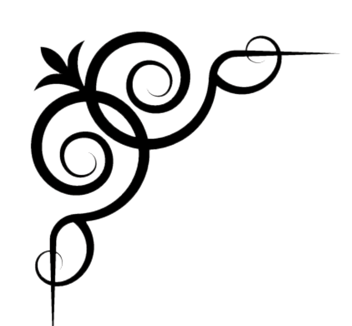
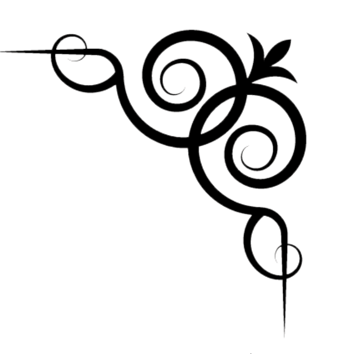
(6) البخاري: **صحيح البخاري**، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج1، ص11، ح11. (أي الإسلام أفضل) أي الأعمال في الإسلام أعظم أجراً وأعلى مرتبة؟

13. يكفَّ المسلم شرَّه عن إخوانه، فليس مؤمناً ذاك الذي لا يأمنه جيرانه، أو يتركه الناس اتقاء شرِّه، كما قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَه»[1]. وقال ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»[2].

14. يبادر المؤمنون بعضهم بالسلام، فيُسَلِّمُ القليل على الكثير، والراكب على الماشي، والماشي على القاعد، كما قال النبي ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»[3].

15. يلقي المسلمون تحيتهم وسلامهم وأمانهم على كل أحد غير المعتدي عليهم؛ وهم لن يسالموا من ظلمهم أو قتل وأَسْر إخوانهم، ولن يصافحوا أو يجالسوا من اغتصب أرضهم ودنّس مقدساتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:9].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إثم من لا يأمن جاره بوايقه، ج8، ص10، ح6016.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا»، ج8، ص13، ح6032.
(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب تسليم الراكب على الماشي، ج8، ص52، ح6232.

المبحث السادس:
مبدأ إكرام الضيف

الضَّيْفُ هو الذي ينزل بيت غيره زائراً أو لاجئاً أو طالب حاجة، «ويطلق على المفرد والجمع، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى﴾ [الحِجر:68]، والمرأة ضَيْفٌ وضَيْفَة، وقد يجمع على الأَضْيَافِ والضُّيُوْفِ والضِّيْفَانِ»[(1)]. وهو لغة من: «ضِفْتُ الرَّجُلَ ضَيْفاً وضِيَافَةً، وتَضَيَّفْتُه: أي نزلتُ به وصرتُ له ضَيفاً، وضِفْتُه وتَضَيَّفْتُه: طَلَبْتُ مِنْهُ الضِّيافةَ؛ قال تعالى: ﴿فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف:77] وضَيَّفْتُه إِذَا أَطْعَمْتَه، والتَّضْيِيفُ الإِطعام»[(2)].

وإكرام الضيف عند المسلمين من الإيمان، وهو سلوك يُتْقَربُ به إلى الله تعالى، قال النبي ﷺ: «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»[(3)]، وكان إكرام الضيف من صفات النبي محمد ﷺ، كما شهدت خديجة بذلك رضي الله عنها، فقالت له: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ»[(4)].

ورد ذِكر الضيف في القرآن الكريم مرتين مع إبراهيم عليه السلام أثناء اجتهاده في إكرام ضيفه من الملائكة عليهم السلام، وثلاث مرات مع لوط عليه السلام أثناء دفاعه عن ضيفه ومحاولته حمايتهم، ومرة مع موسى عليه السلام أثناء رحلته مع العبد الصالح حين استطعموا أهل القرية.

ويأخذ ابن السبيل عند المسلمين له حكم الضيف وله حق في كتاب الله، بل جعلت النفقة عليه من مصارف الزكاة الثمانية، كما في قوله تعالى:﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:60].

---

(1) أبو حبيب: **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، ج1، ص226.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب تسليم الراكب على الماشي، ج8، ص52، ح6232.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ج8، ص32، ح6136.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج1، ص7، ح3.

وابن السبيل: هو المسافر أو المهاجر أو اللاجئ الذي يقصد الناس طالباً العون، فربما فقد ماله أو أضاع أهله أو غير ذلك، وقد يكون غنياً في بلده أو عزيزاً في أهله؛ ولكنها الدنيا دارت عليه، فصار محتاجاً لغيره، وقد ورد تأكيد حقّه في (8) آيات في القرآن الكريم[1] نحو قوله تعالى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: 83].

وإن إكرام الضيف وابن السبيل والإحسان إليهما واحتساب ذلك عند الله تعالى من مكارم الأخلاق التي جاء بها هذا الدين الحنيف، وهي سنة إبراهيم عليه السلام، فقد روى مالك في الموطأ عن سعيد بن الْمُسَيَّب: «كَانَ إِبْرَاهِيمُ أَوَّلَ النَّاسِ ضَيَّفَ الضَّيْفَ»[2].

وبلا شك فإن المرء في حياته لا يستغني عن الترحال والهجرة والسفر والتزاور، فهو اليوم مُضيف وغداً ضيف، فهو بإكرامه ضيفه يزرع الخير ويحصد المعروف، ويخلف أثراً طيباً في القلوب، فيثمر مودة ومحبة وترابطاً وتآزراً بين الناس وهذا من مقاصد الدين؛ ولذلك عُدّ إكرام الضيف دليلاً على الإيمان، وجعل من الأعمال التي تُوقف لأجلها الأوقاف، كما فعل ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حين أوقف أَرْضاً له بِخَيْبَرَ، «وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ»[3].

ولا ضير أن يتعاون الناس في إكرام الضيف، وسدّ حاجة ابن السبيل، وإغاثة الملهوف، فهو من أعمال البِّر التي يتعاون عليها، فقال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:2]، وقد كان يأتي إلى النبي ﷺ الأضياف فيندب غيره للقيام بحقّهم إن عجز عن ذلك أو شغل، ومن ذلك أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا المَاءُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ، فَقَالَ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي، فَقَالَ: هَيِّئِي طَعَامَكِ، وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، وَنَوِّمِي

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص137.

(2) الأصبحي، مالك بن أنس. **الموطأ**، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط1، 1425هـ - 2004م، باب ما جاء في السنة الفطرة، ج5، ص1349، ح3408.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الشروط في الوقف، ج3، ص198، ح2737.

صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً، فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا، وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا، وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا، ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلاَ يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلاَنِ، فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ، أَوْ عَجِبَ، مِنْ فَعَالِكُمَا» فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون**﴾ [الحشر:9]»[1]. فانظر كيف استحق الفلاح من أكرم الضيف وقام بواجبه، وآثره على نفسه وعياله.

تطبيق مبدأ إكرام الضيف

1. التوعية بمبدأ إكرام الضيف، وبيان حقه، وحكم إكرامه، وما يرتبط بآداب الضيافة، والتدليل عليه من آيات القرآن الكريم وقصص الأنبياء والصالحين، ومن أحاديث النبي ﷺ وسيرته، واستخراج القصص التاريخية وجمعها وتهذيبها، والشعر العربي المترابط بإكرام الضيف، وقولبته ونشره في أشكال عصرية.
2. إجراء دراسات ميدانية اجتماعية ترصد السلوكات المرتبطة بآداب الضيافة، لتقييمها وتصحيحها.
3. تنظيم برامج تربوية حوارية في وسائل الإعلام، تشجع وتعزز مبدأ إكرام الضيف.
4. صياغة برامج أسرية ومدرسية، تعزز وتدرّب الأبناء على إكرام الضيف، وآداب الضيافة، من خلال التطبيقات العملية والزيارات الميدانية والمسابقات الهادفة.
5. ترك التشاؤم من الضيف، ومراعاة الاعتدال في ضيافته، والبعد عن الإسراف والتبذير أو التقتير.
6. صياغة آداب الضيافة وأحكامها بأسلوب سهل ميسر، ونشرها عبر الوسائل وطباعتها.
7. وقف الأوقاف لاستقبال ضيوف البلاد، وإيواء ابن السبيل وإكرامه، وتهيئة المساجد لتكون قادرة على إيواء ابن السبيل، وتعديل القوانين لتنظيم الأمر وتيسيره، والعناية بمحطات الاستراحة على الطرق الخارجية، ودعم مشاريع الخيم الرمضانية، وماء السبيل وطعام السبيل، في الأماكن العامة، وفي الأوقات العصيبة.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله "ويؤثرون على أنفسهم"، ج5، ص34، ح3798.

8. إبراز القدوات التي تحتذى في إكرام الضيف، والاستعانة بالمشاهير والقادة؛ لدعم ثقافة إكرام الضيف، ومراعاة ذلك عند إنتاج المسلسلات والأفلام.

9. العناية بضيوف البلاد، من اللاجئين والمهاجرين والمغتربين، والإحسان إليهم، وحمايتهم ومنع الاعتداء عليهم، ومعاملتهم كحال الأنصار مع المهاجرين ﷺ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:74].

10. مراعاة إكرام الضيف والاقتداء بما فعله النَّبيان الكريمان إبراهيم ولوط ﷺ مع ضيوفهما، والإفادة من التفصيل الآتي:

أ. حسن استقبال الضيوف، والبشاشة في وجوههم وردّ تحيتهم بأحسن منها، والترحيب بهم. وتقديم ضيافتهم على سماع حاجتهم.

ب. المبادرة لإكرامهم، والتعجيل في تحضير ضيافتهم، قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:69] قال ابن عاشور: «فما لبث للدلالة على التعقيب إسراعاً في إكرام الضيف، وتعجيل القِرى سُنّة عربية»[1].

ج. إعطاء الضيف حقّه، وترك استشارته في شأن الضيافة، فإبراهيم ﷺ راغ إلى أهله ودون أن يشعرهم بانشغاله في إعداد ضيافتهم؛ ولم يستشرهم؛ أيصنع لهم طعاماً أم لا.

د. التواضع للضيف والقيام على خدمته: كإبراهيم ﷺ الذي أشرف بنفسه على خدمة ضيفه واستقبالهم، ولم يوكِل ذلك إلى غيره.

ه. إشراك أهل البيت من زوجة وأبناء في خدمة الضيف، لتدريبهم على إكرام الضيف، ولينالوا خيراً بمقابلة الضيف والسماع منه والتعرف عليه والتأمين على دعائه؛ فقد بقيت امرأة إبراهيم ﷺ قائمة حاضرة قريبة مستعدة، لتلبية ما تستدعيه حاجات الضيافة، كما قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:71].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله "ويؤثرون على أنفسهم"، ج5، ص34، ح3798.

و. الضيافة بأحسن ما وجد من الطعام، كما فعل إبراهيم عليه السلام حين تخيّر لهم عجلاً سميناً.

ز. الإكرام بحسن الإعداد والتحضير والتقديم، كما فعل إبراهيم عليه السلام حين أنضج اللحم بشوائه.

ح. تقريب الطعام والدعوة إليه بلطف وأدب وتواضع وسخاء نفس وكرم، كما فعل إبراهيم عليه السلام حين قرّب الطعام قائلا «ألا تأكلون».

ط. محادثة الضيوف ومحاورتهم وتسليتهم والسمر معهم، والمعونة في تيسير أمورهم وقضاء حوائجهم.

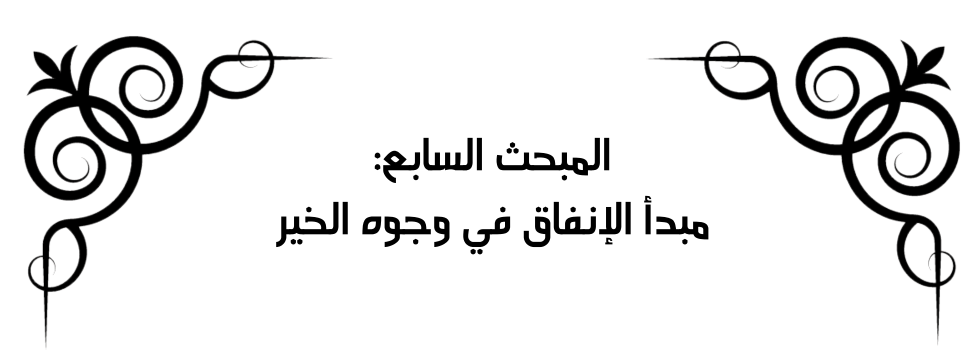
ي. حماية الضيف ودفع السوء عنه، كما فعل لوط عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ**﴾ [الحجر: 68].

ك. دعاء الضيوف لأهل البيت، والثناء على كرمهم، وتقديرهم، وتبشيرهم بالبركة، كما فعلت الملائكة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿**رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ**﴾ [هود: 73].

11. من إكرام الضيف أن يُعِّدَ المرء في بيته مكاناً وفرشاً للضيف، ويفرح بمقدم ضيفه، ويؤثره على نفسه وأهله، ويتجنب الغضب في حضرته.

12. ينبغي على الضيف ألا يطيل المكوث، وأن يتحلى بالقناعة وآداب الطعام وآداب الزيارة، ويحرص على التخفيف ما استطاع، ولا يثقل على أهل البيت أو يُحْرِج مضيفه، قال النبي ﷺ: «وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَثْوِيَ عِنْدَهُ حَتَّى يُحْرِجَهُ»[1].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه، ج8، ص32، ح6135. (يثوي) يقيم، (يُحرِجَهُ) يضيق عليه حِسّاً ومعنى.



المبحث السابع:
مبدأ الإنفاق في وجوه الخير

الإنفاق من أنْفَقَ المال: أي صَرَفه وأذهبه، وأصل الفعل للإنْفاد. والنَّفَقة: ما يُنْفَق من الدراهم وغيرها. والفعل (أنْفَقَ) وما تَصَرَّفَ منه كنَفَقة ونفقات هي بمعنى إخراج مال من الحوزة[1].

ومبدأ الإنفاق: يعني إخراج المال وبذله كُلّه أو بعضه، وصرفه وإذهابه في الحاجات الضرورية وغيرها من وجوه الخير. ويدخل فيها الزكاة الواجبة، والصدقات النافلة، والوصية والهدية والوقف، والإنفاق على النفس والأهل.

وهو مبدأ مرتبط بالمال عصب الحياة وفتنتها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:15]، وهذه الفتنة يعقبها سؤال المرء يوم القيامة، عن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[2].

من هنا تأتي أهمية عناية الإسلام بإنفاق المال في وجوه الخير وفيما ينفع المرء في دنياه وآخرته، فأكد الشرع على حق الله تعالى فيه وحق الناس، وحَرّم كَنْزَه، ونهى عن صرفه في الحرام، وكره إضاعته والإسراف فيه، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[3].

---

(1) جبل: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج4، ص2242.

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب في القيامة، ج4، 612، ح2417. وقال حديث حسن صحيح.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى "لا يسألون الناس إلحافاً"، ج2، ص124، ح1447.

وقد حثّ القرآن الكريم على الإنفاق في وجوه الخير، فوردت (67) آية تضمنت فعل (أنْفَقَ) بتصريفاته، و(32) آية تضمنت الأمر بزكاة المال، و(13) آية في صدقة المال[1].

أما الأحاديث النبوية في الإنفاق والصدقة، فهي كثيرة، تضمنت فضلها وأحكامها ورغّبت بالجود والكرم وصلة الرحم والهدية والوصية والوقف، وحذّرت من البخل والشّح أو ردّ السائل أو منع الزكاة، ونذكر منها: قول ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، دَعَاهُ خَزَنَةُ الجَنَّةِ، كُلُّ خَزَنَةِ بَابٍ: أَيْ فُلُ هَلُمَّ»[2]. وقال ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا»[3]. وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»[4].

وقد جاءت نصوص الوحي الكريم تأمر بالإنفاق وتبني الدوافع له وتضع الحوافز للإنفاق في وجوه الخير، فجعلته دليلاً على الإيمان، وسبباً لرضا الرحمن، وطريقاً للفوز بالجنان، وباباً لمضاعفة الأجر والثواب، وسبباً في بركة المال ودعاء الملائكة عليهم السلام، كما وعد الله تعالى بتفريج كرب من فرّج عن الناس، وتيسير أمر من يسّر على معسرهم، والتجاوز عمن تجاوز عنهم. وفي المقابل فقد رهّبت بعض النصوص من حبس المال وكنزه وحرمان الناس من حقهم فيه، ورتّبت على ذلك غضب الله تعالى وعذابه يوم القيامة، قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [التوبة:34].

وعليه فإن مبدأ الإنفاق في وجوه الخير أساس في حياة المجتمع، وضرورة لعمارة الأرض، ولا غنى عنه في الإعداد والجهاد في سبيل الله، ومن هنا تتكرر الدعوة للإنفاق والصدقة والبذل والجود والكرم والعطاء والمساعدة والتضامن والتكافل والنصرة والجهاد بالمال.

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص714، ص331، ص406.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل النفقة في سبيل الله، ج4، ص26، ح2841. (زوجين) من أي نوع ينفق. (أي فل) يا فلان. (هلم) تعال.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل النفقة في سبيل الله، ج4، ص 26، ح2843. (جهّز غازياً) هيأ له ما يحتاجه في سفره وغزوه والغزو الجهاد. (فقد غزا) كتب له أجر الغزو وإن لم يغز لأنه ساعد عليه.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بيان أن اليد العليا خير من السفلى، ج2، ص717، ح1036.

تطبيق مبدأ الإنفاق في وجوه الخير

1. التوعية بمبدأ الإنفاق في وجوه الخير، وبيان أهميته، والتعريف بما شرعه الإسلام من تطبيقات متنوعة للإنفاق وبيان أحكامها وأوقاتها، كالزكاة المفروضة وصدقة الفطر في رمضان والكفارات والنذور، وكذلك صدقات التطوع كالوصية والهبة والوقف والعقيقة والأضحية والصدقات الجارية التي تنفع الإنسان في حياته ويبقى أجرها بعد مماته.
2. ينبغي على المرء المسلم البدء بالنفقة على من يعول- والديه وأولاده وزوجه- لقول الرسول ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1]. ثم يصل بنفقته أرحامه وأقاربه، لينال أجر البِّر والصدقة، ويكرم ضيوفه ويحسن إلى جيرانه، ثم هو يتضامن مع مجتمعه فيزكي ويقرض ويتصدق ويوصي ويهب، ويسهم بالمشاريع الخيرية ويوقف الأوقاف ويتحرى الصدقات الجارية، ويساند أمته ويدعم جهادها لتحرير أرضها ومقدساتها، ولا يخاف في ذلك لومة لائم.
3. يتحرى المؤمن الإخلاص لله تعالى عند الإنفاق في الزكاة والصدقات عموماً ويحتسب النية الحسنة عند النفقة في المباحات على النفس والأهل، لينال بذلك الثواب، لقوله ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»[2].
4. التحذير من تأخير الصدقة أو تسويفها، بل على المرء المسارعة إليها والمسابقة فيها، قبل أن يذهب المال أو ينقضي العُمُر، فيندم المرء ويقول: رب ارجعون، فقد أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ؟ فقال ﷺ: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الْفَقْرَ وَتَأْمُلُ الْغِنَى، وَلَا تُمْهِلَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، أَلَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ».[3]

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ج2، ص112، ح1426. (عن ظهر غني) فاضلا عن نفقة العيال. (تعول) تجب عليك نفقته.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ج1، ص20، ح56.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، ج2، ص716، ح1032.

5. قيام الورثة باستدراك ما فات أمواتهم من الصدقات والوقف والوفاء بالنذور، فعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال ﷺ: «نَعَمْ»[1].
6. تفعيل نظام التكافل الاجتماعي على مستوى الأسرة والأقارب والورثة، بناء على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:233]، قال سعيد حوى: «وعلى وارث الصبي عند عدم وجود الأب، مثل الذي كان على أبيه في حياته، من الرزق والكسوة. ووارث الصبي في الأصل هو كل من يرثه لو مات»[2]. فكما أن له حق في ميراثهم فعليه واجب النفقة والتكافل الاجتماعي معهم.
7. تشجيع المرأة المسلم على النفقة والصدقة في وجوه الخير عامة، وعلى زوجها وأبنائها خاصة، فعَنْ زَيْنَب امْرَأَة عَبْد اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَتْ: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ، فَرَأَيْتُ النبي ﷺ فقال: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ» وَكَانَتْ زَيْنَبُ تُنْفِقُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَأَيْتَامٍ فِي حَجْرِهَا، قَالَ: فَقَالَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ: سَلْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْكَ وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حَجْرِي مِنَ الصَّدَقَةِ؟ فَقَالَ: سَلِي أَنْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَانْطَلَقْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ القَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»[3].
8. إظهار الزكاة الواجبة، وإخفاء صدقات النافلة، والإكثار منها واعتيادها، وإجابة السائل وتجنب الإساءة إليه بالمنّ والأذى، والتجاوز عن الغارم والصبر عليه، والتواصي بالصدقة والدلالة عليها، وأمرُ الأهلِ بها، اقتداءً بإسماعيل عليه السلام، الذي قال تعالى يثني عليه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾ [مريم:55].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب وصول ثواب الصدقات عن الميت إليه، ج3، ص1254، ح1004.
(2) حوى: سعيد محمد (ت 1409 هـ). **الأساس في التفسير**، القاهرة، دار السلام، ط6، 1424هـ، ج1، ص548.
(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر، ج2، ص121، ح1466.

9. الاستعفاف عن المسألة، والكفّ عن سؤال الناس، والقناعة بالكفاف، والبحث عن عمل يغني المرء عن الناس، فعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﵁: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فقال: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(1).

10. الاعتدال والتوسط في النفقة والاقتصاد في المعيشة، وتجنب البخل والإسراف والترف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء:29].

11. يجتهد المسلم أن يغني أهله عن الناس، في حياته وبعد مماته، لقول الرسول ﷺ في شأن الوصية: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ- أَوْ كَثِيرٌ- إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»(2).

12. تأسيس الجمعيات الخيرية والتعاونية التي تُرَغّب في الصدقات وتَجمعها، وتُسهل وصولها لمستحقيها. وتطوير آليات التبرع والإنفاق باستخدام التقنيات الحديثة والبرامج الإعلامية، وتذكير الناس بالزكاة، وحضُّهم على وقف الأوقاف والصدقات الجارية، وتكريم المتبرعين ودعوة الناس للاقتداء بهم.

13. تحرّي الحلال في كسب المال وتجنب الطرق المحرمة في جمعه: كالسرقة، والمقامرة، والربا، والرشوة والمتاجرة في المحرمات، والترهيب من أكل الحقوق ومال اليتيم، أو خيانة الأمانة.

14. العناية ببناء وتقوية اقتصاد المسلمين، ويكون ذلك بداية بالإصلاح السياسي ثم إصلاح وتطوير مؤسسات التربية والتعليم، ورفع القيود عن العلماء المخلصين، ودعم الشباب والمبدعين، وتوفير الدعم للمشروعات الصغيرة، ومحاربة الفقر وتوفير فرص للعمل، كل هذا سعياً لاعتماد الأمة على نفسها لتبني اقتصادها فتزرع قمحها وتصنع سلاحها.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاستعفاف عن المسألة ج2، ص122، ح1469.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب رثاء النبي ﷺ سعد بن خولة، ج2، ص81، ح1295.

15. يعتني أهل الأرض المباركة بمبدأ الإنفاق مع مراعاة ما يأتي:

أ- تشجيع الناس على التعاون فيما بينهم والتكافل والتضامن، والشراكة في المسكن والمطعم والمشرب حتى تسدّ الحاجة ويذهب الكرب ويأتي الفرج، ولهم في المجاهدين من جيل الصحابة ﷺ أسوة حسنة، قال جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ السَّاحِلِ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ وَهُمْ ثَلاَثُ مِائَةٍ، وَأَنَا فِيهِمْ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ فَنِيَ الزَّادُ، فَأَمَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِأَزْوَادِ ذَلِكَ الجَيْشِ، فَجُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ، فَكَانَ فَقُلْتُ: وَمَا تُغْنِي تَمْرَةٌ، فَقَالَ: لَقَدْ وَجَدْنَا فَقْدَهَا حِينَ فَنِيَتْ...[1].

ب- تتحمل الأمة الإسلامية اليوم مسؤولية سدّ الاحتياج المالي لأهل الأرض المباركة لتثبيتهم في أرضهم ورباطهم وجهادهم، وبناء بيوتهم المهدّمة، وفكّ أسيرهم، وكفالة عوائل شهدائهم وأسراهم، وعلى جيرانهم الوقوف معهم وقفة الأنصار مع المهاجرين، بلا منٍّ أو أذى أو تذمر أو شكوى أو تقصير، فالمسلمون جسد واحد، كما قال ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

ت- التحذير من خذلان المجاهدين، فالواجب أن يتحرر المسلمون من خوفهم وينصروا بعضهم، فجهاد المال مقدم على جهاد النفس في هكذا ظروف.

ث- العناية بالدعم المالي للقنوات الإعلامية والفضائية التي تُعَرّف بقضية فلسطين والمسجد الأقصى، وتبين الحق فيها، وتدافع عن أهلها.

ج- تفعيل سهم "المؤلفة قلوبهم"، وسهم "في سبيل الله" من مصارف الزكاة، لدعم الجهاد في سبيل الله والرباط في الأرض المباركة.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الشَّرِكَةِ في الطعام، ج3، ص137، ح2483. (مزودي تمر) مثنى مزود وهو جراب يجعل فيه الزاد. (يقوتنا) يطعمنا. (وجدنا فقدها) مؤثراً شاقاً علينا ولقد حزنا لفقدها.

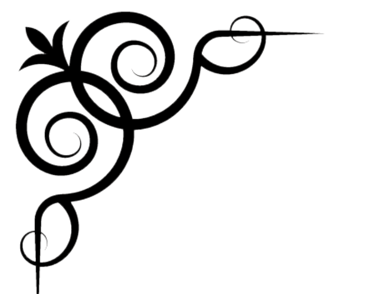
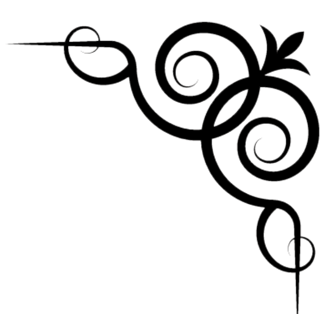
(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ج4، ص1999، ح2586



الفصل الخامس: المضامين التربوية في مجالي الدعوة والجهاد

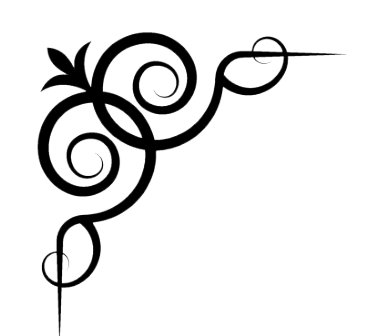
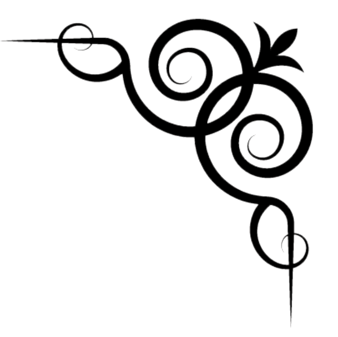
المحور الأول: المضامين التربوية في مجال الدعوة

المحور الثاني: المضامين التربوية في مجال العمل الجهادي

المحور الأول:
المضامين التربوية في مجال الدعوة

1. المبحث الأول: مبدأ الحوار
2. المبحث الثاني: التكرار
3. المبحث الثالث: مراعاة الفروق الفردية
4. المبحث الرابع: مبدأ التذكير بالنعم
5. المبحث الخامس: مبدأ المسارعة في الخيرات
6. المبحث السادس: مبدأ البشارة بالخير
7. المبحث السابع: مبدأ الاعتبار والاتعاظ
8. المبحث الثامن: مبدأ عمارة المساجد

المبحث الأول:
مبدأ الحوار

الحِوار أو المحاورة، من أهم وسائل التواصل اللفظي بين البشر، يتبادلون خلالها الآراء ويتناقشون في الأفكار حول مسألة ما، يقول ابن منظور: «المُحاوَرَة: الْمُجَاوَبَةُ. والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وَتَقُولُ: كلَّمته فَمَا أَحار إِليَّ جَوَابًا وَمَا رَجَعَ... أَي مَا ردَّ جَوَابًا»[1].

وعرّف كلٌ من "شحاتة وزينب" المحاورة بأنها: «عملية تبادل الحديث بين أفراد أو مجموعات على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم من أجل تبادل المعرفة والفهم»[2]. ويمكن ملاحظة نوعين من الحوار الأول: الحوار الموجّه، كالمناقشة التي تجري بين المعلم وتلاميذه، والثاني: هو الحوار المفتوح، كالذي يكون بين الأقران عند التباحث والتدارس في شأن ما.

وغالبا ما تجري المحاورة في مناخ وُدِّي، وقد تتَحَول إلى مجادلة إن صحبها مخاصمة ومغالبة وحرصٌ من أحد الأطراف على إلزام الآخر بوجهة نظر ما.

وتكون المجادلة جائزة ومحمودة إن كانت للتدليل على الحق أو للدعوة إليه وإقناع الناس به؛ كما في مجادلة الأنبياء الكرام أقوامهم أثناء دعوتهم ومناظراتهم إياهم، قال تعالى: ﴿**قَالُواْ يَانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود:32].

وتتحول المجادلة إلى مراء مذموم، إذا صار هدفها الطعن في كلام الغير أو تحقير أشخاصهم، دون الرغبة بالوصول إلى الحق، كما جاء في تاج العروس أن: «المراء طعن في كلام الغير لإظهار خللٍ فيه من غير أن يرتبط به غرضٌ سوى تحقير الغير»[3].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص218.

(2) حسن شحاتة وزينب النجار. **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، ص172.

(3) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج39، ص525 .

وقد اجتمع ورود المجادلة والمحاورة في آية واحدة في القرآن الكريم، وهي: قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:1]، فالمرأة[1] من شدة معاناتها ورغبتها بمخرج جعلت من حديثها مجادلة، والنبي ﷺ يردُّ عليها محاوراً إياها مبيناً لها حكم ما فعل زوجها، حتى أنزل الله تعالى مبيناً سبحانه حكم طلاق الظهار.

وقد عرض القرآن الكريم أمثلة تطبيقية للمحاورة أحياناً، وللمجادلة أحياناً أخرى، كحوار الله تعالى مع الملائكة والرسل عليهم السلام، وحوار الملائكة مع الأنبياء والناس، وحوار الأنبياء والدعاة مع أقوامهم، كما وردت مشاهد لحوارات مما سيكون يوم القيامة.

ويمكن ملاحظة ورود كلمة (المجادلة) في القرآن بتصريفاتها (29) مرة، أما (المحاورة) فقد وردت ثلاث مرات؛ مرتين في قصة أصحاب الجنة في الكهف، ومرة ثالثة في مطلع سورة المجادلة[2].

وجاءت التوجيهات القرآنية تدعو لاستخدام المجادلة بالتي هي أحسن أثناء الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125]. أما السيرة النبوية فقد زخرت بمشاهد حوارية للنبي ﷺ أثناء دعوته الناس، وتعليمه أصحابه، ومحاورته أزواجه.

وإن التربية الإسلامية تعتبر الحوار والمناقشة مسألة أساسية أثناء عمليات التربية والتعليم عموماً، فهي من أهم صور التواصل وتبادل الأفكار، كما يقول مالك بن نبي: «إن الحوار هو أبسط صورة لتبادل الأفكار، وهو بذلك الرحلة التمهيدية البسيطة لكل عمل مشترك»[3]، ومن هنا تأتي الحاجة لتوعية الجيل بأهمية الحوار وتدريبهم على فنونه، وإرشادهم لآدابه.

---

(1) المرأة هي خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت رضي الله عنهما.
(2) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص165، ص220.
(3) ابن نبي، مالك الحاج عمر. **بين الرشاد والتيه**، دمشق، دار الفكر، ط1، 1978م، ص95.

تطبيق مبدأ الحوار

1. التوعية بمبدأ الحوار: مفهومه، وأنواعه، وآدابه، وأهميته في التواصل الاجتماعي وأثناء الدعوة والتربية والتعليم.
2. ينبغي عناية الأسرة والمدرسة بغرس مبدأ الحوار، والتربية على آدابه، وتقديم القدوة الحسن في المحاورة والمجادلة بالتي أحسن.
3. مراعاة الإخلاص لله تعالى، عند أي حوار أو جدال؛ وأن يكون المقصد منه الوصول إلى الحق، والرضا به إن ظهر؛ وليس رياء أو سمعة، أو تعالياً أو احتقاراً للناس، قال ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[1]، وقال رسول الله ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»[2].
4. الحذر أن تكون الخصومة للمسلم خُلقاً، فيحيده ذلك عن الحق، فقد حذّر ﷺ فقال: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ»[3] وهو المُعْوَج عن الحق، المولع بالخصومة.
5. اعتماد لغة الحوار بين المسلمين وغير المسلمين دولاً وشعوباً وفصائل وأحزاب، لتُقَيّمَ به الأوضاع، وتحلّ به الخلافات، وتتوحد به الجهود، ولا ينال العدو فرصة لزرع الفتنة.
6. محاورة المنافقين والعصاة بالحجج والأدلة التي تكشف فسادهم وضلالهم، وتؤكد الحق الذي ندعوهم له، وتبديد مخاوفهم وتأليف قلوبهم، وتحييد جهدهم أو توجيهه لصالح الإسلام والمسلمين.
7. دعم وتشجيع وتوظيف أبناء المسلمين ليكونوا سفراء خير عبر منصات الحوار وقنوات الدعوة، واستثمار وسائل التواصل الاجتماعي لإجراء حوارات تُعَرِّف بدين الإسلام وأحكام القرآن الكريم وأخلاق الأنبياء الكرام، ومراعاة أن يقوم بذلك أهل العلم والمتمكنين من الفكر الإسلامي، والعارفين باللغات، والمتقنين لفنون الحوار وآدابه.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الكبر وبيانه، ج1، ص93، ح91.

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب في حسن الخلق، ج4، ص253، ح4800. وحسنّه الألباني: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح4800.(رَبَض الجنة): نواحيها وأطرافها.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى: "وهو ألد الخصام"، ج3، ص131، ح2457.

8. تضمين مناهج إعداد الدعاة والمعلمين، موضوعات نظرية وتدريبات عملية على الحوار وأنواعه، وفنونه وآدابه.
9. دعم استقلال الصحافة وحرية الإعلام؛ لتكون منبراً للحوار الهادف الذي يحترم اختلاف الآراء، كذلك توجيه الحوار للتنمية والإصلاح ومحاربة الفساد.
10. محاورة ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم والمعتدين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت:46]، قال الطبري في تفسيره للآية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ «إلا الذين امتنعوا من أداء الجِزية، ونصبوا دونها الحرب - الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ - فأولئك جادلوهم بالقتال» [1]. وهذا الحال مع اليهود المغتصبين للأرض المباركة.
11. مراعاة آداب الحوار ومنها:

أ- يتحرى المسلم الصدق، ودقة النقل، ويتحدث بما يعلم، ويمسك عن الظن، ويقدّم الدليل والحُجة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ﴾ [الإسراء:36]، قال الطبري: «لا تقل ما ليس لك به علم...لأن القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل»[2].

ب- جعل الحوار أو الجدال راقياً وفيه احترام للآخر، ويراعى اللياقة واللين وحسن الخطاب، فقد أُمِر موسى عليه السلام بالقول اللين في حواره مع فرعون، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه:44]. يقول الشعراوي مشيرا إلى الحوار الراقي، "فانظر إلى هذا الجدَل الراقي والأسلوب العالي: ففي خطابهم يقول: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾ [سبأ: ٥٢] وينسب الإجرام إلى نفسه، وحين يتكلم عن نفسه يقول: ﴿وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ: ٥٢] ولم يقُلْ هنا: تجرمون لتكون مقابلة بين الحالين. وفي هذا الأسلوب ما فيه من جذب القلوب وتحنينها لتقبُّل الحق»[3].

---

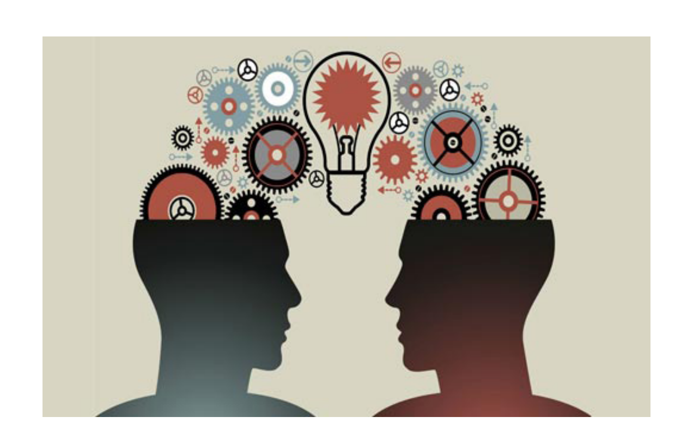
(1) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج20، ص48.

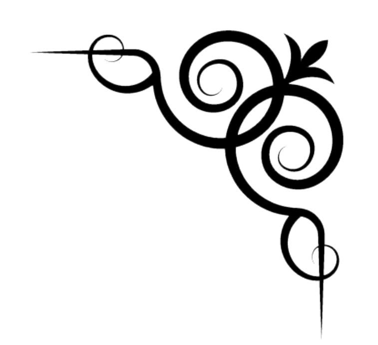
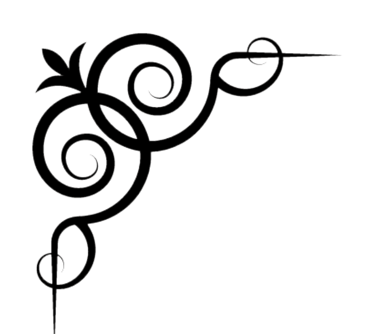
(2) المرجع السابق، ج17، ص447.

(3) الشعراوي: **تفسير الشعراوي- الخواطر**، ج16، ص9694.

ج- حسن الاستماع والإصغاء، وتجنب مقاطعة الحديث، والنظر في وجه المحاور، وتوجيه النقد لأفكاره وليس لشخصه، وتجنب السخرية أو التعيير أو الفجور أو السُباب أو الاتهام.

د- التواضع وتَقَبُّلُ محاورة من هم أقلّ مرتبة أو علماً، واستيعاب نقدهم وملاحظاتهم، وتشجيع أن يحاور الابن أباه، والتلميذ معلمه، والزوجة زوجها، والموظف مديره، والجندي قائده؛ فقد حاور الله تعالى ملائكته وأنبيائه عليهم السلام، وحصل جدال بين الرسل والملائكة وجادلت الرسل الكرام أقوامها وحاورت آحاد الناس.



المبحث الثاني:
مبدأ التكرار

التكرار: مصدر كَرَّرَ بمعنى أعاد، يقول ابن منظور: « كَرَّرَ الشيء أي أعاده مرَّةً بعد أُخرى. والكَرّةُ: المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات، ويقال: كَرَّرْتُ عليه الحديث وكَرْكَرْتُه إذا رَدَّدْتُهُ عليه»[1].

والمتأمل يرى أن التكرار مبدأ حاضر في الكون عموماً، يظهر في كثير أشياء من حولنا، في تكرار طلوع الكواكب وأفول النجوم، وفي تعاقب الليل والنهار وفصول السنة، وفي تجدد الحياة وتكرار الموت. كما يلاحظ التكرار في الأعمال اليومية وفي العبادات كالصلاة والصيام والزكاة والحج وتلاوة القرآن والأذكار.

ويظهر التكرار واضحاً في آي القرآن الكريم، لكنه تكرار محمود يأتي لفائدة، كما قال ابن تيمية: «ليس في القرآن تكرار محض، بل لا بد من فوائدَ في كل خطاب»[2]. فالقرآن كتاب هداية وتعليم وتربية للناس، وهذه عمليات لا بد فيها من الإعادة مرة بعد مرة. يقول رفاعي مبيناً وظائف التكرار في القرآن الكريم، فيقول: « إن التكرار في القرآن يؤدي وظيفتين اثنتين: الأولى: وظيفة دينية، غايتها تقرير المفاهيم والمبادئ وتأكيد الحكم الشرعي الذي جاء به النص القرآني. والوظيفة الثانية وظيفة أدبية، تتمثل في تأكيد المعاني وإبرازها، وبيانها بالصورة الأوفق والأنسب والأقوم»[3].

وقد تكرر ورود القصة في القران الكريم، بشكل يتناسب مع الهدف العام للسورة التي ترد

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص135.

(2) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج14، ص408.

(3) رفاعي، عاطف إبراهيم. **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1432هـ- 2011م، ص88.

فيها، وبشكل ينسجم مع سياق الآيات وأسلوبها، وتتحقق بذلك فوائد منها التأكيد والإفهام والتقرير والتعظيم، وتذكير الغافل، وتنبيه الجاهل.

وقد راعى النبي ﷺ مبدأ التكرار أثناء تعليمه الناس ودعوتهم ووعظهم، فكان أحياناً كان يكرّر اللفظ والمعنى؛ ليطمئن أنها سُمعت منه صحيحة وأنها فُهمت عنه، كما في حديث أنس ﵁، قال: كان النبي ﷺ «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاَثًا»[1]، وكثيراً ما كان يكرّر التذكير بمعاني العقيدة والأخلاق، بأساليب وطرق مختلفة، وفي أحيان أخرى يكرر الفعل ويدعو لتكراره، كما في الاستغفار والتوبة، وهو بذلك ﷺ يجعل من نفسه قدوة للمسلمين، فيقول ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[2].

والتكرار في التربية والتعليم يكون بإعادة الموقف التعليمي مرة بعد أخرى، مع مراعاة التنويع في الطريقة والأسلوب، وبهذا المعنى يكون التكرار ضرورة لا يستغنى عنه أثناء عمليات التربية التدريب والاستظهار والتجريب والدعوة والإرشاد والتوجيه، فطبيعة النفس البشرية تتفاوت في استعداداتها وقدراتها ومواهبها؛ وهي بحاجة للتكرار عليها، ومنحها فرصة لإعادة المحاولة، ومع كل تكرار يحصل إدراك أكثر، وتعلّمٌ أفضل.

تطبيق مبدأ التكرار

1. التوعية بمفهوم التكرار، والتأكيد على أهميته للنفس البشرية، أثناء عمليات التربية والتعليم والتدريب والدعوة، فهو مفيد في تأكيد الفهم والاستيعاب، وفي التكرار تذكيرٌ للغافل، وتنبيهٌ للجاهل.
2. مراعاة مبدأ التكرار عند إعداد مناهج التربية والتعليم والتدريب، لتنظيم عرض الأفكار، وتكرار التدريبات عليها، وتكرار التقييم لها، مع التنويع في المحتوى والأسلوب.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه، ج1، ص30، ح95.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم، ج8، ص67، ح6307.

3. تكرار الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدي للفساد كلما ظهر، وتكرار نصح الناس وتذكيرهم ووعظهم وتبشيرهم.

4. عدم اليأس من استجابة الناس عند التوجيه والموعظة، فالله سبحانه وهو خالق البشر، وكم رسولاً أرسل؟ وكم نبياً بعث؟ وكم مرة كرّر إنزال الهداية منه على عباده؟ وكلما ضلّ الناس أرسل إليهم من يهديهم؛ وفي سيرة الأنبياء أسوة حسنة، فنوح عليه السلام لبث في قومه يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يكرر فيهم الدعوة وينوع في وسائلها وأوقاتها، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ [العنكبوت:14].

5. الحذر من تكرار المعاصي أو التمادي في ظلم الناس، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ [هود:102][1].

6. تكرار التوبة والاستغفار والرجوع إلى الله والفرار إليه، كلما وقع المرء في معصية، كما جاء في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[2].

7. تكرار ذكر الله وتسبيحه وتمجيده والثناء عليه، بعد الصلوات وفي الخلوات وآناء الليل وأطراف النهار، قال تعالى: ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب:42]، وقال تعالى: ﴿**وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:35]

8. تكرار تلاوة القرآن وتعاهده بالتلاوة والحفظ، وتكرار مراجعته حتى لا ينسى، وقد أوصى النبي ﷺ بذلك فقال: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ»[3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى، ج6، ص74، ح4686. (ليُملي) ليُمهل. (لم يفلته) لم يتركه حتى يستوفي عقابه.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تحريم الظلم، ج4، ص1994، ح2577.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً، ج6، ص166، ح4937. (يتعاهده) يضبطه ويتفقده ويكرر قراءته حتى لا ينساه. (أجران) لتلاوته ولتحمل المشقة فيها.

9. مراعاة التكرار عند تربية الأبناء وتعليم الطلاب وتدريب العمال، فالناس متفاوتون في قدراتهم ومواهبهم، فمنهم من يتقن من أول مرة، ومنهم من يحتاج أن يكرر له.

10. تكرار العفو والصفح عن الناس، كعفو الوالد عن أبنائه، وعفو المدرس عن تلاميذه، وعفو السيد عن خادمه، وعفو الزوج عن زوجه، والجار عن جاره، والتغافل عن الهفوات مع مراعاة النصيحة بالحكمة، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فصمت رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، كَمْ أَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمْ أَعْفُو عَنِ الخَادِمِ؟ فَقَالَ: «كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»[1].

11. تكرار الإحسان والصدقة، والدوام على برّ الوالدين والأرحام والجيران، وترك مقابلة السيئة بمثلها، فعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[2].

12. تكرار تواصي المسلمين فيما بينهم؛ بالحق والصبر والمرحمة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد:17]، وقد كرّر جبريل ﷺ وصيته بالجار، وقال ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[3].

13. تكرار محاولات الصالحين لإيقاظ الأمة وإصلاحها، وإحياء الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المباركة ومسجدها الأقصى، والحذر من المخذّلين، مع مراعاة تطوير الطرق والأساليب والأدوات، وتجنب تكرار الأخطاء، والتعلّم من تجارب الآخرين.

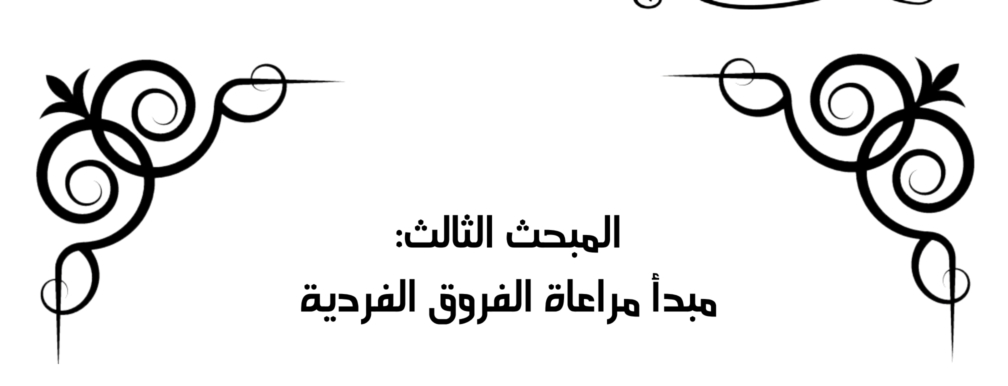
14. الحذر من الاستخدام السلبي لمبدأ التكرار الذي يجعل من الإعلام وسيلة لغرس الأفكار الهدّامة، بقصد أن يعتاد الناس المعاصي والمحرمات ويألفوها.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في العفو عن الخادم، ج4، ص336، ح1949. وصحّحه الألباني: صحيح وضعيف سنن الترمذي، ج4، ص449، ح1949.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ج4، ص1982، ح2558. (كأنما تُسِفُّهُمُ الملّ) كأنما ترمى فى وجوههم الرماد الحار.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الوصاة بالجار، ج8، ص10، ح6015.



المبحث الثالث:
مبدأ مراعاة الفروق الفردية

مما لا شك فيه أن الناس مشتركون بصفات ومختلفون في أخرى، وطبيعي أن تتفاوت نسبة وجود الصفة الواحدة بينهم، وهذا التفاوت والاختلاف يُعبرُ عنه بالفروق الفردية. فالفَرْق هو «ما يُميِّز بين الأشياء، مثل فروق الأسعار، وفَرْق السِّن، وجَمْعُهُ فُروق. وفَرَقَ بين المتشابِهَين: بيّن أوجه الخلاف بينهما. والفارِق: التفاوت والاختلاف الطفيف[1]».

وتُعَرَّف الفروق الفردية بأنها: «مجموعة الخصائص والقدرات والاستعدادات الجسمية والنفسية والعقلية والروحية التي تُميّز الفرد عن غيره»[2]، وهذه الفروق الفردية لا بد من ملاحظتها، ثم مراعاتها لنجاح أنشطة التربية والتعليم، وهي ضرورية عند توزيع المهام والتكليف بالوظائف.

واختلاف الناس وتفاوتهم حقيقة، ونجد أن القرآن الكريم قد أشار إليها، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النحل:71]، والرزق في الآية ليس مالاً فقط، بل هو كل ما وهبه الله ﷻ للإنسان، من جسد وعقل وخُلُق وزوجة وولد، كما يقول الرازي: «واعلم أن هذا التفاوت غير مختص بالمال، بل هو حاصل في الذكاء والبلادة، والحسن والقبح، والعقل والحمق، والصحة والسقم، والاسم الحسن والاسم القبيح، وهذا بحر لا

(1) عبد الحميد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مادة (ف ر ق) رقم 3745.

(2) مقبل، أحمد إسماعيل. **الفروق الفردية من منظور إسلامي**، مجلة جامعة الناصر، المجلد2، العدد6، 2015م، ص134.

ساحل له»[1]، فلا يتشابه الناس إلا بكونهم خلق لله وعبيد له، أبوهم آدم وأصلهم التراب، وما عدا ذلك فهم مختلفون، كما يقول الشعراوي: "إننا لا نتساوى إلا في شيء واحد فقط، هو أننا عبيد لله، نحن سواسية في هذه فقط، وما دون ذلك فنحن مختلفون فيه، تختلف ألواننا، تختلف أجسامنا، صورنا، مواهبنا، أرزاقنا"[2].

وبذلك تصبح الفروق الفردية نعمة يمتن الله بها على عباده، وتصير حقيقة وضرورة لا تستقيم حياة الناس بدونها، فكيف سيحتاج الناس بعضهم بعضاً إن كانوا متشابهين متماثلين في صفاتهم وقدراتهم؟ قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزُّخرُف:32]، ففي الآية بيان لعلة التفاضل بين الناس والتفاوت في صفاتهم، قال الزمخشري: "ليَصرِفَ بعضهم بعضاً في حوائجهم، ويستخدموهم في مهنهم، ويتسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا، ويصلوا إلى منافعهم، ويحصلوا على مرافقهم"[3]. فكل واحد يمتاز بشيء عن غيره، فهو فاضل في ناحية ومفضول في أخرى، وتكمن حكمة البشر في إدراك هذا التفاوت ثم إدارته والاستفادة منه.

وعليه فإن مبدأ مراعاة الفروق الفردية، يلفت النظر إلى وجود التفاوت في صفات الناس وقدراتهم ومواهبهم وأفهامهم، ويدعو إلى احترام هذا التفاوت وقبوله وعزوه إلى حِكْمَة الله ﷻ في خلقه، ثم يكون على القادة والتربويين استثمار هذه الفروق وإيجاد الأنشطة والمهام المناسبة، قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:22]، ففي هذا التنوع والاختلاف آيات يجب إدراكها واستثمارها، لتكون سبباً في تكامل الناس، وتعاونهم واتفاقهم.

ومما قرّره القرآن الكريم حقيقة الفروق في صفات الذكر والأنثى، ورتّب على ذلك أحكاماً وتكاليفات تناسب كلاً منهما، فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:36]، دون

---

(1) الرازي: **تفسير الرازي= مفاتيح الغيب**، ج20، ص243.

(2) الشعراوي: **تفسير الشعراوي- الخواطر**، ج13، ص8065.

(3) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج4، ص248.

أن ينقص من شأن أحدهما، فهما سواء في الإنسانية والتكريم والتكليف والحساب، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:13]، فهو اختلاف يؤدي إلى التعارف، ثم هو يفضي إلى التعاون والتكامل وتبادل الخبرات والمنافع، وبهذا الشكل تعمر الحياة.

وكانت تكليفات الله تعالى لعباده في قمة العدل، عندما راعت الفروق الفردية بينهم، فأحكام العبادات والمعاملات وحتى المحرمات، يجد الناظر في تفاصيلها، ما يناسب حال كل إنسان، فقد راعت عُمُر الإنسان إن كان صغيراً أو كبيراً، وجنسه إن كان ذكراً أو أنثى، وحاله إن كان مريضاً أو مسافراً أو فقيراً أو ضعيفاً أو مكرهاً أو مضطراً. قال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:20].

ومن الأمثلة على مراعاة الفروق الفردية، اختلاف الخطاب الموجّه إلى النبي زكريا عليه السلام الرجل الكبير، ومريم ابنة عمران الفتاة الشابة عليها السلام؛ فقد تناسب الخطاب القرآني مع حال وقوة كل منهما؛ فأُمر زكريا عليه السلام بعبادة يطيقها ولا ترهق جسده الضعيف، وهي ذكر الله وتسبيحه، قال تعالى: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ﴾ [آل عمران:41]. أما مريم عليها السلام فقد أمرت بعبادة تطيقها وتناسب المرأة الشّابة، قال تعالى: ﴿يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:43].

وقد دعت السنة النبوية للتدقيق في الفروق الفردية بين الناس ومراعاتها، فقال ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ، إِذَا فَقِهُوا»[1]. وقال ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»[2]. وقال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب واتخذ الله إبراهيم خليلا، ج4، ص140، ح3353.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب رفع الأمانة، ج8، ص104، ح6498.

حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[1]. في إشارة إلى ما بين الناس من فروق في قدرتهم على الحفظ والفهم، واختلاف تعاملهم مع النصوص وقدرتهم على استنباط الأحكام الفقهية منها.

تطبيق مبدأ مراعاة الفروق الفردية

1. التوعية بمفهوم الفروق الفردية، وتوضيح أهمية الكشف عنها، وأساليب التَّعامل معها، وأثر مراعاتها في التربية والتعليم والدعوة، وعند التقييم والتكليف.
2. تنمية قدرات الوالدين والمعلمين والقياديين، لتمكينهم من معاينة الفروق الفردية، والكشف عنها نوعاً وكماً، من خلال تدريبهم على آليات واختبارات تساعد في الكشف عن الاستعدادات والذكاءات وأنماط الشخصية، والميول والمواهب.
3. العناية بالبيئة الصفية، وتعديل المناهج المدرسية لتراعي التفاوت في ذكاءات الطلبة وميولهم وقدراتهم، وتأخذ بعين الاعتبار التعليم المسبق للطلبة، واختلاف بيئاتهم وظروفهم الاجتماعية.
4. تنويع وسائل وأساليب التدريس والتدريب، وتصميمها لتتفاعل مع مختلف الحواس عند الطلبة، وزيادة قناعة المعلمين بجدوى الطرق التعليمية التي تراعي الفروق الفردية، وتوفير التدريب عليها.
5. إنشاء ودعم النوادي الرياضية والثقافية والاجتماعية وفرق الكشافة، لتستثمر أوقات الشباب في الأعمال المهنية والتطوعية، وتنتقي المتميِّزين منهم، وتنمي مهاراتهم وتصقل مواهبهم وتطور خبراتهم وقدراتهم.
6. توفير خيارات التعليم الأكاديمي والمهني بأنواعها، لتناسب ميول الشباب وظروفهم وأوقاتهم.

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب فضل نشر العلم، ج3، ص322، ح3660، وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح3660.

7. إجراء الاختبارات والتجارب والرحلات والمناورات، للكشف عن المواهب والصفات والفروق بين الأفراد واستثمارها، كما فعل طالوت في اختباره لجنوده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّه مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:249].

8. يُظهر المرّبي أو القائد المودة والعناية بالجميع، ويحذر عند تفضيل أحدهم أو تمييزه بعمل عن غيره، ويعلل سبب الإكرام والتخصيص، فذلك أسلم للصدور وأبعد عن الحسد، وفي سيرة النَّبِيّ ﷺ عندما بَعَثَ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضُ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ»[1]. يقول ابن جماعة رحمه الله موجهاً المعلم والمربي: «فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً وأشد اجتهاداً أو أحسن أدباً فأظهر إكرامه وتفضيله وبيّن أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب فلا بأس بذلك، لأنه يُنَشِّط ويبعث على الاتِّصاف بتلك الصفات»[2]،

9. تعديل السلوك الخطأ، والتوجيه إلى معالجته وتجاوزه، إما بالخطاب العام، كأن يقول المرّبي: ما بال أقوام يفعلون كذا دون تخصيص، وإما بالنقد المباشر المغلّف بالمودة والمحبة، كما حدث مع حَكِيم بن حِزَام رضي الله عنه، قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا[3].

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب مناقب زيد بن حارثة، ج5، ص23، ح 3730. (فطعن) قدح وتكلم فيها. (إمارة أبيه) زيد بن حارثة رضي الله عنهما في غزوة مؤتة. (وايم الله) يمين الله. (لخليقاً) جديراً لائقاً بها.

(2) ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (ت: 733هـ). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق: محمد العجمي، بيروت – لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1433هـ2012-م، ص79.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الاستعفاف عن المسألة، ج2، ص123، ح 1472. (لا أرزأ) لا أنقص ماله بالطلب منه.

10. التوجيه لإجراء الدراسات لاستخراج ما عند اليهود والنصارى والمنافقين من صفات والإحاطة بميزات القبائل والشعوب والشخصيات، والعناية بما ورد من أوصاف لبعضهم في القرآن الكريم والسنة النبوية وكتب التراث وتجارب السلف، فهذا من شأنه المساعدة في تخيّر أنسب الطرق للتعامل، فعن عَائِشَة ﵂، قالت، أن رسول الله ﷺ قال: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»(1).

11. مراعاة الفروق الفردية في معاملة غير المسلمين، فهم:

أ. ليسوا سواء في بعدهم عن الحق، كما قال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:113].

ب. وهم ليسوا سواء بالتزام الأخلاق واحترام القيم، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران: 75].

ت. كما أنهم ليسوا سواء في عداوتهم للمسلمين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة:82].

12. مراعاة الفروق الفردية في الطاقات والإمكانات والمواهب عند تكليف الناس بالمهام، أو عند التعليم والدعوة، مع العناية بما يلي:

أ. يكلّف المرء بما يطيق ويحسن، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: 28].

ب. مراعاة اختلاف ظروف الناس الصحية وانشغالاتهم وأعمارهم. فعن أبي مسعود ﵁، أن رجلاً قال: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ»(2).

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضائل حسان بن ثابت، ج4، ص1935، ح2490.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب تخفيف الإمام في القيام، ج1، ص142، ح702.

ج. التحدث بلغة ولهجة يفهمها المخاطبون، كما فعل النبي ﷺ حين استخدم لهجة أخرى تناسب الأشعريين، كما روى كعب بن عاصم الْأَشْعَرِيّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَيْسَ مِنَ امْ بِرِّ، امْ صِيَامُ، فِي امْ سَفَرِ»[1]، ويتفق الناس أن التحدث باللغة العربية الفصحى كفيل بتجاوز الفروق بين كثير من اللهجات المحلية.

د. مراعاة المستوى العلمي والثقافي للمخاطبين، والتفاوت بينهم في مستوى الفهم والضبط وحفظ السرّ، فقد اختص النبي حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بحفظ بعض أسراره وأسماء المنافقين، ونراه ﷺ فعل ذلك حين حدّث معاذاً، فقال له: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قال: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا[2].

ه. مراعاة المنزلة الاجتماعية والشرف عند بعض الشخصيات والهيئات، كما فعل النبي ﷺ مع أَبِي سُفْيَانَ حين أَسْلَمَ قبيل فتح مكة، فقال له الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرِ، فَلَوْ جَعَلْتَ لَهُ شَيْئًا، قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»»[3]، ومثله ما كان في رسائله ﷺ لحكام البلاد، فقال: لكسرى عظيم الفرس، وقال لهرقل عظيم الروم[4].

و. مراعاة حالة الفقر والغنى، كما في رواية أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ:

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، باب حديث كعب بن عاصم الأشعري، ج39، ص84، ح23679، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، ج1، ص37، ح128.

(3) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب ما جاء في خبر مكة، ج3، ص162، ح3021. وقال الألباني حسن صحيح، **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح3021.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كيف كان بدء الوحي، ج1، ص8، ح7.

وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ -وَالعَرَقُ المِكْتَلُ- قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»[1].

ز. مراعاة التفاوت في القدرة على ضبط النفس وقوة التحمل، فقد أخبر أبو سَعِيد الْخُدْرِيّ ﷺ، قَالَ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَمِنَّا الصَّائِمُ وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فَلَا يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ، يَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ قُوَّةً فَصَامَ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ وَيَرَوْنَ أَنَّ مَنْ وَجَدَ ضَعْفًا، فَأَفْطَرَ فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ»[2].

ح. مراعاة الفروق في القوة الجسدية بين الشباب، فيختار الأقوى والأنسب للجهاد في سبيل الله، كما في حديث سَمُرَة بْنِ جُنْدَب ﷺ، قال: كان النبي ﷺ «يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ، فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ» قَالَ: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأَلْحَقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ. قَالَ: «فَصَارِعْهُ» فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِي[3].

ط. مراعاة الفروق الاجتماعية بين الناس، فيعفى من الجهاد وحيد والديه، ولا يصلح للقتال من تعلقت نفسه بهموم الدنيا ومشاغلها، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ، قال : «غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ قَدْ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمْ يَبْنِ، وَلَا آخَرُ قَدْ بَنَى بُنْيَانًا وَلَمَّا يَرْفَعْ سُقُفَهَا، وَلَا آخَرُ قَدِ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء، ج2، ص32، ح1936.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان، ج2، ص786، ح1116.

(3) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب وأما حديث معمر بن راشد، ج2، ص69، ح2356. وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا»[1]. وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ الله، فقال ﷺ: «فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قال: نعم، بَلْ كِلَاهُمَا، قال: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قال: نعم، قال: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»[2].

ي. مراعاة الفروق الصحية للناس، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور:61]، وقد قال النبي ﷺ لعمرو بن الجموح رضي الله عنه حين أراد الخروج للجهاد، وكان به عرج شديد:«أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ»[3].

ك. العناية بالمبتدئين والترفق بهم، والتجاوز عن زلاتهم، كما حدث مع الأعرابي الذي بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُ، وَأَهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[4]. وذاك الرَجُل الذي دخل المسجد، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلاَثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلاَةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»[5].

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، باب مسند أبي هريرة، ج13، ص539، ح8238، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ج4، ص1975، ح2549.

(3) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: 458هـ). **السنن الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ- 2003م، باب من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة والعذر في ترك الجهاد، ج9، ص42، ح17821. وصحّحه الألباني في تخريج أحاديث كتاب: **فقه السيرة**، محمد الغزالي، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965م، ص283.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول النبي ﷺ يسروا، ج8، ص30، ح6128.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات، ج1، ص152، ح757.



المبحث الرابع:
مبدأ التَّذكير بالنِّعم

كثيرة هي الطرق والأساليب المستخدمة في الدعوة والإرشاد، ومن أهمها التَّذكير بالنِّعم، والتَّذْكِيرُ: «من الذِّكْر والذِّكْرى، والذُّكْرَةُ ضِدُّ النِّسْيَانِ، تَقُولُ: ذَكَرَهُ بَعْدَ النِّسْيَانِ، وَذَكَرَهُ بِلِسَانِهِ وَبِقَلْبِهِ يَذْكُرُهُ ذِكْرًا وذُكْرَةً وذِكْرى، وتَذَكَّرَ الشَّيْءَ وأَذْكَرَهُ غَيْرُهُ وذَكَّرَهُ. وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَيْ ذَكَرَهُ بَعْدَ نِسْيَانٍ[1].

أما النِّعم: فهي جمع نِعْمَة، وهي كل ما تفضل به الله من رزق وَمَال وصحة وولد ونحوه. و" النعمة بكسر النون المنة وما ينعم به الرجل على صاحبه. قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: 22] وأما النعمة بفتح النون فهو ما يتنعم به في العيش، قال تعالى: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان: 72][2].

والتذكير: مبدأ عام يكون بكلِ ما ينفعُ الناس في الدنيا وينجيهم في الآخرة، كتذكيرهم بفعل الطاعات، أو ترك المنكرات، و«التذكير بالنِّعم» شكل منه، يحرص فيه الدعاة والمرّبون على لفت انتباه الناس لنِعم الله عليهم، وتذكيرهم بفضله سبحانه، بهدف حملهم على التفكّر في النِّعم وتقدير مُنْعِمِها، مما يزيد الإيمان به سبحانه، ويُجدد الدافعية للصبر والعمل الصالح.

وإن المتتبع لآيات القرآن الكريم يلحظ أن الله تعالى قد ذكّر أنبيائه وعباده بنعمه عليهم، ودعاهم للنظر في عظيم خلقه وما جعله بين أيديهم، ليتعرفوا من خلالها إليه سبحانه، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: 301]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ﴾ [طه:37].

---

(1) الرازي: **مختار الصحاح**، ج1، ص112.

(2) انظر : الرازي، **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، ج2 ص97.

كما ورد التذكير بالنِّعم من خلال لفت الانتباه إليها، كما في سورة الرحمن التي تميزت بأسلوبها في التذكير بنعم الله تعالى وآياته العظيمة، وكذلك سورة النحل التي سُميّت بسورة النِّعم[1]، لكثرة ما ورد فيها من تذكير الناس بفضله ﷻ ونعمه عليهم.

وقد جاء التذكير بالنِّعم في حوارات الأنبياء الكرام مع أقوامهم، كوسيلة تدلهم على الله المنعم وتعرفهم بفضله، وتدفعهم لقبول الحق والدعوة، كما في تذكير هود عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون﴾ [الأعراف: 69]، وتذكير صالح عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:74]، وتذكير شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:86]، وتذكير موسى عليه السلام لقومه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:20].

وقد أمر الله تعالى رسله أن يستخدموا التذكير بالنعم، أثناء دعوتهم قومهم، فقال سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ﴾ [إبراهيم:5]، قال الطبري: أي عِظْهُم بما سلف من نُعْمَى عليهم في الأيام التي خلت، فاجتُزِئ بذكر الأيام من ذكر النعم التي عناها، لأنها أيام كانت معلومة عندهم، أنعم الله عليهم فيها نعمًا جليلةً، أنقذهم فيها من آل فرعون بعدَ ما كانوا فيما كانوا فيه من العذاب المُهِين، وغرّق عدوَّهم فرعونَ وقومَه، وأوْرَثهم أرضهم وديارَهم وأموالَهم[2].

وينبغي أن يُحدّث المرء بالنعمة ويذكر فضل الله عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:11].

---

(1) ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت:542هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ، ج3، ص377.

(2) الطبري: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج16، ص519.

تطبيق مبدأ التذكير بالنعم

1. التوعية بمبدأ التذكّير بالنِّعم، وبيان أدلته والأمثلة عليه من القرآن الكريم، وتوضيح فوائد استخدامه أثناء التربية والتعليم والدعوة وعند التوجيه والإرشاد لتعديل السلوك.
2. توجيه الخطباء والوعاظ والتربويين والعاملين في الإعلام، ليقوموا بتذكير الناس بفضل الله تعالى ونعمه عليهم، وحثهم على دوام شكره وطاعته.
3. استثمار حوادث وقصص المجتمع، للتذكير بفضل الله تعالى ونعمه ورحمته، كما في قصة قارون، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْاْ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص:82].
4. زيارة المقابر والمشافي لاستذكار فضل الله من نعمة الصحة وفسحة العمر، واستثمار الزيارة في التوبة والاستغفار، وقد كان من عادة النبي زيارة المقابر والدعاء إلى أهلها، كما روت عَائِشَة رضي الله عنها، فقالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ - يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ، فَيَقُولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ غَدًا، مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا، إِنْ شَاءَ اللهُ، بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللهُمَّ، اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الْغَرْقَدِ»[1].
5. إرشاد الناس للنظر إلى من دونهم في النعم، من خلال زيارة المرضى في المشافي، وتفقد أحوال الفقراء ومواساتهم ومؤازرتهم والدعاة لهم، لحديث النبي ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»[2].
6. تذكير الناس بمن سبقوا في مجالات العلم والعمل والجهاد والدفاع عن الأوطان وعمل الآخرة، والحثّ على الاقتداء بصبرهم وثباتهم.
7. تذكير الأمة بأيام الله تعالى فيها، وعنايته بها وفضله عليها، واستذكار انتصاراتها وتضحيات أبطالها، لأجل تقديرهم وإنزالهم منازلهم والقيام بحقهم والاقتداء بهم.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها، ج3، ص669، ح974. (بقيع الغرقد) مقبرة أهل المدينة والبقيع موضع من الأرض فيه أصول شجر والغرقد شجر له شوك كان ينبت في ذلك المكان بكثرة فأضيف إليه.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الزهد والرقائق، ج4، ص2275، ح2963.

8. التذكير بفضل الوالدين، وحقهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:15].

9. مراعاة الغاية من التذكير، وهي إرادة الخير للناس ونصحهم ليتفكروا في النعمة ويقدّروا المنعم؛ فيصوبوا طريقتهم ومسارهم في هذه الحياة الدنيا.

10. التحديث بالنعمة إذا أَمِنَ المرءُ الحسدَ، ويتجنب الرياء والتباهي والتعالي والتفاخر، بل يكون التذكير في معرض التواضع لله تعالى والاعتراف بفضله وشكره، كيوسف عليه السلام، عندما قال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:101].

11. العناية بتحديث وتطوير آليات التذكير من خلال:

أ. تفعيل وسائل التواصل الاجتماعي وتكوين المجموعات والقنوات الدعوية بين الأقارب والأصدقاء ليذكّرَ الناس بعضهم بعضاً بنعم الله وفضله.

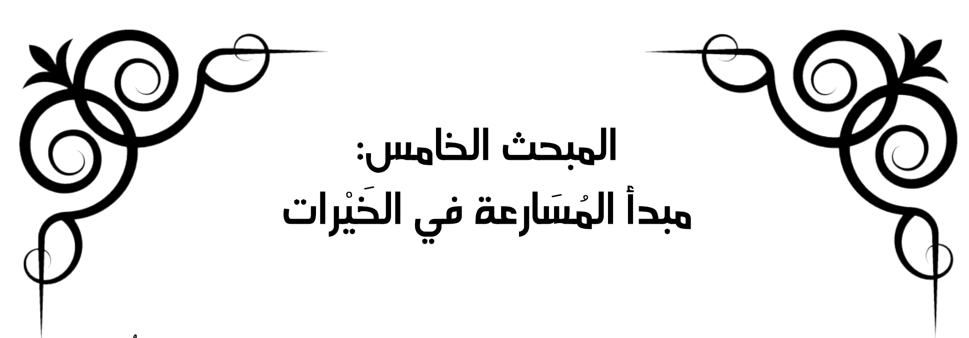
ب. إنتاج الأفلام الوثائقية والعلمية التي تلفت الانتباه إلى آيات الله في الكون.

ت. العناية باللوحات الإرشادية والإعلانات في الشوارع والحدائق واستثمارها في الجانب الدعوي والتذكيري.

12. تذكير المسلمين من الأغنياء، بحق الله تعالى في مالهم، وبما أعده لهم من أجر وثواب، جزاء حسناً على زكاتهم وصدقاتهم في وجوه الخير، وخاصة في نصرة الحق ودعماً للمجاهدين. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:261].

13. تذكير الناس في الأرض المباركة بما أعده الله للمرابطين والمجاهدين لتثبيتهم وتصبيرهم، فالأسرى نذكرهم بيوسف الصديق عليه السلام الذي لبث في السجن بضع سنين، وأم الشهيد نذكرها بالخنساء ومثيلاتها، واللاجئين بمن هاجر من الأنبياء عليهم السلام، والمرضى نذكرهم بأيوب عليه السلام.

14. تذكير أهل الأرض المباركة بفضل الله عليهم أن جعلهم من أهلها، واختارهم حراساً للمسجد الأقصى وعُمّاراً له، ومرابطين فيه، واصطفى منهم الشهداء، وجعلهم رأس حربة لأمتهم في مواجهة فساد اليهود.



المبحث الخامس:
مبدأ المُسَارعة في الخَيْرات

السُرْعَةُ: نقيضُ البُطءِ، والمُسارَعَةُ إلى الشيء: المبادرة إليه[1]. والخَيْرُ: ضِدُّ الشَّرِّ، وهو" ما كان حَسَناً لذاته، أو لِمَا يُحققه من لَذَّة أَو نفعٍ أَو سَعَادَة"[2]. "ويطلق الخير على كل نفع مستحسن يجيزه الشرع"[3]. و"الخَيْراتُ: جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضِلَةُ من كلِّ شيء"[4]. وقال الزمخشري: «المسارعة في الخير: فرطُ الرغبةِ فيه، لأن من رَغِبَ في الأمر سارع في تَوَلّيه والقيامِ به، وآثر الفَورَ على التراخي[5]. وعليه فينبغي على المسلم تحرّي الخير، والمبادرة إلى فعله، والمسابقة في أدائه على أحسن وجه؛ رجاء أن ينفع المرء نفسه ومن حوله، تقرباً إلى الله تعالى ورجاء ثوابه.

والمسارعة في الخيرات من الصفات التي يُحبّها الله تعالى في عباده، وقد امتدح أصحابها، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [الأنبياء:90]، فمسارعتهم في الخيرات كانت سبباً لتكريمهم واستجابة دعائهم. ومن أبرز الخيرات التي ينبغي أن يبادر إليها المسلم: الإيمان بالله واليوم الآخر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج، كما في قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:114].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص151.
(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، ج1، ص264.
(3) جبل: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج1، ص541.
(4) الرازي: **مختار الصحاح**، ص99.
(5) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص403.

في مقابل مسارعة أهل الكفر والنفاق في خدمة باطلهم، تأتي أهمية مسارعة أهل الحق والصالحين لخدمة دينهم والدفاع عن مقدساتهم، وإذا كانت المسارعة إلى فعل الخير وقوله صفة المؤمنين فإن المسارعة في الإثم والعدوان صفة الكافرين والمنافقين، قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون﴾ [المائدة:62]، فهو سجال مستمر بين الحق والباطل؛ يشمّر فيه المؤمن مع إخوانه؛ يسارعون في الخيرات ورفع راية الحق والتوحيد.

وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى الخيرات حيناً، وبالمسابقة إليها حيناً، وقرن ذلك بالحوافز والدوافع: مرة لأجل المغفرة والجنة، ومرة لأجل النجاة من النار، ومرة لنيل محبته ورضاه، ومرة تحدّياً لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر؛ فحتى ينقل المؤمن نفسه من حالة الرتابة إلى حالة المسارعة والمسابقة فإنه يحتاج لدافع يدفعه وحافز يسعى إليه، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:133]، وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:21]. ويدخل في دلالة "المسارعة في الخيرات"، الدوام على العمل الصالح والمحافظة عليه، بإتمامه وإتقانه والإحسان فيه، والدعوة إليه والتوصية به.

ويبقى المؤمن أثناء سعيه الدؤوب بين الخوف والرجاء، هل قُبِلَ منه أم لا، فقد سَأَلْت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:60]، قال عائشةُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟ قَالَ: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:61]»[1]، فقلوبهم وجلة مع أنهم يسارعون في الخيرات! إنه وجلٌ محمود يبعد صاحبه عن العُجب والتباهي بعمله الصالح، ويدفعه للمُضّي وتلافي النقص والتقصير.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب: ومن سورة المؤمنون، ج5، ص327، ح3175. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج7، ص175، ح3175.

وجاء في الأحاديث النبوية الأمر بالمبادرة إلى عمل الخير، واغتنام فسحة العمر في عمل الصالحات، فقال ﷺ لِرَجُلٍ وهو يَعِظُهُ: « اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1].

وحذّر النبي ﷺ من التقصير في اغتنام نعمتي الصحة والفراغ، فقال «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[2]. وقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[3]. قال النووي: في الحديث «حثُّ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تَعَذُّرِهَا والاشتغال عنها، بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة»[4].

وقال ﷺ محذراً من وقت -قد يأتي- يعجز فيه المرء عن العمل، عندما يرى أشراط الساعة الكبرى، أو تقوم القيامة، أو ينزل الموت بساحته ويحين أجله، فقال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدَّجَّالَ، أَوِ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[5].

وعليه فقد أوصى النبي ﷺ بتعجيل عمل الخير، وترك التأني أو التأجيل أو التسويف فيه، فقال: «التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ»[6].

---

(1) النسائي، أحمد بن شعيب (ت: 303هـ). **السنن الكبرى**، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، كتاب المواعظ، ج10، ص400، ح11832، وصحّحه الألباني: **صحيح الترغيب والترهيب**، ج3، ص311، ح 3355.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، ج8، ص88، ح6412.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الحثّ على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، ج1، ص110، ح118. (بادروا بالأعمال فتناً) الحثّ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة، قبل تعذّرها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر.

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج2، ص133.

(5) مسلم: **صحيح مسلم**، باب في بقية من أحاديث الدجال، ج4، ص2267، ح2947. (بادروا بالأعمال ستاً) أي سابقوا ست آيات دالة على وجود القيامة قبل وقوعها. (خَاصَّةَ أَحَدِكُم): الموت، (وأَمرَ العَامَّةِ): القيامة.

(6) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب وأما حديث سمرة، ج1، ص132، ح213، وقال: صحيح على شرطيهما ولم يخرجاه. وصحّحه الألباني: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ج1، ص578، ح3009. و(التُّؤَدَة) هي التأني.

تطبيق مبدأ المسارعة في الخيرات

1. التوعية بمبدأ المسارعة في الخير، وبيان مفهومه، وأهميته، وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية.
2. ينبغي تظافر جهود الأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام لغرس مبدأ المسارعة في الخيرات في نفوس الناس، من خلال: التذكير والترغيب به، واستثمار الأفلام والمسلسلات في التوجيه والإيحاء، وإبراز القدوات.
3. المسارعة إلى أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى كالصلاة على وقتها، وبرّ الولدين، والجهاد في سبيل الله، والجّد في طلب العلوم المختلفة، واغتنام فسحة العمر في أعمال الخير.
4. المبادرة إلى الأعمال الصالحة التي يبقى أثرها بعد موت الإنسان، وذكر النبي ﷺ بعضها فقال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»[1]، وعدّ النبي سبعة من الأمور تنفع المرء بعد وفاته، فقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ»[2].
5. المبادرة لعمل الصالحات في الأماكن التي باركها الله، وضاعف فيها الأجر والثواب، كالمسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، كما قال ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[3].
6. المسارعة إلى عمارة المساجد بكثرة الخطا إليها لإقامة الصلاة وحضور حلق العلم.

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب في الوقف، ج3، ص652، ح1376. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج3، ص376، ح1376.

(2) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب ثواب معلم الناس الخير، ج1، ص88، ح242. وحسّنه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج1، ص314، ح242.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب في الحوض، ج8، ص121، ح6588.

7. تشكيل اللجان والجمعيات الخيرية، التي تدعم الأعمال الخيرية وتُشجع عليها، وتُسهل دروبها.
8. المبادرة لاغتنام الأوقات المباركة التي يضاعف فيها الأجر والثواب، ويستجاب فيها الدعاء، كشهر رمضان، والليالي العشر الأواخر منه، وليلة القدر، والعشر الأوائل من ذي الحجة ومنها يوم عرفة، واليوم العاشر من محرم، وأوقات السحر، وعند سماع الآذان، وبين الآذان والإقامة.
9. المبادرة لاغتنام الحالات والظروف التي يمرّ بها المرء، كوجود الوالدين والفوز ببرهما كما قال ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ» قِيلَ: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[1]. وقال ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ»[2].
10. التذكير بدوافع المسارعة في عمل الخير، كالرغبة بالمغفرة ودخول الجنة والنجاة من النار.
11. إقامة المسابقات والمهرجانات في الرياضة وأعمال الخير بمشاركة القادة والأمراء فيها، وتكريم المبادرين والمبدعين، فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا ارْمُوا، وَأَنَا مَعَ بَنِي فُلاَنٍ» قَالَ: فَأَمْسَكَ أَحَدُ الفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَرْمِي وَأَنْتَ مَعَهُمْ، قَالَ: «ارْمُوا وَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ»[3]. وعن سَمُرَةَ بْن جُنْدَب ﷺ، قَالَ: كان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَعْرِضُ غِلْمَانَ الْأَنْصَارِ، فِي كُلِّ عَامٍ فَيُلْحِقُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُمْ» قَالَ: فَعُرِضْتُ عَامًا، فَأَلْحَقَ غُلَامًا، وَرَدَّنِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ أَلْحَقْتَهُ وَرَدَدْتَنِي وَلَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ. قَالَ: «فَصَارِعْهُ» فَصَارَعْتُهُ فَصَرَعْتُهُ فَأَلْحَقَنِي[4]،

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب رغم أنف من أدرك ابويه أو أحدهما عند الكبر فَلَم يَدخُلِ الجَنَّة، ج4، ص1978، ح2551. (رغم) معناه ذلّ وخزي.

(2) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب دعوة الوالد ودعوة المظلوم، ج1، ص1270، ح3862. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج8، ص362، ح3862.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب واذكر في الكتاب إسماعيل، ج4، ص147، ح3373.

(4) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب وأما حديث معمر بن راشد، ج2، ص69، ح2356. وقال:

وقد حدّث ابن عمر رضي الله عنهما: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْنِي ثُمَّ عَرَضَنِي يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَأَنَا ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَنِي»[1].

12. المسارعة لتوحيد صفوف المسلمين، ونبذ الخلاف والفرقة، فقد أمر النبي ﷺ بالمبادرة للصلح وفضّ الخصومة، فقال: «لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ: فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ»[2].

13. التحذير من اتباع المنافقين، الذين يسارعون في الإثم ويتعاونون مع العدو الصهيوني، كما قال تعالى: ﴿**فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ**﴾ [المائدة:52]، والتوعية أن هذه المسارعة خيانة وتفريط بالمقدسات والحقوق، وعاقبتها الخسران والندم.

14. التحذير من منافسة الناس على الدنيا ومتاعها، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ، كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ المِنْبَرَ فَقَالَ: «إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[3].

15. المسارعة إلى الإعداد وبناء القوة الاقتصادية والعسكرية، لتكون الأمة قادرة على مواجهة أعدائها، قال تعالى: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال:60].

16. السعي لاستيعاب الشباب ومبادراتهم، وتوجيه نشاطهم نحو تحصيل العلوم والمهن والرياضة والإعداد للجهاد في سبيل الله، كما في توجيه النبي ﷺ: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ»[4].

حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب بلوغ الصبيان وشهادتهم، ج3، ص177، ح2664.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الهجرة، ج8، ص21، ح6077.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب غزوة أحد، ج5، ص94، ح4042.

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الرمي والحث عليه، ج3، ص1522، ح1918.

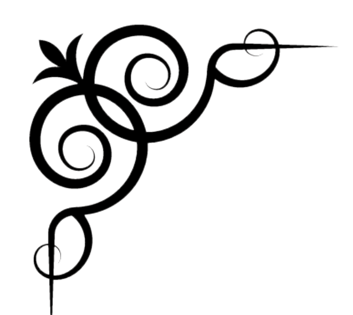
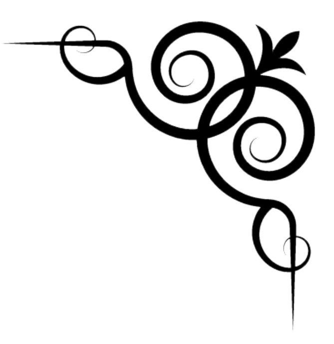
17. المسارعة إلى الجهاد بالمال، لدعم صمود وجهاد أهل الأرض المباركة، وسدّ حاجتهم، اقتداءً بعمر بن الخطاب ﷺ الذي قال: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا»[1].

18. المبادرة إلى الجهاد بالنفس، والتسابق نحو الشهادة في سبيل الله، كما فعل عَمْرُو بْن الْجَمُوح ﷺ وكان شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنِينَ شَبَابٌ يَغْزُونَ مَعَ رسول الله ﷺ، فَلَمَّا كانت غزوة أُحُدٍ، قَالَ لَهُ بَنُوهُ: إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَكَ رُخْصَةً، فَلَوْ قَعَدْتَ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ. فَأَتَى رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ بَنِيَّ هَؤُلَاءِ يَمْنَعُونَ أَنْ أَخْرُجَ مَعَكَ، وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُسْتَشْهَدَ فَأَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ النبي ﷺ: «أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ وَضَعَ اللهُ عَنْكَ الْجِهَادَ». وَقَالَ لِبَنِيهِ: «وَمَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَدَعُوهُ لَعَلَّ اللهَ يَرْزُقُهُ الشَّهَادَةَ». فَخَرَجَ مَعَ رسول الله ﷺ، فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ شَهِيدًا[2].

---

(1) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب في الوقف، ج5، ص614، ح3675. وقال الترمذي حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وحسّنه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج8، ص175، ح3675.

(2) البيهقي: **السنن الكبرى**، باب من اعتذر بالضعف والمرض والزمانة والعذر في ترك الجهاد، ج9، ص42، ح17821. وصحّحه الألباني في تخريج أحاديث: **فقه السيرة**، محمد الغزالي، ص283.

المبحث السادس:
مبدأ البِشارَة بالخير

البِشْرُ والبِشارَةُ والبُشارَةُ: الطَّلاقَةُ. والبِشارَةُ: مَا بُشِّرْتَ به. والبُشارة: مَا يُعْطَاهُ المُبَشِّرُ بالأمر، وأَبْشَرَ واسْتَبْشَر وتَبشَّرَ وبَشِرَ: أي فَرِحَ وسُرَّ. والمبَشِّرات: الرياح التي تهبّ بالسحاب وتُبَشِّرُ بالغيث. وتَباشِير كل شيء: أَوَّله كتَبَاشِيرِ الصباح والنور. والبِشارَةُ المُطْلَقَةُ لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشَّر إذا كانت مقيدة، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:21](1).

وقد تكرر استخدام البِشارَةُ والأمر بها في القرآن الكريم في (84) آية(2)، فجاءت البشرى من الله سبحانه لعباده المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[التوبة:21]، وقوله تعالى: ﴿وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فُصِّلَت:30]، وأمرَ ﷻ بالتبشير، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:155]، و﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:87]، و﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:34]. و﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج:37]، كما بشّرت الملائكةُ الأنبياءَ والمؤمنين، كقوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحِجر:53].

ويمكن ملاحظة استخدام النبي ﷺ التبشير بالخير، ليثبّت قلوب أصحابه ويصبّرهم، وخاصة في بدايات الدعوة الإسلامية حيث تعرضوا فيها للشدائد والتعذيب، ومن شواهد ذلك ما ورد في السيرة النبوية أن النبي ﷺ مرّ على آل ياسر وهم يعذبون في مكة، فقال مثبتاً ومصبراً: «أَبْشِرُوا آل عَمَّارٍ، وَآل يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّة»(3).

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص61.

(2) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص119.

(3) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب ذكر مناقب عمار بن ياسر، ج3، ص438، ح5666. وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وأخرجه الألباني: **صحيح السيرة النبوية**، عمان – الأردن، المكتبة الإسلامية، ط1، ج1، ص154.

ومثل ذلك حديث خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﵁، قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فقال ﷺ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(1).

وقد بشّر النبي ﷺ أصحابه أثناء حفر الخندق بفتح مدائن الشام وفارس واليمن(2).

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه ﷺ بمراعاة مبدأ التبشير، فقال لمعاذ وأبي موسى قبيل ﵄ إرسالهم إلى اليمن: «يسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا وَتَطَاوَعَا»(3). قال النووي: وفي الحديث أمرٌ بالتبشير بفضل الله سبحانه وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضةً من غير ضمها إلى التبشير(4).

وقد بُشِّرت خديجة ﵂ ببيت في الجنة من قصب لا نصبَ فيه ولا صخب(5)، وبُشِّر كعب بن مالك ﵁ بتوبة الله عليه بعد تخلفه عن غزوة العسرة، قال كعب: فلما سلَّمتُ على رسول الله ﷺ قال: وهو يُبْرقُ وجهُه من السرور: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»(6). فالبشرى كالهدية، تحبها النفوس وتترقبها، فهي إن جاءت جبرت الخاطر وقوّت الضعف، وأمدت النفس بالأمل فتسكن وتطمئن وتفرح وتسعد وتتفاءل، وهذا يعينها على الثبات وإكمال المسير.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ج9، ص20، ح6943.

(2) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، حديث البراء بن عازب، ج30، ص626، ح18694، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده ضعيف وله أصل في حديث جابر في البخاري4101.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، ج4، ص65، ح3038.

(4) النووي: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ج12، ص41.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، باب متى يحل المعتمر، ج3، ص6، ح1792. (قصب) أنابيب من جوهر. (صخب) صياح وأصوات مختلطة. (نصب) تعب.

(6) البخاري: **صحيح البخاري**، باب حديث كعب بن مالك، ج6، ص3، ح4418.

تطبيق مبدأ البشارة بالخير

1. التوعية بمبدأ البِشارَة بالخير؛ وتوضيح مفهومه وأدلته، وأهميته في تصبير الناس وتثبيتهم أثناء الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، وفي التربية والتعليم، وفي المواقف الاجتماعية المختلفة.
2. جمع الآيات والأحاديث النبوية وحكايات التراث، التي ترفع الهمم وتُبشّر بالخير، وتبث الأمل، ونشرها بين الحين والآخر؛ بأشكالٍ وأساليب مختلفة.
3. ترك التشاؤم أو التنفير، والتصدي لروح اليأس والإحباط وأي محاولات للتخذيل؛ خاصة عند الشدائد، قال رسول الله ﷺ: «لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»(1).
4. توجيه المؤسسات الإعلامية والسينما للقيام بإنتاج أفلام ومسلسلات وأناشيد وبرامج تربوية تُصَّبِّر الناس وتُثَبِّتهم، وتبثّ فيهم روح التفاؤل والثقة بفرج الله وعونه ونصره.
5. ربط البشرى بأسبابها، فهي متحققة للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وللصابرين وللمحسنين وللمخبتين، فمن أراد البشرى سار في طريقها واجتهد لنيلها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشورى:23].
6. تبشير المجاهدين والمرابطين في الأرض المباركة بنصر الله الموعود وعونه، وتذكيرهم بالمبشرات، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَاد﴾ [غافر:51]، **وقوله** تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:7].
7. تبشير الأسرى والمعتقلين في سجون الصهاينة، بأن الله معهم، وأن الأمة تسعى لتحريرهم وفكّهم، ولكن ليصبروا حتى يأتي الله بأمره، ولهم في يوسف عليه السلام أسوة حسنة.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، ج4، ص1745، ح2223. (الفأل) يكون فيما يسر وفيما يسوء، والغالب فيما يسر، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.

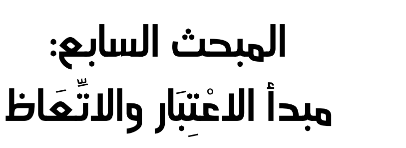
8. تبشير المُهَجَّرين من الأرض المباركة، واللاجئين في مخيمات الشتات بعودتهم إلى ديارهم، والاستقرار في أرضهم، وتبشيرهم بتحقق وعد الله تعالى للمؤمنين الصابرين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: 55].

9. تبشير أُسَرِ الشهداء وأهلهم ورفاقهم بما أعدّه الله تعالى لأحبابهم من ثواب ومكانة عظيمة في الحياة الآخرة، كما جاء في حديث أنس بن مالك ﷺ، قال: أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «وَيْحَكِ، أَوَ هَبِلْتِ، أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ، إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ».(1)

ومثله حديث جابر بن عبد الله ﷺ، قال: لَقِيَنِي رسولُ الله ﷺ، فَقَالَ لِي: «يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا»؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا، قال: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ»؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا. فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً. قَالَ الرَّبُّ ﷻ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ»(2).

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من شهد بدرا، ج5، ص77، ح3982

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ومن سورة آل عمران، ج5، ص230، ح3010. وقال حسن غريب. وحسّنه الألباني: **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، ج7، ص10، ح3010. (كفاحاً) مواجهة ليس بينهما حجاب.

المبحث السابع: مبدأ الاعْتِبَار والاتِّعَاظ

الاعتبار هو النَّظر في تجارب الماضين والحاضرين، والتدبر في أحوالهم؛ وأخذ العبرة من صوابهم، والاتعاظ من مصائرهم، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر:2]، يقول ابن منظور: "أي تدبَّرُوا وانظُروا فيما نزل... فقايسوا أفعالهم واتعظوا بالعذاب الذي نزل بهم. والعِبَرُ: جمع عِبْرة، وهي كالمَوعِظة، مما يَتّعِظُ به الإنسان ويَعمَلُ به. ويَعتبِر ليستدل به على غيره، والعِبْرة: الاعتبارُ بما مضى"(1).

أما الاتِّعَاظُ فهو رديف الاعتبار، وهو التَّذْكِيرُ بالعَوَاقِب، قال الزبيدي:"وَعَظَه يَعِظُه وَعْظاً وعِظَةً ومَوْعِظَةً: ذَكَّرَهُ مَا يُلَيِّنُ قَلْبَهُ من الثَّوابِ والعِقابِ، فاتَّعَظَ بِهِ. والوَعْظُ: النُّصْحُ والتَّذْكِيرُ بالعَوَاقِبِ. والاتِّعَاظُ: قَبُولُ المَوْعِظَةِ"(2).

وعقوبة الجاني الشديدة يرجى منها أن تكون عظة وعبرة لغيره، كما في حديث الرجل الذي أُتِيَ به إلى النبي ﷺ وَقَدْ زَنَى، فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يُمْكِنِّي مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ إِلَّا جَعَلْتُهُ نَكَالًا»(3)، أي سأعاقبه عقوبة شديدة تجعله عِبرةً لغيره، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: 56]، قال الطبري: "أي جعلهم عِبرة وعِظَةً، يَتَّعِظُ بهم مَنْ بعدَهم من الأمم، فينتهوا عن الكفر بالله"(4).

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب،** ج4، ص531.

(2) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس،** ج20، ص289.

(3) مسلم: **صحيح مسلم،** باب من اعترف على نفسه بالزنى، ج3، ص1319، ح1692.

(4) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن،** ج21، ص624.

وفي ذات السياق قال عبدالله بن مسعود "السعيد من وُعِظَ بغيره"[1]، وقال عمر بن الخطاب ﷺ في حديث الاستئذان: «وإلا فَلَأَجْعَلَنَّكَ عِظَةً»[2]، أي إذا لم تأتي بالبينة على ما قلته؛ فسوف أجعل منك عِبرة لغيرك.

ولأجل تحقق الاتعاظ لا بد من إظهار التكريم أو العقاب، وبقاء أثره مدة ليراه الناس، وهذا منهج قرآني في إصلاح الناس، فهو يدعو للنظر والتدبر في مصائر من سبق، ولهذا تجد تكرار الدعوة في القرآن الكريم للسير في الأرض والنظر في حال من سبق من الناس، كقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم: 42]. وقد أبقى الله تعالى جسد فرعون جثة هامدة ليكون للناس آية فيعتبرون منها ويتعظون، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: 92]. وكذلك الحال في قرى قوم النبي لوط ﷺ، قال الله تعالى عنها بعد هلاكها: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحِجر: 77]، أي: «وإن قرية سدوم التي أصابها ما أصابها من القلب الصوري والمعنوي، والقذف بالحجارة، حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة لبطريق ظاهر مبين؛ مسالكه مستمرة إلى اليوم»[3]. وقد رأينا هذه الطرق وسرنا بالسيارة عليها في محيط البحر الميت في أدنى الأرض- في غور الأردن-، وكنا كلما سرنا بقربها سبّحنا الله وعظّمناه واستغفرناه واستعذنا بالله تعالى من مصير هؤلاء الشواذ الماثل إلى يوم الدين.

وإن ما جرى مع قرى سدوم من قوم لوط يشير إلى تحقق سُنة الله تعالى في الأقوام الظالمة، فالله ﷻ يخبر عن كفرهم وشركهم ويحدّث عن جرائمهم وتكذيبهم وعنادهم وتماديهم في الغيّ، ثم يَصِف لنا عذابهم كأننا نراه، ولا ينتهي المشهد حتى يترك آية وعلامة يراها الناس من حولهم ومن بعدهم رجاء الاتعاظ والاعتبار، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: 25]، وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 85].

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، ج4، ص2037، ح2645.
(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الاستئذان، ج3، ص1695، ح2153.
(3) ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج4، ص544.

وقد ذَكّر الأنبياء والدعاة أقوامهم بعاقبة من سبقهم، رجاء أن يتعظوا ويأخذوا العبرة، فقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾[هود:89]، وهذا رجل مؤمن من آل فرعون، يحذّر قومه قائلاً : ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ * مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ﴾[غافر:31].

تطبيق مبدأ الاعتبار والاتعاظ

1. العمل على لفت انتباه الدعاة والمربين والقادة إلى مبدأ الاعتبار والاتعاظ، وأثره في تعديل سلوك الناس وأفكارهم، وأهميته في التربية والتعليم والدعوة.
2. العناية بدراسة صفحات التاريخ، وما يرتبط بها من أحوال الأمم والشعوب ومصائرهم، والتَفَكُّر في تجاربهم، وتقييم أسباب نجاحهم أو فشلهم، وأخذ العبرة.
3. إظهار التكريم للمحسنين والمتفوقين والمبدعين، ليُشكل دافعاً للاقتداء بهم، وإظهار العقوبة عند تطبيقها، بالإعلان عنها والإشهاد عليها لتكون عبرة وعظة، قال تعالى: ﴿وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور:2]، مع مراعاة تحرّي العدالة في التكريم أو في العقاب، فتتناسب العقوبة مع الجريمة نوعاً وكماً.
4. التوصية بعدم التعرض لآثار الأمم السابقة بالتخريب أو الإزالة، لتبقى للناس آية وعبرة، ولتستثمر في الدعوة إلى الله والتذكير بمصائر السابقين. ويمكن أن تكتب عليها اللوحات وتطبع المطويات الإرشادية الداعية لأخذ العبرة والعظة، مع توفير الإرشاد المناسب للزائرين.
5. إنتاج الأفلام والمسلسلات التي تحكي قصص الأقوام السابقة، وتصور مساكنهم التي لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً، واستخلاص العبر والدروس وتقديمها للمشاهدين والناس.
6. العناية بتصحيح القدوات وبنائها، وعقد اللقاءات مع النادمين من أصحاب السوابق، والاتعاظ والإفادة من تجربتهم، مظنة ثني الناس عن السلوكات الخطأ؛ وبالمقابل علينا الإكثار من عرض التجارب الناجحة، على لسان أصحابها، وتقديمها للناس في اللقاءات والقنوات وعبر الوسائل المتاحة.

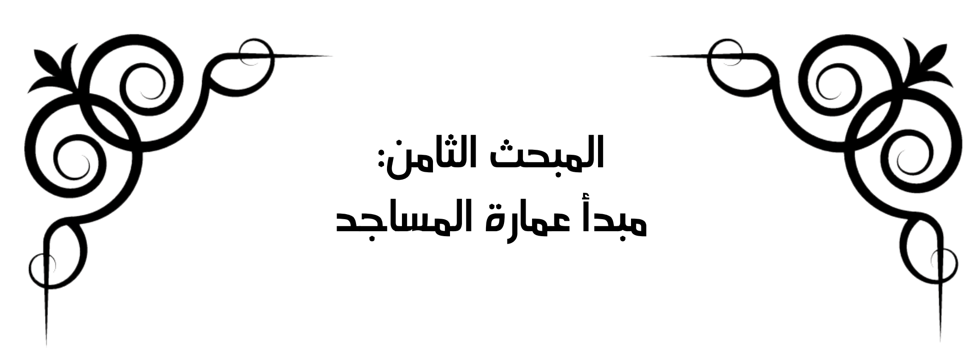
7. بناء وتشييد الصروح التي تُذَكِّر الناس بالأحداث العظام وبالأبطال والشهداء والعلماء، الذين بذلوا حياتهم فداء دينهم، ورفعة وطنهم، وتسمية الشوارع والميادين ونحوها بأسمائهم؛ وفاء وتقديراً لهم، وتشجيعاً لغيرهم للاقتداء بهم؛ مع مراعاة الضوابط الشرعية.
8. المبادرة إلى السياحة والسير في الأرض بقصد النظر والتفكر في مصائر السابقين، وأخذ العبر والدروس من أحوالهم، فقد ورد الحثّ على السير في الأرض للنظر والتدّبر (14) مرة في القرآن الكريم[1].
9. دراسة وتحليل قصص الأنبياء الكرام وتجارب المسلمين الأوائل أثناء تعاملهم مع بني إسرائيل، ولِم استحق هؤلاء اليهود لعنة الله وغضبه، واستخلاص الدروس والعبر التي تساعد في فهم طرق تفكيرهم ونمط سلوكهم؛ لتكوين استراتيجيات أنجح للتعامل معهم أفراداً وجماعات.
10. دراسة التجارب السابقة للأمة الإسلامية التي تبين أسباب فقدانها المتكرر للمسجد الأقصى، وأخذ العبر والدروس، لاستلهام طريق تحرير الأرض المباركة والمسجد الأقصى، كما فعل الكيلاني ﵀ في كتابه: "هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس".
11. العناية بدراسة السنن الاجتماعية، واستنباطها من القرآن والسنة والتاريخ، والاستفادة منها في تشخيص حالة الأمة، ووصف دوائها، كقوله ﷺ: «مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ»[2]. وكقوله ﷺ:«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ»[3].
12. تغليظ العقوبة على المفسدين والخائنين والمتعاونين مع الأعداء، وإظهار الشدة والغلظة عند محاربة اليهود المغتصبين، وأعوانهم المنافقين، ليكونوا عبرة لمن خلفهم، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال:57].

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص374.

(2) الطبراني: **المعجم الأوسط**، ج4، ص148، ح3839. وحَسَّنَه الألباني: **صحيح الترغيب والترهيب**، ج2، ص149.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (4/ 175 - ح: 3475). (الشريف) الذي له شأن في قومه بسبب مال أو نسب أو عشيرة. (الضعيف) من ليس له عشيرة أو وجاهة في قومه. (وأيم الله) من ألفاظ القسم.



المبحث الثامن:
مبدأ عمارة المساجد

العِمَارَةُ: من عَمَرَ يَعْمُرُ عِمَارةً، قال ابن منظور: «عَمَر الرجلُ مالَه وبيتَه يَعْمُره عِمارةً وعُموراً وعُمْراناً: لَزِمَه، والعِمَارَةُ هي ما يُعْمَر بِهِ الْمَكَانُ»[1]. ويَعْمُرُ المكان بالمكوث فيه أو ببنائه أو إصلاحه، وعكسه الهدم والتخريب والتعطيل.

والمساجد جَمْعُ مسجد، وهو مكان السجود، وصار مصطلحاً يدّل على بيوت الله المخصصة لذكر الله والصلاة فيها عند المسلمين.

وعمارة المساجد تكون ماديةً ببنائها وإصلاحها وخدمتها وصيانتها وحمايتها ونحوه، كما أنها تكون عمارة معنويةً: بارتيادها، وإقامة الصلاة فيها وإحياء دروس العلم وذكر الله تعالى في أرجائها، كما قال الزمخشري: «والعمارة تتناول: رمُّ ما اسْتَرَمَّ منها، وقمُّها وتنظيفُها، وتنويرها بالمصابيح، وتعظيمها، واعتيادها للعبادة والذكر، ومن الذكر درس العلم، بل هو أجلّه وأعظمه، وصيانتها مما لم تبْن له»[2].

وينبغي أن تؤسس المساجد على التقوى من أول يوم، وأن تستمر برسالتها لتقديس الله وحده، ورفع اسمه، فلا يُدعى فيها غيره ﷻ، ولا يُعظّم فيها سواه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]. أما أن تستغل منابرها وساحاتها إرصاداً لمن حارب الله ورسوله، فهذا سعي في خرابها، وهدم لرسالتها؛ وتعطيل لدورها، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:114].

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص604.

(2) الزمخشري: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج2، ص254

وقد حاول أجداد منافقي اليوم في العهد الأول أن يسرقوا رسالة المسجد، فبنوا مسجد الضرار كفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، فنهى النبي ﷺ عن الصلاة فيه وأمر بهدمه فهدم.

وللمساجد في كتاب الله منزلة عظيمة، فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم (28) مرة[1]، ووُصِفت بأنها بيوت الله،كما في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ [النور:36]، وجاء بيان من الله تعالى يؤكد أن عمارة المساجد شَرَف يناله فقط من اتصف بالإيمان بالله وباليوم الآخر، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، ولم يخش إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:18].

وحكى لنا القرآن الكريم عناية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام برفع قواعد البيت الحرام في مكة المكرمة، وكيف نادى إبراهيم عليه السلام في الناس يحثهم على عمارته بالطواف والحج إليه.

ولما جدّد سليمان عليه السلام بناء المسجد الأقصى المبارك؛ وقف يحّث الناس على عمارته، ويدعو الله تعالى أن يغفر لمن يأتيه ويصلي فيه، فقد ورد في الحديث: «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ سبحانه وتعالى خِلاَلًا ثَلَاثَةً: سَأَلَ اللَّهَ سبحانه وتعالى حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ سبحانه وتعالى مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ سبحانه وتعالى حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[2].

وقد أثنى الله تعالى على امرأة عمران عليها السلام،عندما نذرت ما في بطنها، خالصاً مفرغاً لخدمة بيت المقدس، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[آل عمران:35]، قال ابن عباس رضي الله عنهما :«نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا لِلْمَسْجِدِ يَخْدُمُهَا»[3]؛ وهذا يدل أن عمارة المساجد من القربات، كما أن فيه إشارة لدور المرأة المسلمة، في تربية الأبناء وتوجيههم لعمارة بيوت الله وخدمتها.

---

(1) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص343.

(2) النسائي: **المجتبى من السنن= السنن الصغرى**، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، ج2، ص34، ح693. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن النسائي**، ج2، ص337، ح693.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الخدم للمسجد، ج1، ص99.

وقد امتن الله تعالى على نبيه محمد ﷺ برحلة الإسراء، التي تمثل جمعاً بين عمارة المسجد الحرام بإصلاح الدين فيه، وعمارة المسجد الأقصى بالإسراء إليه، والصلاة بالأنبياء فيه، ثم المعراج منه إلى السماء؛ وفي ذلك تذكير للمسلمين بحقه ومكانته وفضله وبركته التي فاضت إلى ما حوله.

وقد اعتنى النبي محمد ﷺ بعمارة المساجد، فبنى في طريق هجرته مسجد قباء - أول مسجد في الإسلام- وصلّى فيه، ثم عَمَّر مع أصحابه المسجد النبوي فور وصوله المدينة المنورة، مما يدل على مكانة المسجد في بناء الدول وتأسيس المجتمعات.

وقد أولى الإسلام عناية خاصة بالمساجد الثلاثة، المسجد الحرام في مكة المكرمة، والمسجد النبوي في المدينة المنورة، والمسجد الأقصى في القدس، فهذه المساجد الثلاثة مهوى أفئدة المؤمنين وقبلتها وصارت تمثل شرف الأمة الإسلامية وعنوان هويتها وعقيدتها، وفي سلامتها مقياس لقوة الأمة وعافيتها، ولذلك خُصّت بأحكام لها، كشدّ الرِّحال إليها، ومضاعفة أجر الصلاة فيها.

ومما يُثْلِج القلب ويبشّر بالخير ما نراه في عصرنا من تسابق المسلمين حول العالم في بناء المساجد ورفع مآذنها وعمارتها مادياً ومعنوياً، حتى إنه تم تقدير عدد المساجد في عام 2014م بـ (3.6) مليون مسجد حول العالم. وكان متوقعاً أن يصل عددها إلى (3.85) مليون مسجد في 2019م[1]؛ مما يدل على عناية المسلمين الكبيرة بعمارة المساجد وإدراكهم لمكانتها ودورها في بناء الأمة وتربية الجيل وإصلاحه، قال النبي ﷺ: «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا - يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ - بَنَى اللَّهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ»[2].

---

(1) شركة ديلويت للخدمات المهنية والاستشارية، **مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي**، تقرير صادر في 2014م. تم تصفح الموقع وإنزال التقرير في 2019/2/21م. www.deloitte.com

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من بنى مسجدا، ج1، ص97، ح450.

تطبيق مبدأ عمارة المسجد

1. التوعية بمفهوم عمارة المساجد المادية والمعنوية، وأهميتها، وحُكْمها، وثوابها، وأدلة ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية. والتوعية بأن قوة الأمة وانتصارها على أعدائها يبدأ من المساجد، فهي محاضن التربية، ومدارس التعليم، وفيها يصنع الرجال، لذلك كان تشيدها أول الأعمال التي قام بها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة.

2. تعظيم المساجد والصلوات والإصغاء لصوت المؤذن والترديد بمثل ما يقول، وغرس حبّ المساجد في قلوب الأبناء، بتربيهم على احترامها، والتأدب بآدابها، وتعريفهم بحقَها، واصطحابهم لصلاة الجماعة فيها والجمعة، قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكر منهم: «وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسْجِدِ»[1].

3. تطهير المساجد مما يعلق بها من مظاهر الشرك والبدع، كبناء القبور فيها والتمسّح بها. وتنزيه المساجد عن كل ما لم تُبْنَ له كالبيع والشراء ونَشْد الضّالة.

4. دعم رسالة المسجد ودوره في إصلاح المجتمع وتنشئة الجيل، بتشجيع الفتيان والشباب للانضمام إلى حِلَقِ العلم ودروس التربية فيه.

5. علينا مواجهة المنافقين الذين يحاولون تشويه صورة المسجد أو تحجيم رسالته؛ من خلال سعيهم لتخويف الناس من ارتياده؛ فمن صفات عُمّار المساجد أنهم لا يخشون إلا الله تعالى، ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:18].

6. أخذ الزينة عند كل مسجد، بالاغتسال ومسّ الطيب، وارتداء النظيف والجميل، وتجنب ما يؤدي للنفور من رائحة أو نحوه. قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:31]، وقال النبي ﷺ: «لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى»[2].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من ترك الفواحش، ج8، ص163، ح6806.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الدُّهْن للجمعة، ج2، ص3، ح883.

7. احتساب الأجر والثواب في الذهاب إلى المساجد، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَلَتِ الْبِقَاعُ حَوْلَ الْمَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى قُرْبِ الْمَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ»، قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»[1].
8. الاستعداد لصلاة الجماعة، والتبكير لصلاة الجمعة، والاستماع والإنصات للخطبة. ويأتي المسلم إلى المسجد بسكينة ووقار، فما أدركه من صلاة صلّاه وما فاته قضاه، كما أوصى النبي ﷺ: «إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ»[2].
9. التعريف بالمساجد الثلاث التي تُشَّد إليها الرِّحال قال ﷺ: «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى»[3]. وتعظيمها، والتوعية بمكانتها، وأهميتها عند المسلمين، وبيان الآيات والأحاديث في فضلها، وما ترتبط به من أحكام شرعية، وفيما يلي بعض الأحكام والحقائق المتعلقة بها:

أ. المسجد الأقصى المبارك أسير في يد الصهاينة اليهود، ويجب على كل مسلم أن يهتم لشأنه، وأن يسعى لتحريره، ودعم صمود أهله ورفع الظلم عنهم.

ب. تأمين المساجد وحمايتها من اعتداءات المستوطنين الصهاينة، وعدم السماح بتهويدها أو الاعتداء على المصلين فيها.

ت. المسجد الأقصى المبارك، ليس حرماً كمكة المكرمة والمدينة والمنورة، ولم يرد بذلك آية أو حديث، قال ابن تيمية: «وليس ببيت المقدس مكان يسمى حَرَمَاً ولا بتربة

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد ج1، ص462، ح665.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، ج1، ص421، ح602.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ج2، ص60، ح1189.

الخليل»[1]. ولعل الحكمة أن الحَرَمَ يقتضي تأمين المنطقة للناس والحيوان والنبات، وهذا لا يناسب حالة الصراع المستمر بين الحق والباطل على أرض فلسطين.

ث. السفر إلى بيت المقدس غير مرتبط بفريضة الحج، يقول ابن تيمية: «وقول القائل: قَدَّسَ اللهَ حجتك؛ قولٌ باطلٌ لا أصلَ له»[2]. فزيارتها في أي وقت من أوقات العام.

ج. المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض، بعد المسجد الحرام، كما أخبر أبو ذَرّ ﵁، قال: قُلْتُ يا رسول الله: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ»[3].

ح. الصلاة في المسجد الأقصى تُضَاعف إلى مئتين وخمسين صلاة، وقد رغّب النبي بالسُكنى في بيت المقدس، والتمسك بأرضه، كما بيّن أبو ذَرّ ﵁، قال: تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَال رَسُول اللَّه ﷺ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ لَا يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا - أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[4].

خ. المسجد الأقصى المبارك مسرى محمد ﷺ وموضع عروجه إلى السماء، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:1]، وكان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة في السنة العاشرة للبعثة[5].

---

(1) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج27، ص14.

(2) انظر ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج27، ص14.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ج1، ص370، ح520.

(4) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب وأما حديث أبي عوانة، ج4، ص554، ح8553. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

(5) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج3، ص135.

د. كان المسجد الأقصى وبيت المقدس قبلة المسلمين الأولى قبل تحوّل القبلة إلى المسجد الحرام، كما قال البَرَاء بْن عَازِب ﷺ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ المَقْدِسِ، سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا»[1]. ويضاف إلى هذه المدة ما كان من صلاته نحو المسجد الأقصى المبارك في مكة قبل الهجرة .

10. تكون العمارة المادية للمساجد من خلال مراعاة ما يلي:

أ. تخصص الدولة بعض المساحات في المدن والضواحي لبناء المساجد عليها.

ب. المبادرة لبناء المساجد في مراكز المدن والقرى والضواحي، وفي استراحات المسافرين على الطرق الخارجية، وفي المدراس والمعسكرات. وتشجيع ودعم بناء المساجد في البلاد الفقيرة، والأنحاء البعيدة لتخدم المسلمين حول العالم.

ج. تخصيص أماكن لإقامة الصلاة في الأسواق والمطارات وفي أماكن العمل، مع مراعاة توفير أماكن الوضوء اللازمة، ووضع الترتيبات اللازمة للحفاظ على نظافتها وصيانتها.

د. التنسيق بين الدولة ومواطنيها لتنظيم لاستمرار ودعم عمليات بناء المساجد لتلبي حاجة الناس في مناطقهم.

ه. إكرام بيوت الله بقوة بنائها، وجمال هندستها، ورفع مآذنها، وسعة المساحات التي تقام عليها.

و. تشكيل لجان محلية نزيهة تشرف على استقبال التبرعات النقدية والعينية المقدّمة لبناء المساجد وصيانتها، وتعمل على صونها من التعدّي والإهمال.

ز. تشجيع التبرع لبناء المساجد من خلال التوعية بفضل المساجد وأجر بنائها، وبإعفاء المتبرعين من الضرائب، وتكريمهم.

ح. يستحضر عُمّار المساجد الإخلاص لله تعالى في بنائها ورفعها، ويجاهدوا أنفسهم للبعد عن الرياء والسمعة.

ط. الترغيب ببناء المساجد لتكون صدقة جارية تنفع الأحياء ويصل أجرها إلى الأموات.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب التوجه نحو القبلة، ج1، ص88، ح399.

ي. وقف الأوقاف على المسجد، كأن تُبنى بجواره دكاكين ومخازن واستراحات؛ تدّر مالاً يسهم في نفقات إعماره والقيام على شؤونه.

ك. استغلال أسطح المساجد لتركيب أنظمة لتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية، التي تغني المساجد وتوفر ما يلزمها من تدفئة وتبريد وإنارة.

ل. يتعاون المسلمون في بناء المساجد، ويسهمون ولو بقدر مفحص قطاة، كما أخبر النبي ﷺ. «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ، أَوْ أَصْغَرَ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[1].

م. توفير المداخل والمرافق المناسبة لذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى وكبار السن.

ن. إنشاء مكتبة في كل مسجد وأماكن للمطالعة، وقاعات لطلبة العلم، وديواناً يصلح لضيافة الناس واجتماعاتهم، وأماكن لصلاة النساء.

س. توظيف الأئمة والخطباء والمؤذنين وخدم المساجد، وإكرامهم وتخصيص المعاشات المناسبة والمساكن الكريمة.

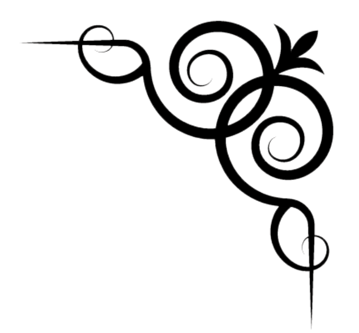
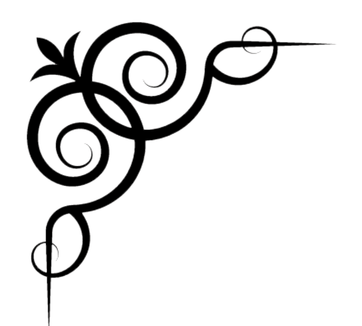
ع. إنشاء المدارس والمعاهد الشرعية، التي تبني الكفايات العلمية والمهنية للأئمة والخطباء والمؤذنين، وتراعي تدريبهم على مهارات التواصل الاجتماعي، وتجري المسابقات لتوظيف من تميَّز بعلمه وأمانته وخلقه وجمال صوته.

ف. العناية بمرافق المساجد وصيانتها المتكررة، ونظافتها لتكون صالحة لاستقبال المصلين وطلبة العلم، ويمكن التعاقد مع شركات متخصصة لتقوم بالصيانة والنظافة الدورية. وتجهيز المساجد بأنظمة صوتية مناسبة وحديثة، وأجهزة للحماية والمراقبة.

ص. توفير المصاحف المفسرة بعدة لغات، وإدخال التقنيات الحديثة لتقدم ترجمة حية لخطب الجمعة، وتخصيص بعض المساجد لتخطب الجمعة بعدة لغات.

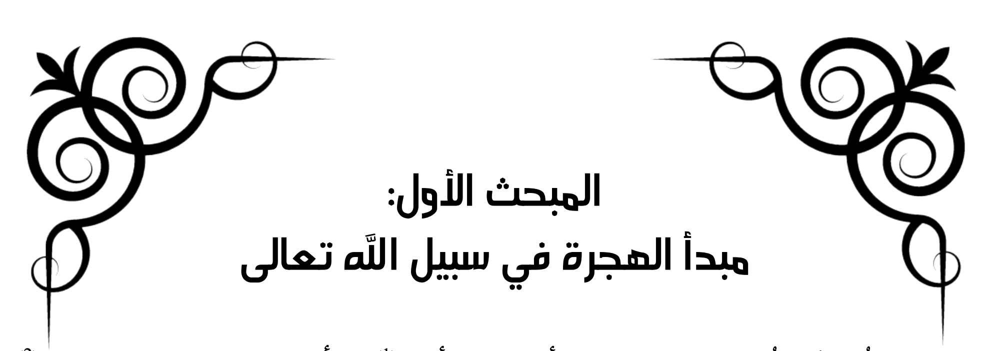
---

(1) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب من بنى لله مسجداً، ج1، ص244، ح738. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج2، ص310، ح378. (كمفحص قطاة) القطاة: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء، ومفحصها هو موضعها الذي تجثم فيه وتبيض، وهذا مذكور لإفادة المبالغة.

المحور الثاني:
المضامين التربوية في مجال العمل الجهادي

1. المبحث الأول: **مبدأ الهجرة في سبيل الله**
2. المبحث الثاني: **مبدأ الجهاد**
3. المبحث الثالث: **مبدأ التصدّي للفساد**
4. المبحث الرابع: **مبدأ إدارة الابتلاء**
5. المبحث الخامس: **مبدأ توجيه الخوف**
6. المبحث السادس: **مبدأ الحذر**
7. المبحث السابع: **مبدأ نصرة الحق**



المبحث الأول:
مبدأ الهجرة في سبيل الله تعالى

الهِجْرَةُ والهُجْرَةُ: هي الخروج من أرض إلى أرض[1]، ومأخوذة من الهَجْر وهو الترك[2]، وتكون طوعاً أو كرهاً، طلباً لرزقٍ، أو تحصيلاً لعلمٍ، أو تخلصاً من ظلم، أو تطلعاً لحرية أو دعوة أو جهاد. وينبغي أن تكون في سبيل الله وسعياً في رضاه حتى يثاب صاحبها ويقع أجره على الله تعالى، قال النبي ﷺ: «الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[3]. وقد وردت كلمة الهجرة بمعنى الخروج من الديار (21) مرةً[4] في القرآن الكريم؛ وتضمنت الآيات تشريعاً للهجرة، اعتباراً لها، وتقديراً لأصحابها، وحثاً عليها إن اقتضت الحاجة، لأن ارتباط المسلم بعقيدته ومبادئه أكبر من ارتباطه بأي أرض، وقد هاجر الأنبياء والرسل وهاجر الصالحون. ولا يقبل يوم القيامة عذر من ترك الهجرة إن وجبت وقُدِرَ عليها، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء:97].

ومما لا شك فيه أن السعي في هداية الناس واستنقاذهم من الضلال، ونشر التوحيد، ومحاربة الفساد، وتحرير الأوطان؛ لا يكون مع القعود؛ بل يتطلب تحركاً وتنقلاً، وهجرة بعد هجرة؛ وهذا حال الدعاة والمجاهدين؛ فهم في حركة دؤوب للقيام بواجبهم؛ حتى صارت الهجرة في سبيل الله سمة حياتهم؛ ومن هنا صار لزاماً تهيئة النفوس للهجرة وترك الأوطان.

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، ج5، ص251.

(2) النووي، يحيى بن شرف (ت: 676هـ). **تحرير ألفاظ التنبيه**، تحقيق: عبد الغني الدقر، دمشق، دار القلم، ط1، 1408ه، ج1، ص313.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب ما جاء أن الأعمال بالنيات والحسبة، ج1، ص20، ح54.

(4) عبد الباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، ص731.

لفت ورقة بن نوفل انتباه الرسول محمد ﷺ لما سيلاقيه من قومه، وعرّفه ببعض الصعوبات التي ستكون في طريق دعوته كالهجرة والإخراج من الأوطان، وأن ذلك سنة فيمن سبقه من الأنبياء الكرام، قال ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يُخْرِجُك قومُك، فقال رسول الله ﷺ: «أو مُخْرِجِّيَ هم؟»، قال له ورقة: «نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا»[1].

وكان حقاً ما قاله ورقة؛ فما لبث النبي ﷺ حتى أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ثم اضطر هو ﷺ للهجرة إلى يثرب مع أصحابه ﭫ؛ تخلّصاً من ظلم قريش وأذاها. فكانت فرصة أكبر للتعريف بالدين الإسلامي ونشره وقيام دولته، وكانت أيضا صقلاً للنفوس وتدريباً لها وتأكيداً على عظيم الإيمان بالله والولاء لدينه. يقول سيد قطب في تفسيره: «الهجرة في سبيل اللّه تجردٌ من كل ما تهفو له النفس، ومن كل ما تعتّز به وتحرص عليه: الأهل والديار والوطن والذكريات، والمال وسائر أعراض الحياة. وإيثار العقيدة على هذا كله؛ ابتغاء رضوان اللّه، وتطلعاً إلى ما عنده؛ وهو خير مما في الأرض جميعاً»[2].

وإن الناظر في سيرة النبي محمد ﷺ وأصحابه ﭫ، يرى أن الهجرة في سبيل الله غلبت على حياتهم؛ فقد تركوا أوطانهم وهاجروا إلى الحبشة مرتين، وهاجروا إلى يثرب، ثم تحركوا وارتحلوا دعاة ومعلمين وقضاة ومجاهدين داخل الجزيرة العربية وخارجها، حتى ما يُعرفُ لجيل الصحابة والتابعين وطناً غير سروج خيولهم، فقد أخذتهم الهجرة في سبيل الله إلى أطراف الدنيا، يبحثون عن العلم وينشرون الدعوة ويجاهدون في سبيل الله، وتلك قبورهم في أنحاء العالم شاهدة على ذلك، وصدق فيهم قول الشاعر إقبال ﭬ:

أضحى الإسلامُ لنا ديناً وجميع الكون لنا وطناً[3].

وإن هذا التوجيه التربوي لمبدأ الهجرة يجعلها أمراً مقبولاً ومتوقعاً، وخياراً لازماً أحياناً،

(1) البخاري: **صحيح البخاري،** باب كيف كان بدء الوحي، ج1، ص7، ح3.

(2) قطب: **في ظلال القرآن،** ج4، ص2438.

(3) إقبال: محمد. **ديوان محمد إقبال،** ترجمة صاوي شعلان، إعداد سيد الغوري، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1428هـ2007-م، ديوان صلصلة الجرس، ج1، ص91.

ويتجاوز المهاجر بهذا الفهم صعوبات الهجرة وآلامها، ويحافظ على استقرار نفسه ويحسن إدارة ذاته، وينظر بإيجابية لأقدار الله وما يحصل معه، فعسى أن يكون في هجرته خير وبركة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:100].

تطبيق مبدأ الهجرة في سبيل الله

1. نشر الوعي عند الناس عامة، وعند الدعاة وطلبة العلم خاصة؛ بمبدأ الهجرة في سبيل الله، والرحلة في طلب العلم وفوائدها، وأدلتها من الكتاب والسنة والتاريخ.
2. بناء القناعة بخيار الهجرة في سبيل الله، والرحلة في سبيل الدعوة والجهاد أو طلباً للعلم والرزق، فأرض الله واسعة ولا يضيّق المرء على نفسه.
3. التهيئة النفسية للهجرة، والقيام بالاستعدادات والتدريبات التي تساعد في إدارة الحياة أثناء البعد عن الوطن والأهل، واكتساب العلم وتعلم اللغات.
4. تضمين الكتب والمناهج المدرسية موضوعات حول الرحلة في طلب العلم، والخروج لأجل الدعوة والجهاد والرباط في سبيل الله، والتدليل على ذلك بنماذج وقدوات من السلف والخلف.
5. قراءة سير وتراجم العلماء والمجاهدين الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله وطلباً للعلم، مثل كتاب الخطيب البغدادي (ت: 463هـ) الذي سماه: الرحلة في طلب الحديث، وكتب فيه عن فضل العلم والرحلة من أجله، وعرّج على رحلة نبي الله موسى إلى الخضر عليهما السلام، ثم ذكر كثيراً من رحلات الصحابة والتابعين.
6. إعداد دراسات تجمع وتحلل قصص الهجرات التي مرّت بها الشعوب والجماعات والأفراد، وأخذ العبر والدروس منها.
7. إبراز الدراسات العلمية والأفلام الوثائقية التي تبين هجرات الكائنات الحية من الحيوانات والطيور والأسماك، وأخذ العبر منها.
8. دعوة مؤسسات الدولة لتنسيق الرحلات العلمية، والقبولات الجامعية والبعثات الخارجية للطلبة في تخصصاتٍ تعود بالخير عليهم وعلى بلادهم.

9. على الدولة أن تفتح مجالات الإعارة والعقود الخارجية لموظفيها؛ مما يرفع من خبرتهم وقوتهم الاقتصادية؛ فينعكس إيجاباً على المجتمع واقتصاده.

10. مراعاة أن تقوم سفارات الدول بواجبها في رعاية المغتربين وتسهيل معاملاتهم والدفاع عن حقوقهم في بلاد الغربة، وأن تكون عوناً وسنداً.

11. تقديم الدعم النفسي للأطفال والزوج والوالدين، عند الغياب عنهم بسبب الهجرة والسفر، وبذل الجهد في التواصل والبّر، وعلى الزوج أن يراعي ألا تطول غيبته عن زوجه، وألا يحرم أطفاله من حنانه، أو والديه من برّه. ويَخْلُفُ الناسُ بعضُهم بعضاً بخير، كما وجّه النبي ﷺ فقال: «وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[1]. وقد بَعَثَ رسول الله ﷺ إلى بَنِي لَحْيَانَ: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ»، ثم قال للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ، كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ»[2]. والاقتداء بعمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي قال في خطبة تولية الخلافة: «وَإِذا غبتم فِي الْبعُوث فَأَنا أَبُو الْعِيَال حَتَّى ترجعوا»[3].

12. يحرص المسلم أن تكون هجرته وأسفاره في سبيل الله، وفي طاعته بعيداً عن معصيته، فينوي الخير، ويسعى له، ويبحث عن أهله، ويستشعر معية الله وعونه، ويتوكل على الله ويفوّض أمره له سبحانه وتعالى مما يمنحه دافعاً أكبر للصبر وقوة لمواجهة التحديات.

13. ويحرص المسلم في هجرته على الصحبة الصالحة ويتجنب الوحدة ما استطاع، قال رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ»[4].

14. تتجنب المرأة السفر إلا مع زوجها أو ذي محرم، فهذا خير له وأسلم لكرامتها وعفتها، لقول رسول الله ﷺ: «لاَ تُسَافِرِ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ»[5].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فضل من جهّز غازياً، ج4، ص 27، ح2843.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب، ج3، ص1507، ح1896.

(3) العصامي، عبد الملك حسين (ت: 1111هـ). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ - 1998م، ج2، ص469.

(4) البخاري: **صحيح البخاري**، باب السير وحده، ج4، ص 58، ح2998.

(5) البخاري: **صحيح البخاري**، باب حج النساء، ج3، ص 19، ح1862.

15. الترغيب بالهجرة إلى الأرض المباركة والإقامة فيها والرباط على ثراها، قال النبي ﷺ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»(1).

16. يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يُأَمِروا عليهم أحدهم، وإذا كانوا في سفر فهذا من باب أولى، كما وجّه النبي ﷺ فقال: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ»(2).

17. ينبغي أن يسارع المسلمون في أنحاء العالم، لتقديم يد العون للمهاجرين والمُهَجَّرين عموماً و من بلاد الشام خصوصاً، والشدّ من أزرهم، وزيارتهم في مخيماتهم والارتقاء في معاملتهم كحال الأنصار مع المهاجرين. ويتجنب المسلمون المواطنين في بلادهم أخلاق السوء الاجتماعية كالتعالي والكبر والأنانية وكل ما يرتبط بالنزعات القبلية أو القومية أو العنصرية. فهم أخوة بحكم الله تعالى في كتابه، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 01]، ومن مقتضياتها أن يشدّ بعضهم بعضاً، وأن يؤثروا على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

18. يصبر اللاجئون في مخيماتهم، حتى يتجاوزوا معاناة الهجرات المتتالية، ويتعاونون لإيجاد حياة جديدة فيها عمل وأصدقاء.

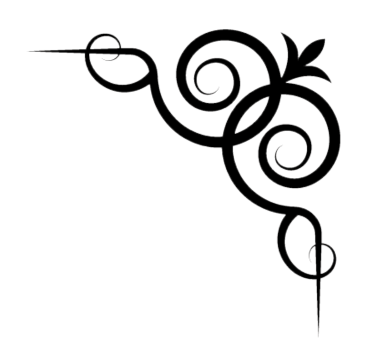
19. يحرص اللاجئون على تعليم الأبناء وإعدادهم للعودة والتحرير، وتذكيرهم بحقهم، وأرضهم وعرضهم وقدسهم، وبظلم عدوهم، الذي هجرّهم وقتلهم وأسرهم، والتواصي برفض واستنكار أفكار الخضوع أو التطبيع مع العدو الصهيوني الغاصب .

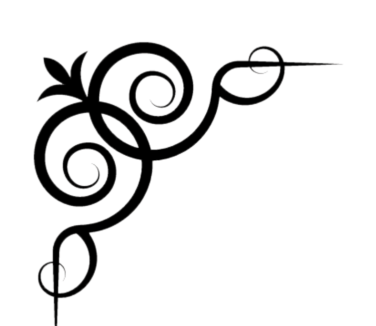
20. تحريض أهل الأرض المباركة على الثبات في أرضهم، ومقاومة المحاولات المتكررة لتهجيرهم من أرضهم.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الرباط في سبيل الله، ج3، ص1520، ح1913. (الرباط) دفاع أهل الثغور عمن خلفهم من المسلمين.

(2) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب في القوم يسافرون يأمرون أحدهم، ج3، ص36، ح2608. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح2608.





المبحث الثاني:
مبدأ الجهاد

الْجِهَادُ وَالْمُجَاهَدَةُ مصدران لقولك جَاهَدَ؛ أَي بَذَلَ الْجُهْدَ بِالضَّمِّ وَهُوَ الطَّاقَةُ، وَتَحَمَّلَ الْجَهْدَ بِالْفَتْحِ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ فِي مُقَابَلَةِ الْعَدُوِّ وَالْقِتَالُ وَالْمُقَاتَلَةُ[1]، تقول بذل جَهْدَه، وجُهْدَه أي بذل طاقته ووسعه، وتقول تَحمَّل جَهْدَه أي تَحمَّل المشقة. ويتسع مفهوم الجهاد ليشمل قتال الأعداء الظاهرين، وجهاد المنافقين، ومجاهدة الشيطان والنَفْس، وكلها مستوعبة في دلالة قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:78].

وتكون مجاهدة النفس بتزكيتها وحملها على أداء الطاعة وترك المعصية، كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:9]. أما مجاهدة الشيطان: فالظاهر أن هذه المواجهة بدأت قديماً بين آدم عليه السلام وإبليس. ونلاحظ تكرار الحديث في القرآن الكريم عن قصة إخراج آدم من الجنة في إطار تحذير الله تعالى لبني آدم من عدوهم الشيطان الذي يسعى لفتنتهم وإضلالهم كما أخرج أبويهم من الجنة، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف:27].

ونجد في القرآن الكريم التنبيه والتحذير من آثار عداوة الشيطان لبني آدم والوصية من الله سبحانه لعباده المؤمنين أن يبادلوا الشيطان عداوته وأن لا يتخذوه ولياً، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:6].

(1) النسفي، عمر بن محمد (ت: 537هـ). **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، بغداد، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى، د. ط، 1311هـ، ج1، ص79.

لذا ينبغي على المسلم أهمية استحضار عداوة الشيطان والاستعاذة بالله من هَمْزِهِ ونَفْخِهِ ونَفْثِهِ[1] والحذر من كيده وخطواته،كما في سورة الناس التي يحرص المسلم على تكرار تلاوتها صباحاً ومساء. ويُعدّ جهاد النفس والشيطان من أعظم الجهاد، فهو سجال مستمر ما استمر في المرء حياة، ينتصر أحياناً ويهزم في أخرى، يصبح مؤمناً، ويمسى كافراً؛ من كثرة الفتن التي تعرض للمرء، كما قال رسول الله ﷺ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[2].

وينبغي جهاد المنافق؛ فهو عدو تخفّى وارتدى ثوب الإيمان كذباً وزوراً، وهو أشد خطراً من العدو الظاهر، لقوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4]، وقد نزل في شأن المنافقين والتحذير منهم آيات بيّنات، وسميت سورة باسمهم، وجاءت سورة التوبة تفضحهم وتكشف نواياهم، كل ذلك هداية من الله تعالى لتعريف المؤمنين بعداوتهم وصفاتهم وأقوالهم وأفعالهم، والمعركة مع المنافقين مريرة مستمرة تتطلب حذراً كبيراً، وإحاطة بأهدافهم ووسائلهم وأساليبهم، وتضامناً لكشفهم وفضحهم ومعاقبة من أجرم منهم.

أما جهاد الأعداء من الكفار والمشركين، ممن جاهر بالعداوة، واستكبر واعتدى، وظلم وقتل، واحتل واغتصب، فهؤلاء جهادهم وقتالهم من أعظم الفروض، وهو جهاد يدفع به المرء عن نفسه وأهله وماله وأرضه ومقدساته ودينه؛ يقول ابن تيمية: «وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجبٌ إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان»[3]. ودليله قول الرسول ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[4].

---

(1) همزه: وَسوسَتُه. ونَفخُه: كِبْرُه وهو ما يُدخِلُه في الصُّدورِ مِن الاستِعلاءِ والاستِكبارِ. ونَفثُه: الشِّعرُ، وسُمِّي نفثًا؛ لأنَّه كالشَّيءِ يَنفُثُه الإنسانُ مِن فيهِ.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب الحث على المبادرة بالأعمال، ج1، ص110، ح118. (فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ) الفتن الكثيرة الشاغلة المتراكمة المحيطة بالإنسان من كل جانب.

(3) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج5، ص538.

(4) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء فيمن قتل دون ماله، ج4، ص30، ح1421، وقال: حديث حسن صحيح.

والجهاد يكون بالنفس والمال؛ فالنفس تقاتل وترابط وتحرس وتكتب وتخطب وترسم وتنافح عن الحق فوق كل منبر، ويُقدَم المال لتوفير وسائل الجهاد وأدواته وتأمين ما يعين على المواجهة.

وقد جمع القرآن الكريم بين الجهاد بالمال والنفس في عشر آيات، وقُدّمَ المال على النفس في تسعٍ منها، مما يشير إلى أهمية المال في الجهاد، وقد جاء أمر رسول الله يؤكد على ذلك، فقال ﷺ: «جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ»[1].

والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام، ومن أحب الأعمال إلى الله تعالى، كما بيّن ذلك النبي ﷺ عندما سئل: أَيُّ العمل أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قال: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»، قال: ثم أَيّ؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ» قال: ثم أَيّ؟ قال: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[2].

وقد تضافرت النصوص التي تبين عظم مكانة الجهاد في سبيل الله وما أعده الله تعالى من جزاء حسن للمجاهدين والشهداء، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:154]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169].

ونحوها حديث أَبِي هُرَيْرَة ﷺ، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ؟ قَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى»[3].

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب كراهية ترك الغزو، ج3، ص10، ح2504. وقال الألباني حسن صحيح: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح2504.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى" ووصينا الإنسان بوالديه"، ج8، ص2، ح5970.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى، ج3، ص1498، ح110.

تطبيق مبدأ الجهاد

1. التوعية بمبدأ الجهاد، مفهومه، وأدلته، وأنواعه، وأهدافه، وأحكامه؛ من خلال المناهج الدراسية، وحضور الدروس والمحاضرات والندوات.
2. الحرص أن يكون الجهاد في سبيل الله وابتغاء مرضاته وتحقيقاً للعدل ونصرة للمظلوم، وخدمة للإسلام والمسلمين، لا رياء فيه ولا سمعة ولا عصبية، فقد سُئل النَّبِيِّ ﷺ عن الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1].
3. غرس حبّ الجهاد في نفوس الأبناء، وحثّهم عليه، من خلال بسط الحديث معهم في أهميته، ومبرراته، وقصصه، وقد عنون البخاري: «باب طلب الولد للجهاد»، وذكر فيه حديث النّبي ﷺ: «قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليهما السلام: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مِائَةِ امْرَأَةٍ، أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»[2].
4. مجاهدة النفس وتزكيتها بالإيمان والعمل الصالح، ونهيها عن الهوى، وحضّها على طلب العلم، ومصاحبة الصالحين، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس: 9-10].
5. استحضار عداوة الشيطان، والحذر من خطواته، والاستعانة بالله من كيده وشرّه ووسواسه، قال تعالى: ﴿**وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**﴾ [الزُّخرُف: 62].
6. الالتزام بآداب الجهاد والتوصية بها، فالنبي ﷺ كان إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيداً»[3].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قوله تعالى" ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا، ج9، ص136، ح7458.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب طلب الولد للجهاد، ج4، ص22، ح2819.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ج3، ص1357، ح1731.

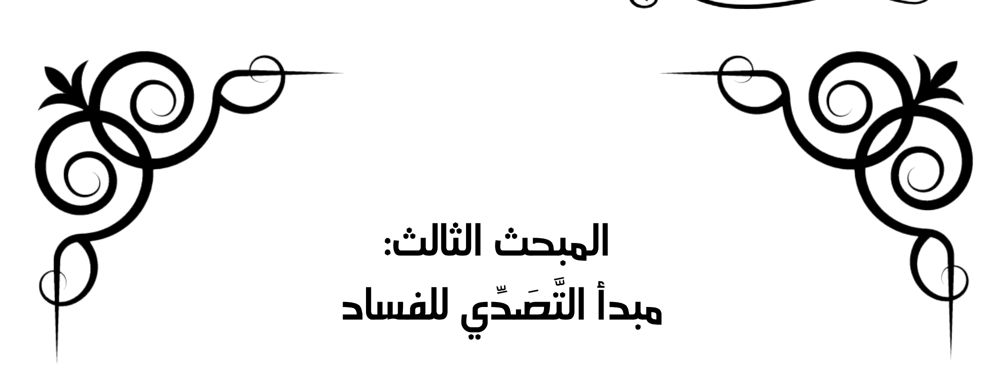
7. تحديث النفس بالجهاد والغزو، وتحريض المؤمنين عليه، وتذكيرهم بما أعده الله من ثواب للمجاهدين والشهداء، قال النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[1].
8. الغلظة في جهاد الكفار والمنافقين، ليكونوا عبرة لمن خلفهم، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: 73].
9. معالجة أسباب النفاق وإغلاق مداخله المفضية إليه، بتقوية الإيمان في النفوس وإغناء الناس وسدّ حاجاتهم، ومجادلتهم المنافقين وإقامة الحجة عليهم، والتوعية والتحذّير من أساليب العدو في توظيفهم أو استغلالهم.
10. توحيد الأمة في جهادها ضد العدو الصهيوني، وتفنيد دعوات الاستسلام والتطبيع، وبيان الحكم الشرعي فيها.
11. تفعيل سهم زكاة المال الخاص بالجهاد في سبيل الله، لتأمين لوازم الجهاد، وسدّ حاجات المجاهدين والمرابطين.
12. مراعاة أن المسلم لا يتمنى لقاء العدو، لكنه يصبر ويثبت ويكثر من ذكر الله عند لقاءه، قال ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ» ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»[2].
13. وضع قضية احتلال فلسطين في إطارها الصحيح الذي يتجاوز الوطنية والإقليمية، ويجعل مسؤولية تحرير المسجد الأقصى واجب الأمة الإسلامية جمعاء، والتذكير بالأحكام الشرعية المتعلقة بوجوب جهاد العدو الصهيوني، وتحريم معاونته أو التطبيع معه.
14. تدارك أي أخطاء سابقة في التعامل مع العدو الصهيوني، واتخاذ القرار الاستراتيجي والصحيح بالصمود في وجهه والثبات في مقاومته حتى زواله.

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو، ج3، ص1517، ح1910.
(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا تتمنوا لقاء العدو، ح4، ص63، ح3024.

15. يعتني العلماء ببيان الحق ولا يكتموا الشهادة، من خلال مواقفهم أمام صفوف المجاهدين والمرابطين، ومن خلال الفتوى الواضحة التي تحرض المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بعموم أشكاله ونصرة أهل فلسطين بالنفس والمال.
16. دعم الرباط في بيت المقدس ومن مظاهره المواظبة على زيارة المسجد الأقصى المبارك للصلاة فيه والاعتكاف وإقامة حلقات العلم فيه.
17. تبني قضايا الأسرى والأسيرات في سجون العدو الصهيوني والدفاع عنهم، السعي الحثيث بكل الطرق لتحريرهم وجمعهم بأهلهم، وتملّك أوراق الضغط على العدو حتى يفكّ قيدهم، فقد أوصى رسول الله ﷺ فقال: «فُكُّوا العَانِي»، يَعْنِي: الأَسِير[1].
18. العناية الكبيرة بتربية نفوس أبناء الأمة وتقوية الروح المعنوية والأجساد، من خلال نظام تعليمي تدريبي شامل تتضافر فيه جهود المؤسسات التربوية والإعلامية- الرسمية والشعبية، وتطوير محتوى المناهج الدراسية في المدارس والجامعات لتناسب حالة الصراع مع العدو الصهيوني وأعوانه، فجيل النصر والتحرير يحتاج إلى عناية تربوية كبيرة ليكون كما وصفهم الله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[الإسراء: 5].
19. ينبغي الاستمرار ببناء الجيل والإعداد المادي بأنواعه، والتحضير لمعركة تحرير القدس والأرض المباركة، من خلال تطوير مستمر للقدرات بما يناسب العصر وإمكاناته.
20. السعي الحثيث لتوحيد الأمة - دولاً وجماعات وأحزاباً وتنظيمات - وجمع شتاتها، ونزع بذور خلافها، وتنسيق جهودها تحت جوامع كبرى وموحّدات كراية لا إله إلا الله، وحبّ المصطفى محمد ﷺ والسير على نهجه، والسعي لتحقيق كرامة الأمة الإسلامية وتحرير مقدساتها وصدّ المعتدي ونصرة المظلوم.

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فَكَاكِ الأسير، ج4، ص68، ح3046.



المبحث الثالث:
مبدأ التَّصَدِّي للفساد

الفساد نقيض الصلاح، ورديف السُوء، وهو في اللغة: «من فَسَدَ ضِدُّ صَلَحَ. ويَفْسُد ويَفسِدُ فَهُوَ فاسِدٌ وفَسِيدٌ. وفَسَد الشيءُ: بَطَلَ واضْمَحَلّ، وتَغَيَّر»(1). ويمكن تعريف الفساد بأنه كل ما أدى إلى إلحاق الضَّرَر بدين الناس أو دنياهم. ويبقى ميزان الشرع الحكيم والدين القويم ميزاناً في تمييز الإصلاح من الإفساد. فكثير من الناس يفسد وهو يظن نفسه من المصلحين، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:11]. ومبدأ التَّصَدِّي للفساد يعني اعتراضه ومواجهته ومحاصرته، لإيقاف نموه والقضاء عليه قبل أن يستشري، ومحو آثاره ومنع تكراره. وهذه مهمة تتطلب قوة ووعياً بأنواع الفساد وأسبابه ومظاهره وعواقبه.

والإفساد عمل العصاة والظالمين والمنافقين، قال تعالى عنهم: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة:33]، فهم يهدمون الأخلاق ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويشيعون الفاحشة، ويُوهنون الأمة، لذلك كان التصدّي لهم وإصلاح فسادهم شغل الأنبياء عليهم السلام، ومقصد الرسالات، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود:88]. ويُعدّ حديث السفينة مرتكزاً في مقاومة الفساد، حيث قال فيه النبي ﷺ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(2). فالحديث يشير إلى مسؤولية المجتمع بأفراده وجماعاته للحفاظ على كيان الأمة ومؤسساتها والتصدي لأي

(1) انظر: الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج8، ص496.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب هل يقرع في القسمة والاستفهام فيه، ج3، ص139، ح2493.

فساد وهو في مهده؛ ويكون ذلك بتفعيل وتعزيز فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنويع آلياته؛ وتوسيع دائرة مسؤولية هذا الأمر على كافة الأصعدة والمستويات؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:110]، فالخيرية تقتضي الأمر المعروف والتصدّي للفساد تقرباً إلى الله تعالى، ووفاءً وانتماءً للمجتمع المسلم.

ولنا في رسل الله تعالى والأنبياء الكرام وأتباعهم من سلف الأمة أسوة حسنة فقد رفعوا شعار الإصلاح وعملوا به، ولاقوا في سبيل ذلك من الناس ما لاقوا، فصبروا واحتسبوا؛ ووقفوا من الفساد موقفاً قلبياً فأبغضوه، وعملياً صارماً من خلال تحدِّيه ومحاربته والتصدّي له، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 77].

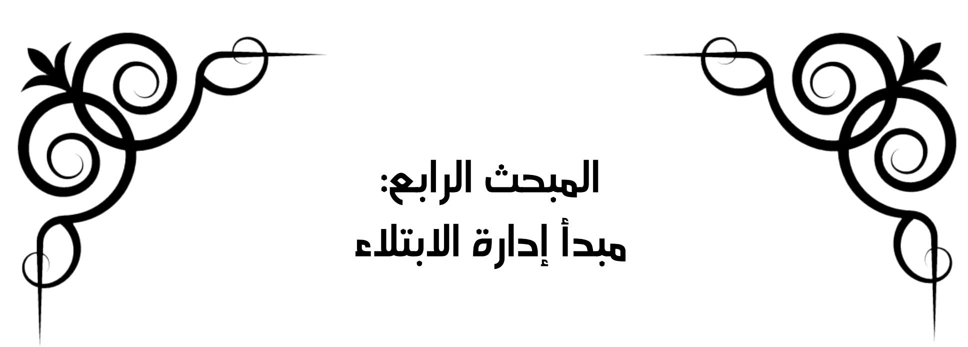
إن التربية الإسلامية تغرس في النفس بُغْض الفساد والمنكر، وتوجّه المسلم لتحمل مسؤوليته في التّصدِّي له وإزالته، وترشده للوسائل والأساليب مع مراعاة ظروفه وما يستطيع؛ امتثالاً لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[1].

تطبيق مبدأ التَّصَدِّي للفساد

1. التوعية بأنواع الفساد وأسبابه ومظاهره، وحُكْم التَّصَدّي له، وأهمية تكاتف كل الجهود الفردية والجماعية لمحاربته ومقاومته في بداياته وقبل تَجَذُّره، وتجفيف منابعه، وربط ذلك بمسؤولية المسلم ويقظته، وإدراك أن التّصدي للفساد حرب ضروس وسجال لا ينتهي، وأن على من يخوض غماره التحمّل والثبات والاستعداد للتضحيات.
2. مراعاة سلامة توظيف العمّال وبالأخص الوظائف العامة، ووضع المناسب في مكانه، وتقديم الأمناء والأقوياء لقيادة الناس وإدارة شؤونهم، ووضع المعايير التي تُنَحّي الضعفاء والمنافقين والمفسدين.

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج1، ص69، ح49.

3. دعم الجهود التربوية في الأسرة والمدرسة والمسجد لتنمية الوازع الديني المستند إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، والاهتمام بغرس الأخلاق كالأمانة والإخلاص والعفة.
4. ضمان حرية التعبير بضوابطه والنقد البناء، وتحرير الناس من الخوف، وإصلاح القضاء، وتعزيز دور الصحافة والإعلام، ودعم الجهود الفردية المتصدية للفساد، وتنظيمها، وتكريم أصحابها.
5. تقديم البديل الصالح للناس، كتسهيل الزواج بدل الزنا، وتيسير القروض الحسنة بدل الربا، وتوفير فرص العمل، وتوجيه الطاقات للخير والبناء، وإغناء الناس عن السؤال، كما يظهر من دلالة قول لوط عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: 78].
6. استخدام الأدوات والوسائل الحديثة التي تُسهّل رصد الفساد وتتعقبه وتغلق مداخله، والإفادة من الأنظمة والبرامج التي تقيس الجودة في سائر الأعمال.
7. إدراك أهمية القوى الناعمة كالإعلام والصحافة والسينما ووسائل التواصل الاجتماعي، فهي سلاح فعال ذو حدين، يسيطر عليها كثير من المنافقين والكافرين ويستخدمونها لنشر فسادهم. والأولى أن يتملكها الصالحون لاستثمارها في الإصلاح والبناء ومحاربة الفساد.
8. تعاون الأمة وتضافر جهودها للتصدي لفساد بني إسرائيل وأعوانهم في الأرض المباركة، فهو فساد كبير، ولا تصلح مقاومته بجهود متواضعة أو فردية، قال تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:4].
9. الحذر من مكائد الصهاينة ومكر اليهود المستمر في إشعال نار الفتنة والحرب بين الناس، قال تعالى يصف حالهم: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة:64].
10. تشخيص أصل الفساد، وتوجيه الجهود لمعالجة أسبابه، فمظاهر الفساد الأخلاقي والسلوكي أصلها ضعف الدين وهشاشة العقيدة في قلوب الناس، وأما مظاهر ضعف الأمة وتخلفها واستمرار تراجعها فمن أهم أسبابها الجهل والفساد السياسي والتبعية للأعداء.



المبحث الرابع:
مبدأ إدارة الابتلاء

الابتلاء هو الاختبار والامتحان والتجريب، ويكون في الخير والشّر، كما قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ﴾ [الأنبياء:35]، ففي الشَّرِّ لاستخراج الصبر، وفي الخير لاستخراج الشكر، ويُقَالُ في الخير أَبْلَيْته إبْلاءً، وفي الشَّرِّ بَلَوْته أَبْلُوه بَلاءً [(1)].

وإدارة الابتلاء تعني: اتخاذ الإجراءات المناسبة للتعامل مع الابتلاء، وتبدأ من توقعه والاستعداد المعنوي والمادي له، وتنتهي باحتوائه، والتقليل من آثاره السلبية.

وقد تحدث القرآن الكريم عن موضوع الابتلاء بعدة مترادفات: كالامتحان والتمحيص والفتنة والمصيبة: فأما الامتحان فهو من المِحْنَة وهي «شدّةٌ تكشف حقيقة الشيء بإزالة ما يشوبه ويغطيه، وتكشف غموضَ حاله وتبين ما يصفو منه»[(2)].

ويكون الامتحان من الله تعالى لعباده، ومن الناس لبعضهم، وقد ورد ذكره مرتين في القرآن الكريم، في سياق امتحان المؤمنين والمؤمنات؛ في سورتي [الحُجُرات: 3]، و[الممتحنة:10]، حيث نسب الفعل إلى الله سبحانه في آية الحجرات. وإلى المؤمنين في آية الممتحنة.

أما التَّمْحِيص فهو «النَّقْص، يُقَالُ: مَحَّصَ اللَّهُ عَنْكَ ذنوبَك أَي نَقَصَهَا، فَسَمَّى اللَّهُ مَا أَصابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَلاءٍ تَمْحِيصاً لأَنه يَنْقُص بِهِ ذنوبَهم»[(3)]. وقد ورد مرتين في القرآن الكريم، الأولى لتمحيص المؤمنين [آل عمران:141]، والثانية لتمحيص ما في قلوب المؤمنين، [آل عمران:154]، وجاء فعل التمحيص مسنداً إلى الله سبحانه بالاسم الظاهر في كلا الموضعين.

---

(1) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج14، ص84

(2) جبل: **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، ج4، ص2039.

(3) ابن منظور: **لسان العرب**، ج7، ص90.

أما «الفتنة» والتي هي: أشد الاختبار وأبلغه[1]، وهي «جِماعُ مَعْنَى الِابْتِلَاءِ والامْتِحانُ وَالِاخْتِبَارُ»[2]، فقد وردت بتصريفاتها في القرآن الكريم (60) مرة، وجاءت على وجوه ومعان منها: الابتلاء، والشِرك، والكفر، والعذاب، والقتل، والصدود.

وجاء التعبير عن الابتلاء بالمصيبة، حيث وردت كلمة ﴿مُّصِيبَة﴾ في القرآن الكريم (10) مرات، وردت نكرة (9) مرات، ووردت معرفة بإضافتها إلى الموت، في قوله تعالى: ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة:106]. وقد أكَّدَت أربع من الآيات العشر: أن ما يصيب المرء من مصائب مرتبط بتصرفاته وتقصيره، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:165]، وأشارت آية منها إلى فائدة الإجراءات التي تتخذ مسبقاً للوقاية من المصائب، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:50]، فهذه الأسباب والتدابير المسبقة إما أن تمنع وقوع المصيبة أو تقلل من أثرها. وبينت واحدة من الآيات ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن عند حلول المصيبة به، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:156].

أما لفظ «الابتلاء» فقد ورد اسماً وفعلاً في القرآن الكريم (37) مرة، وكان الفاعل في الآيات هو الله سبحانه إلا في موضعين: في قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء:6]، فالفاعل فيها: المؤمنون المخاطبون، وفي قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ﴾ [يونس:30] فالفاعل فيها كلُ نَفس، تأتي يوم القيامة «تتفقد أعمالها وكَسْبَها، وتجازى بحسبه»[3].

وقد ذكرت الآيات القرآنية وقوع الابتلاء من الله سبحانه لأنبيائه (4) مرات، وللمؤمنين (15) مرة، ولبني إسرائيل (6) مرات، وللبشر عموماً (10) مرات، ولليتامى مرةً واحدةً، وللمشركين مرةً واحدةً. وإن هذه الأرقام تذكرنا بحديث النبي ﷺ الذي بيّن فيه أن الناس يُبتلون على قدر إيمانهم، فقد سئل ﷺ، أي النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ فقال: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ»[4].

---

(1) العسكري: **الفروق اللغوية**، ج1، ص217.

(2) ابن منظور: **لسان العرب**، ج13، ص317.

(3) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ، 2000م، ج1، ص362.

(4) ابن ماجه: **سنن ابن ماجه**، باب الصبر في البلاء، ج2، ص1334، ح4024. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، ج9، ص24، ح4024.

ويكون الابتلاء «لاسْتِخْرَاج ما عند الْمُبْتَلى، وتعرّف حاله في الطاعة والْمَعْصِيَة، بتحميله الْمَشَقَّة، ويُقَال للنعمة بلَاء لِأَنَّهُ يسْتَخْرج بهَا الشُّكْر»[1].

وكثيراً ما كان الابتلاء محوراً تدور عليه القصة القرآنية، كقصص يوسف وأيوب ويونس عليهم السلام. ولعل تكرار ورود موضوع الابتلاء بهذا القدر في القرآن الكريم فيه تأكيد على أنه سنة اجتماعية في حياة البشر عموماً؛ حتى أن خلق الموت والحياة وهذه السماوات والأرض كان ابتلاءً وامتحاناً. كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:7]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2]، ومن هنا تأتي أهمية تهيئة النفوس وتربيتها لتحسن التعامل مع الابتلاء وتديره بما يحقق لها الخير.

وقد أوردت السيرة النبوية مواقف عديدة تظهر عظيم البلاء الذي تعرض له المسلمون الأوائل على الصعيدين الفردي والجماعي، فكثير منهم واجه مرارة السجن والتعذيب والتهجير والحصار، وقد صبروا وتحملوا في سبيل الله وكان لسان حالهم، ما قاله خبيب بن عدي رضي الله عنه قبيل قتله وصلبه:

وذلكَ فِي ذاتِ الإِلَهِ، وإِن يَشَأ... يُبارِكْ عَلَى أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزّعِ[2]

ويحتاج المرء مخزوناً كبيراً من التعبئة المعنوية والإيمانية تساعده على الصمود والتصدي لموجات البلاء المتكررة في حياته - فالابتلاء واقع واقع ولا مفر منه- لذلك جاءت الأحاديث النبوية تهيئ المؤمن لوقوعه وتصبّره عليه وتعينه على تجاوزه، ونذكر منها:

قال رسول الله ﷺ: «مَا يُصِيبُ المُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»، وفي رواية «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ»، وفي رواية أخرى «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»[3].

---

(1) العسكري: **الفروق اللغوية**، ج1، ص216.

(2) انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، ج8، ص336.

(3) انظر : البخاري: **صحيح البخاري**، باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ج7، ص114، ح5641، ح5645.

وقال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ»[2].

تطبيق مبدأ إدارة الابتلاء

1. التوعية بمبدأ إدارة الابتلاء، وتوضيح مفهومه، وأدلته، وأهميته، وبيان أن الابتلاء يكون من الله تعالى للمؤمنين تربية وتمحيصاً، ويكون أيضاً عقاباً وزجراً لغيرهم.
2. يكون الابتلاء من الناس لبعضهم لكشف ما خفي من نفوسهم، وتقييم قدراتهم ومواهبهم.
3. التعامل مع الحياة الدنيا باعتبارها دار امتحان وابتلاء، تتطلب إحسان العمل وكثيراً من الصبر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلك:2]. فالابتلاءات كثيرة ومتنوعة ومستمرة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:4]، فهو «يكابد مصائب الدنيا، وشدائد الآخرة»[3].
4. تربية النفوس وتهيئتها لتتلقى أقدار الله سبحانه بالرضا والثبات والصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:155].
5. تفعيل الامتحانات والاختبارات البشرية بأنواعها، في التربية والتعليم والتدريب، لأثرها في الكشف عن القدرات العلمية والجسمية والنفسية، وفيما فعله طالوت أسوة حسنة للناس؛ عندما صفّى جيشه من كل قليل إيمانٍ أو ضعيفِ جسد، كما يظهر في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة:249].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب المؤمن أمره كله خير، ج4، ص2295، ح2999.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من ذهب بصره، ج7، ص116، ح5653.

(3) الطبري: **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ج24، ص434.

6. مراعاة الفروق الفردية في اختبارات البشر لبعضهم، فيبتلى الناس ويمتحنون وفق ما يحسنون أو يطيقون أو على قدر دينهم، ونحوه من قدراتهم الجسدية أو العقلية، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[1].

7. توقع الابتلاءات من موت ومرض ونحوه التي تقع في أحوال البشر، والنظر إليها بإيجابية وتفاؤل وإيمان بالقضاء والقدر، فمن طبيعة الحياة الدنيا كثرة البلاء فيها والمحن، وأنها متقلبة في أحوالها وأنها لا تصفو لأحد ولا تدوم، كما وصفها الشاعر، فقال:

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها ***** صفواً من الأقذار والأكدار

ومُكلّفُ الأيام ضد طباعها ***** مُتطلبٌ في الماء جذوة نار[2].

8. الصبر على البلاء، احتساباً ورجاء أن يكون سبباً في رفع درجة العبد عند ربه سبحانه ومغفرة لذنوبه، وإن مما يواسي المؤمن في شدة البلاء الواقع به أن المرء يبتلى على حسب دينه، وأن مثله مثل الأنبياء الكرام والصالحين فهم أشد بلاء من غيرهم، كما هو ظاهر دلالة حديث سَعْدٍ بن أبي وقاص رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً ؟، قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَة»[3].

---

(1) الشيباني: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، باب حديث فاطمة عمة أبي عبيدة، ج45، ص10، ح27079، وقال المحقق شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره.

(2) انظر: ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج43، ص222. قالها الشاعر: علي بن محمد أبو الحسن التهامي (ت: 416 هـ) في رثاء ولد له.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ج4، ص601، ح2398. وقال هذا حديث حسن صحيح.

9. الابتلاء قيمته بالنجاح فيه والصبر عليه، وليس بمجرد دخوله والتعرض له، لذلك ينبغي الاستعداد له قبل وقوعه، ويساعد في ذلك حصر الابتلاءات المتوقعة ومصدرها، وتقدير حجمها وتصنيفها حسب نوعها وقربها وأثرها. وأيضًا عمل ما أمكن من إجراءات وترتيبات احترازية لمنع وقوع البلاء أو تأخيره، فالوقاية والعافية خير من العلاج، ويأخذ المرء بالحيطة والحذر التي أمر الله بها، قال تعالى: ﴿يأيها ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71]. كما يستحسن إعداد برامج إرشادية توضح بعض هذه الإجراءات.

10. مراعاة الحكمة في إدارة الابتلاء حال وقوعه على النحو الآتي:

أ. تطبيق ما كان مُعداً من ترتيبات لمواجهة البلاء حال وقوعه.

ب. الاستعانة بالله، وسؤاله التوفيق والثبات والعافية والنصر والنجاح.

ت. التواصي بالصبر، والتحريض على الثبات، والتذكير بقصص الصابرين والثابتين، وتعزيز الناس ودعم صمودهم، كما قال رسول الله ﷺ: «فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»[1]، وكان النبي ﷺ يُصبِّر آل ياسر، فيقول لهم: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[2].

ث. التحلي برباطة الجأش أثناء الابتلاء والتفاؤل والثقة بنهاية المحنة وزوال الشدة، فما بعد الضيق إلا الفرج، كما قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7].

ج. تقييم ما حصل من ابتلاء، وأخذ العبر النافعة لتطوير طرق التعامل معه، أو لمنع تكرار وقوعه.

ح. التواصل الاجتماعي والتعاون والتضامن لردّ البلاء أو دفعه أو التخفيف من آثاره، والشدّ من أزْر الناس؛ بزيارة مريضهم، ومواساتهم وتعزيتهم وتقديم الدعم المادي والمعنوي،

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا تتمنوا لقاء العدو، ج4، ص63، ح3024.

(2) الحاكم: **المستدرك على الصحيحين**، باب ذكر مناقب عمار، ج3، ص432، ح5646. وصحّحه الصوياني، محمد حمد، **الصحيح من أحاديث السّيرة**، دار الوطن للنشر، ط1، 1432هـ- 2011م، باب التعذيب، ج1، ص76

قال النّبي ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[1].

11. إدراك أن بلاء الأرض المباركة بالعدو الصهيوني بلاء عظيم وعلو كبير لبني إسرائيل، فقد تعددت مصائب الأمة بسببه وأصابها الضعف، فهو يمارس القتل والسجن والتهجير ويهدم البيوت ويصادر الممتلكات ويزرع بذور الفرقة والفساد؛ وهذا يفرض تضافر جهود قادة الأمة وعلمائها وأبنائها عموماً للتصدي له ومواجهته.

12. يتوجب على أبناء الأمة الإسلامية عموماً دفع ظلم العدو الصهيوني وإيقاف فساده وإفساده من خلال الجهاد في سبيل الله بأنواعه.

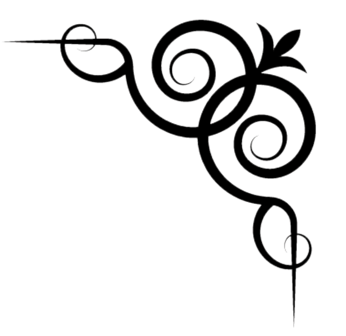
13. يحرم على أبناء الأمة الإسلامية عموماً نصرة هذا العدو الصهيوني الغاشم، ويحرم عونه بأي شكل من أشكال التنسيق الأمني أو الاقتصادي أو العسكري؛ قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الممتحنة:1].

14. ينبغي التوعية بأصل بلاء الأمة الإسلامية بالعدو الصهيوني وأنه في الأساس تواطؤ من المستعمر مع العملاء والخونة والجبناء الذين مهّدوا لقيامه ومكّنوا لبقائه وربطوا مصيرهم بمصيره؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل.

15. الثقة بزوال هذا البلاء عن الأرض المباركة، والتفاؤل والعمل لتحقيق نصر الله تعالى وموعود المؤمنين، والتفكير والتحضير لليوم التالي للنصر والتحرير، قريباً إن شاء الله. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:21].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الشَّرِكَةِ فِي الطعامِ وَالنِّهدِ وَالعُرُوض، ج3، ص138، ح2486. (أرملوا) من الإرمال، وهو فناء الزاد وقلة الطعام (في إناء واحد) أي اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض.

المبحث الخامس:
مبدأ توجيه الخوف

الخَوْفُ لغة: ضد الأمن، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾ [النساء:83]، ويُعَرّف بأنه: ردّة فعل داخل جسم الإنسان، تحدث لمواجهة شيء يُهدد سلامته، وهي حالة انفعالية يشعر بها الإنسان بمستويات مختلفة، وبدرجات متعددة حسب المؤثر، كما أنها استعداد فطري ودافع طبيعي، يساعد الإنسان على حماية نفسه، وهي صفة تمسّ كل إنسان؛ فعدم الخوف ينتج إما عن قلة إدراك، أو نقص في الطاقة العقلية [(1)].

ويعبر عن الخوف بمترادفات عديدة مقاربة له في المعنى: كالخَشْيَة والهَيْبَة والرَّهْبَة والإشْفَاق والرُّعْب والْوَجَلُ والرَوْع والهَلَع والفَرَق والإيجاس والفزع[(2)]. ومبدأ توجيه الخوف: يعني إحسان التعامل مع مشاعر الخوف وإدارة أعراضه الجسمية والنفسية؛ بمعالجتها والسيطرة عليها وتوجيهها إيجابياً، بعد استيعاب أسبابها.

والخوف أنواع ونذكر ستة منها:

1. **الخوف الطبيعي**: هو خوف طارئ، يزول بزوال المؤثر ولا تدوم آثاره. ويمكن أن نجد في القرآن الكريم أمثلة عليه كخوف موسى عليه السلام عند انقلاب عصاه إلى ثعبان، فولّى هارباً؛ فكان التوجيه الإلهي له: نهيه عن هذا الخوف العارض، وتذكيره بأنه رسول، والرسول لا يخاف، وأوضح له أن ما جرى معجزة وآية. ثم أُمر موسى عليه السلام أن يأخذ الثعبان بيده لترجع عصاه كما كانت، قال تعالى: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:2]، وبذلك عولج ذلك الخوف من ساعته وزالت آثاره الطارئة.

---

(1) انظر: حبيب، صموئيل. **الخوف**، القاهرة، دار نوبار، ط1، 1989م، ص9.

(2) انظر الفروق بينها عند: الجوالي، عبد الله أسود. **الخوف والرجاء في القرآن الكريم دراسة تحليلية**، دار الزمان، السعودية، ط1، 2003م، ص23.

ومثله خوف رسول الله محمد ﷺ عند نزول الوحي عليه أول مرة، تقول عائشة ﵂: «فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ﵂، فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي». وسجّلت خديجة ﵂ موقفها الرائع في معالجة خوف الرسول ﷺ وتثبيت قلبه، فَزَمَّلَتهُ حتى ذهب ما به من خوف وتوتر، ثم راحت تسمع منه وتنصت له، فأنكرت عليه ما ذهب إليه من تفسير لما جرى معه في الغار، وذكّرته بما اعتاده من أفعال وخصال كريمة، وأن صاحبها لا يخزيه الله أبداً، قالت خديجة ﵂: «كَلَّا وَاللَّهِ مَا يخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ»[1]. ثم سارت وإياه إلى ابن عمّها ورقة بن نوفل فأضاء له الطريق وفسّر له أبعاد ما جرى؛ فذهبت عنه أعراض الخوف وراح يترقب عودة الوحي وينتظره.

2. **الخوف عند مواجهة الأعداء**: وهذا خوف يَمُرُّ على القلب، ويُدفع بالتوكل والعزم، وإحسان الظن بالله سبحانه، والثقة به، وتنفع جداً في زواله صحبة المجرّبين أصحاب الخبرة وأهل السابقة؛ فهم يدفعون الخوف حين يجتمعون ويتحدون كما أنهم يُذكّرون بالله تعالى وعظمته وعونه وقوته، كما ويستذكرون ثبات السابقين من إخوانهم والدعاة والمجاهدين. يقول القرطبي: «خاف موسى أن يقتلوه، ودلّ على أن الخوف قد يصحب الأنبياء والفضلاء والأولياء مع معرفتهم بالله وأن لا فاعل إلا هو»[2]، فقال الله تعالى مثبتاً: ﴿**قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ**﴾[الشعراء:15].

ثم عرف موسى ﵇ - بعد صناعة الله تعالى له- أن من كان الله معه فإنه يجدر به ألا يخاف من غيره، وقد تجلّى هذا الفهم عند خروجه بقومه من مصر، وكان قد خرج في أثرهم فرعون وجنوده؛ وحين نظر الخارجون من أتباع موسى ﵇ خلفهم؛ ورأوا جنود فرعون، قالوا مقالة الخائفين: ﴿**إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ**﴾ [الشعراء:61]، فقال الواثق بعون الله ونصره مبدّداً مخاوفهم مثبتاً أقدامهم: ﴿**قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ**﴾ [الشعراء:62].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ج1، ص7، ح3.

(2) القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي**، ج13، ص92.

ونستذكر مثل هذا الموقف ما جرى مع خالد بن الوليد ﷺ يوم اليرموك: عندما قال رجل من المسلمين: «ما أَكْثَرَ الرُّومَ وأَقلَّ المسلمينَ! فزجره خالد ﷺ قائلاً: وَيْلَكَ، أَتُخَوِّفُنِي بالرُّومِ؟ إِنَّمَا تَكْثُرُ الجنودُ بالنَّصْرِ، وَتَقِلُّ بِالْخِذْلَانِ لَا بِعَدَدِ الرِّجَالِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أن الأشقر برأ من توجعه، وَأَنَّهُمْ أَضْعَف فِي الْعَدَد»[1].

3. **الخوف المحمود**: وهو خوف إيجابي، يدفع صاحبه للحذر وللعمل والجدّ والنجاة والسلامة، وأعظمه ما كان من الله تعالى خوفاً من ناره وعقابه، وهو يحمل صاحبه على فعل الخير وترك الشّر، فهو بهذا المعنى عبادة جليلة أثنى الله تعالى على المتصفين بها، ووعدهم بالمغفرة والأجر الكبير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ **[المُلك:12]**، ويُعرّف ابن القيم الخوف المحمود الصادق بأنه: «ما حال بين صاحبه وبين محارم الله تعالى»[2]. ويُعَرّفُه ابن تيمية ﷺ فيقول: «الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله ﷻ»[3].

ومن الخوف المحمود ما كان على المبدأ والعقيدة، كأن يخاف الداعية من التقصير في نشر الدين، أو يخاف المجاهد أن ينتصر عدوه ويتمادى في غيّه، وهذا يدفعه للالتجاء إلى الله سبحانه، يطلب معونته، ويدفعه للأخذ بالأسباب ومضاعفة الجهد والاستعداد، فموسى ﷺ لمّا كُلِّفَ بالرسالة أدرك تبعاتها، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [الشعراء:12]، وقال في آية أخرى قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [الشعراء:14]، فهو ﷺ خاف أن يُكَّذب وخاف أن يقتل، وبذلك قد تفشل مهمته في الدعوة، فدفعه خوفه للاستعانة بأخيه هارون يُصدّقه إن كذبوه، وليكمل دعوته إن قتلوه، فما أعظم ما فعل، فقد أخذ بالأسباب واحتاط للنتائج.

وحصل نحو هذا الخوف المحمود مع زكريا ﷺ فهو لم يكن له وريث يكمل دعوته من بعده، فخاف ضياعها ونكوص الناس عنها، فقال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى﴾ [مريم:5]، فطلب من الله تعالى وريثاً يحمل دعوته ويكمل مسيرته؛ فاستجاب الله له ووهب له يحيى ﷺ.

---

(1) ابن كثير: **البداية والنهاية**، ج7، ص9. (الأشقر) فَرَسٌ لخالد ﷺ كان قَد حفا من طريق مَجِيئِهِ من العراق.

(2) ابن القيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج1، ص511.

(3) ابن تيمية: **مجموع الفتاوى**، ج1، ص147.

4. **الخوف المذموم**: وهو خوف سلبي يدفع للقعود والنكوص والفرار، ويوقع صاحبه في المعصية كحال من خاف فترك الدعوة، أو خاف فترك الجهاد، أو خاف من البشر فترك أمراً لله تعالى، وهو خوف قبيح وعار على صاحبه، لأن فيه تعظيم لشأن الناس على حساب خالقهم، وتقديم أمرهم على أمره ﷻ.

5. **الخوف القاصر**: وهو الذي يؤدي بصاحبه إلى الغفلة عن المخاطر، والاستهانة بها؛ مما يؤدي إلى وقوع صاحبها في الأخطاء بسبب سوء تقديره لعواقب الأمور.

ومن الخوف القاصر ما يرى من قلة الخوف من الله تعالى بسبب الجهل أو ضعف الإيمان، فيستهين المرء بالمعصية أو يقصّر في الطاعة. ولأجل إخراج الناس من هذه الغفلة؛ كان بعث الأنبياء والرسل عليهم السلام لهداية الناس إلى ربهم ولتحذيرهم مما يدفع عنهم غضبه وعذابه.ومن الخوف القاصر الغفلة عن العدو المتربص به، فيستخف بكيده وغدره ويقع في شراكه ويصيبه أذاه، ولذلك حقّ على المرء أن يعرف عدوه ويتسلح بالحذر واليقظة والاستعداد المناسب.

6. **الخوف الوهمي**: وهو خوف غير حقيقي أو مبالغ فيه، تُضخَّم فيه الأمور وتُحمّل أكثر مما تستحق، فمثلا قد يخاف البعض عند سماعه قصص المخاطر والشرور، أو عند الاستيقاظ من حلم مفزع ونحو ذلك.

ونجد نحو هذا الخوف حدث مع بعض الصحابة رضي الله عنهم، لما حُدِّثُوا عن المسيح الدجال، فقد روى النَّوَّاس بْن سَمْعَان رضي الله عنه فقال: ذَكَرَ النبي ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فقال: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ»[1]، وصاحب هذا الخوف الوهمي يلزمه ناصح أمين، ومستشار خبير يطرد خوفه بالدليل ويبدد أوهامه بالطُّمْأَنَة كما فعل الرسول الكريم ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم .

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، ج4، ص2250، ح2937.

تطبيق مبدأ توجيه الخوف

1. التوعية بمفهوم الخوف والتمييز بين أنواعه، وطرق التعامل معها، والإرشاد لأهمية الخوف المحمود، واستثماره في تحقيق الأمن في الدنيا والآخرة.
2. العناية بإعداد وتدريب المختصين في الإرشاد النفسي والتوجيه المعنوي، ليكونوا قريبين من تحديات الناس ومشاكلهم، وتنفيذ البرامج التربوية وإنشاء القنوات التلفزيونية التي تقوي عزائم الناس وتعالج أسباب مخاوفهم.
3. تخصيص الله تعالى بعبادة الخوف - فلا تنحني الجباه إلا لخالقها سبحانه- قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 571].
4. يثمر الخوف من الله تعالى حسن العمل الصالح وتجنب المعاصي استعداداً لحساب الله تعالى يوم القيامة. كما يثمر كفّ الأذى ورفع الظلم وردّ الحقوق.
5. ترك المعاصي تعظيماً لله وخوفاً منه يخلف على صاحبه الثواب والطمأنينة.. أما الغفلة وتسويف التوبة والتمادي في الغيّ فعقوبته في الدنيا الهمّ والغم وضعف النفس ووجع الروح.
6. يسعى المؤمن لتعظيم مكانة الله في قلبه .. من خلال النظر في الكون وسننه وما فيه من قوانين وظاهرات كالرعد والبرق والكسوف والخسوف والزلازل والبحار والنجوم والكواكب والكائنات ..ويدرك حينها أي رب عظيم يعبد وأي إله يخاف.
7. التحرر من استرهاب المخلوقين، ورفض الاستسلام لتخويفهم وإرجافهم، وتذكير الناس بأن خصومهم بشر ضعفاء، والتوعية بأساليبهم وأدواتهم الخبيثة.
8. إتقان وتنفيذ فنون الحرب الإعلامية والنفسية وإعداد القوة، سعياً لتخويف الأعداء وإرهابهم، ودفعهم للاستسلام وترك الاعتداء، قال تعالى: ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:60]، وفي السيرة النبوية أن المسلمين أشعلوا نيراناً كثيراً في طريقهم لفتح مكة المكرمة، تخويفاً لقريش، كما نفذّوا عرضاً عسكرياً مهيباً على مرأى من أبي سفيان ﷺ أسهم في تخويفه من قدرات المسلمين

وأدرك أنه لا قبل لقريش بهم.

9. يجب التحرر من الخوف على الرزق والأجل، واليقين بأنهما بيد الله تعالى وحده، مكتوبة ومقدرة، لا حكم فيهما لبشر، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران:145]، وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22].

10. التواصي بالصمود والثبات والشجاعة، وبيان حكم الاستسلام للباطل أو الإذعان له، والتوكل على الله تعالى، فهو سلاح موسى عليه السلام الذي رفعه في وجه طاغية عصره، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس:84]. ويظهر نحو هذا التوكل في موقف النبي هود عليه السلام حين جابه بمفرده جموع قومه المشركين، واستهان بكثرتهم دون خوف؛ فقال تعالى يحكي عنه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود:65].

11. توجيه الأبحاث والدراسات لاستكمال نظرية الخوف وأبعادها، وتأصيلها وربطها بالواقع، وتقديم خلاصتها للناس.

12. استخراج القصص والأمثال من القرآن الكريم والسيرة النبوية والتراث التي تغرس الشجاعة في النفوس، وترشد لطرق التعامل الصحيح مع المواقف والمخاوف.

13. إبراز القدوات المتميزة بالشجاعة، وتكريم أبطال الكلمة من رجال الصحافة والإعلام والعلماء والمبادرين، الذين يقرعون الجرس ولا يخافون في الله لومة لائم.

14. الاستعداد الجيد، والتدريب المناسب، وتملّك أسباب القوة، وتحضير البدائل، وجمع المعلومات، والتعاون والعمل ضمن فريق، والحذر.. كلها تسهم في تجاوز المخاوف.



المبحث السادس: مبدأ الحَذَر

يُعَدُّ التحذّير والحَذَر، من أهم المبادئ التربوية المفيدة في توجيه السلوك البشري وتعديله، ويمكن ملاحظة ذلك في كثير من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية، التي ورد فيها تحذير الله تعالى لعباده، وتحذير الأنبياء والرسل والدعاة لأقوامهم وأهلهم، فهو تحذيرٌ منطلقه إرادة الخير ودفع الشر.

و«الْحَذَرُ وَالْحِذْرُ بمعنى واحد، يُقالُ: أَخَذَ حِذْرَهُ إِذَا تَيَقَّظَ، وَاحْتَرَزَ مِنَ الْمُخَوِّفِ، كَأَنَّهُ جعل الْحَذَرَ آلَتَهُ التي يَقِي بها نَفْسَهُ وَيَعْصِمُ بِهَا رُوحَهُ»[1]. ويجتمع في الحذر معاني الاحْتِراز والاستعداد والتَّأَهّب والاحتياط، كما أن «الحَذِر والحَاذر هو المُتَيَّقِظ المُسْتَعِدّ كيلا يُفاجَأ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: 56]، أي مُتَأَهِّبُون[2]، فالحذر حالة من الاستعداد والتَّأَهّب تدفع لليقظة.

وقد أمَرَ اللهُ تعالى بالحذر في القرآن الكريم، ونهى عن ضده، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: 71]، يقول الزمخشري: «احذروا واحترزوا من العدو ولا تُمكّنوه من أنفسكم»[3]، والآية الكريمة جمعت بين الأمر بالحذر والأمر بالنفير، في إشارة إلى أن الحَذر يستدعي العمل والنفير ولا يعني القعود عن العمل؛ فالحذر يستدعي تنويع أشكال الاستعداد لمجابهة العدو وكيده. كما أنه فطنة وكياسة، تنتج عن إدراك وحسن تقدير للموقف وتأهب.

(1) الرازي: **مفاتيح الغيب= التفسير الكبير**، ج10، ص137.

(2) الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج10، ص568.

(3) الزمخشري، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج1، ص532.

والحذر كان حال الأنبياء عليهم السلام؛ فمحمد ﷺ كان حذراً عندما بدأ دعوته سراً، وجعل هجرته سراً و«كان قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا»[1]، يقول ابن حجر في تعليقه على الحديث: «كان يريد أمراً فلا يظهره، كأن يريد أن يغزو وجهة الشرق فيسأل عن أمر في جهة الغرب، ويتجهز للسفر فيظن من يراه ويسمعه أنه يريد جهة الغرب»[2].

وفي قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام دعوة للحذر، يلحظ ذلك في وصية يعقوب ليوسف وهو صبي صغير؛ يحذّره من حسد إخوته، ويأمره بكتمان رؤياه عنهم، وكذلك تحذيره أبناءه أن لا يدخلوا من باب واحد، وأوصاهم بالدخول من أبواب متفرقة.

وبعد أن يمتطي المؤمن مطية الحذر، ويأخذ بأسبابه، عليه أن يتوكل على الله تعالى ويثق به، لتطمئن نفسه، ويثبت فؤاده، ويُسَلِّمَ أمره لخالقه، قال رسول الله ﷺ: « وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[3]، فإنه لا يغني حذر من قدر، ونحو ذلك حصل مع أصحاب الكهف، حين أرسلوا واحدهم ليشتري طعامهم، فأوصوه بالتَلَطُّف في ذهابه وإيابه وشرائه؛ لكن حذرهم لم يغنِ عنهم، فوقع قدر الله تعالى فيهم، وأظهر الله أمرهم، لحكمة أرادها سبحانه وتعالى. ونحو هذا قد يتكرر مع المؤمن فعليه عندها أن يرضى بمشيئة الله تعالى، ويتجاوز لوم نفسه، ويترك الحسرة على ما فات، ويعلم أن ما أصابه مقدّر مكتوب، ولعل فيه خير لا يدركه، قال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[4].

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، ج4، ص84، ص2948.

(2) ابن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ج6، ص159.

(3) الترمذي: **سنن الترمذي**، ج4، ص667، ح2516. وقال هذا حديث حسن صحيح "

(4) مسلم: **صحيح مسلم**، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، ج4، ص2052، ح2664.

تطبيق مبدأ الحَذَر

1. التوعية بمبدأ الحذر، من حيث مفهومه وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية.

2. تعاون الأسرة والمؤسسات التعليمية لغرس مبدأ الحذر في النفوس، ومراعاة تضمين المناهج التعليمية دروساً في الحذر وتطبيقاته. والبدء باكراً بتربية الأبناء على الحذر وحفظ الأسرار، كما فعل النبي يعقوب مع يوسف عليهما السلام حين أمره بكتمان رؤياه حذراً من كيد إخوته، ومثله ما رواه أَنَس رضي الله عنه، قال: «أَتَى عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، قَالَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ: مَا حَبَسَكَ؟ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ لِحَاجَةٍ، قَالَتْ: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سِرٌّ، قَالَتْ: لَا تُحَدِّثَنَّ بِسِرِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدًا»[1]. ويُفهم من الحديث أن توجيهاً نبوياً تلقاه أنس رضي الله عنه دعاه ليكتم حاجة النبي ﷺ ويحفظ سره. كما أن فيه تأكيد على دور الأسرة في تثبيت ودعم هذا النوع من التربية.

3. تفعيل دور الإذاعة والتلفاز ووسائل الإعلام في غرس مبدأ الحذر وتطبيقاته، ومراعاة ذلك عند إنتاج الأفلام والمسلسلات، وإقامة الدورات والمحاضرات التي تهتم بالتدريب على الحذر.

4. إجراء الدراسات والأبحاث وتقدير الموقف لتحديد المخاطر المحدقة بالفرد والمجتمع والأمة، وتحديدها وجمع المعلومات التفصيلية عنها، وترتيبها وتصنيفها حسب نوعها وشدتها وتقديم التوصيات المناسبة.

5. اعتماد مبدأ التربية الوقائية، والتفكر في عواقب الأمور، واتخاذ التدابير الاحترازية، وإعداد الخطط للتعامل مع المخاطر، والتصدي لها، أو الفرار منها، كما في وصية النبي ﷺ في تعامل المسلمين مع الطاعون، حين قال: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا»[2].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضائل أنس بن مالك، ج4، ص1929، ح2482.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، باب ما يذكر في الطاعون، ج7، ص130، ح5728.

6. جعل تحذيرِ الناس بعضُهم بعضاً منهجاً، ومسؤولية يتحملها الجميع، فهو أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر، ويندرج تحت النصيحة لكل مسلم، ومراعاة تأمين الوسائل المساعدة في ذلك كالمنابر الإعلامية المختلفة ووسائل التواصل الاجتماعي.

7. مراعاة أن يكون التحذير واضحاً ومحدداً، ويستند إلى دقة في المعلومات، لتفادي الوقوع في ترويج الإشاعة، وأن يأتي في الوقت المناسب؛ كما فعلت النملةُ حين حذّرت معشر النمل من جيش سليمان ﷷ.

8. التأكيد على ضرورة أن يكون حذر المجاهد متواصلاً متجدداً، مع مراعاة ما يلي:

أ- أن التحذير جاء صريحاً في القرآن الكريم من اليهود وشدة عداوتهم للذين آمنوا، كما جاء النهي عن اتخاذهم أولياءَ من دون المؤمنين.

ب- التحذير من المنافقين والعملاء والخونة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:4].

ج- الثبات في مواجهة الصهاينة والتحذير من اليأس أو القنوط أثناء حربهم، واستحضار مواقف الأبطال والثابتين، كإبراهيم ﷷ الفتى الشجاع الذي حطم أصنام الكافرين، واستهان بهم، ولم يأبه لتخويفهم وتهديدهم.

د- التعلّم من الأخطاء، والاتعاظ من تجارب السابقين والآخرين، لقول النبي ﷺ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ»[1].

ه- اختيار الأقوياء وأهل الفطنة والكياسة وأصحاب الخبرة والشجاعة في الوظائف والمهام، كما فعل النبي ﷺ حين كلّف حذيفة بن اليمان ﷺ بمهمة اختراق صفوف العدو والاستعلام عن خبر القوم في غزوة الأحزاب في العام الخامس للهجرة.

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، ج8، ص31، ح6133.

و- تجنيب الضعفاء أي مسؤوليات فوق طاقتهم، فأبو ذر الغفاري ﵁ على فضله وسابقته في الإسلام، رفض النبي ﷺ تأميره أو تحميله مسؤولية، لتقديره أنها فوق طاقته، يقول أبو ذَرٍّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ»[1].

ز- دوام اليقظة والشعور بالتحدي، والأخذ بأسباب الحذر للتصدي لكيد الأعداء وحيلهم واستدراجهم واستفزازهم، فقد حذرنا الله تعالى من الغفلة، وأمرنا بحمل سلاحنا حتى ونحن بين يديه في صلاة الخوف، قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء:102]، وقال عمر بن الخطاب ﵁: «لستُ بالخَّبِّ ولا الخِّبُّ يخدعني»[2].

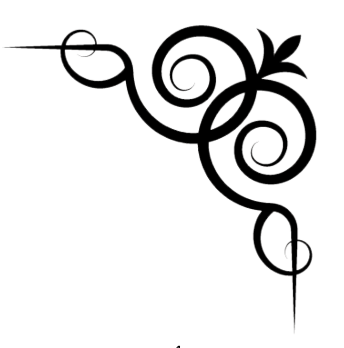
ح- الحذر الإيجابي بمقاومة الخطر والقضاء عليه قبل اقترابه، ومحاربته في خندقه، وهو حذر يحتاجه المجاهدون أثناء تصديهم للعدو الصهيونيِّ، قال تعالى: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:102]، يقول سيد قطب: «ولعل هذا الاحتياط، وهذه اليقظة، وهذا الحذر يكون أداة ووسيلة لتحقيق العذاب المهين الذي أعده اللّه للكافرين؛ فيكون المؤمنون هم ستار قدرته وأداة مشيئته»[3].

---

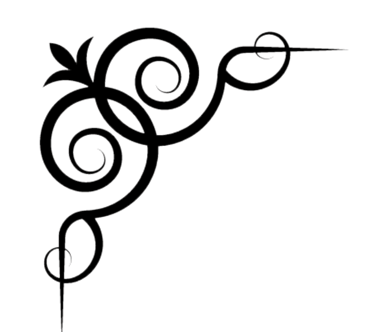
(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة، ج3، ص1457، ح1825.

(2) القرافي: أحمد بن إدريس (ت: 684هـ). **الذخيرة**، تحقيق: محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م، ج10، ص214. (الخب: المخادع الخبيث).

(3) قطب: **في ظلال القرآن**، ج2، ص749.



المبحث السابع: مبدأ نُصْرَة الحق



في حال أمتنا المعاصر وقد ضاقت الدنيا على أهل فلسطين بما رحبت، وتكالبت أمم الكفر على تلكم الطائفة من المجاهدين في الأرض المباركة، وفي ظل خذلان الأخ وطعنات المنافقين في الظهر؛ ما زلنا نستيقظ على صرخات حرائر فلسطين: وا إسلاماه وا عرباه وا معتصماه، ومع أصداء استغاثة الأطفال والشيوخ تصير "نُصْرَة الحق" هي حديث المخلصين من أبناء هذه الأمة العظيمة وشغلهم الشاغل.

النُصْرَة في اللغة هي: حُسْنُ المَعونَةِ[1]. واسْتَنْصَرَهُ على عَدوّه، أي سأله أن يَنْصُرَهُ عليه. وتَناصَروا: أي نَصَرَ بعضُهم بعضاً [2]. والنُصْرَةُ اسمٌ من نَصَرَ يَنْصُرُ نَصْراً، أي أعانَ وقوّى وأغاث وأنجد. والنُصْرَة تكون للحقِّ وأتباعه، وهي أيضاً حقٌ للمظلومِ والضعيفِ فرداً كان أو جماعة.

والناظر في التاريخ وفي قصص السابقين يرى نُصرة الله تعالى متحققة لرسله وأنبيائه الكرام وعباده المؤمنين والمظلومين، فهو سبحانه يدركهم ويغيثهم برحمته وعونه ونصره القريب. فنُصْرَة الله لأوليائه سُنّة ثابتة لا تتبدل ولا تتخلف؛ ومن شك فلينظر كم من قرية أهلكها الله حين ظلمت وبغت، وكم من نبي استنصرَ الله على قومه فلم يتأخر عنه عون الله ولا نصره، بل كان موعدهم الصبح؛ أليس الصبح بقريب؟ حدث نحواً من ذلك مع نوح عليه السلام حين دعا فقال: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ﴾ [المؤمنون:26]، ومع لوط عليه السلام حين قال: ﴿**فدعا ربه أني مغلوب فانتصر**﴾ [القمر/10]؛ فالنصرة وعد نجاة لرسل الله تعالى والذين آمنوا في الحياة وفي الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر:51]، فليهدأ بال المؤمن وليطمئن قلبه.

---

(1) الفيروزآبادى: **القاموس المحيط**، ج1، ص483.

(2) الرازي: **مختار الصحاح**، ص311.

وقد نصر الله رسوله الخاتم، وأيده بجنود من عنده، وأنزل سكينته عليه في بدر، فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40]، وفي الآية الكريمة رسائل عديدة منها:

- رسالة للمؤمنين يدعوهم الله سبحانه ويحضُّهم على نُصرة نبيه وأوليائه والمجاهدين في سبيله ويُحذّرهم من الخذلان.
- وفيها رسالة للمجاهدين والمرابطين والدعاة: بأن لا تخافوا ولا تحزنوا وكونوا واثقين بمعية الله تعالى وعونه ولا يشكنَّ أحد بنصر الله القريب.
- وفي الآية أيضاً إيحاء وتحذير للكافرين والمنافقين بأن الله تعالى غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وإن المؤمن- وفي غمار التحديات المتوالية في الأرض المباركة فلسطين- يجاهد صابراً محتسباً واثقاً بربه، يرقب عونه، ويحترم حكمة الله ومشيئته في تقدير الأقدار وتحقيق النصر؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:4].

وعجيبٌ ما نراه في هذا الزمان من تكالب ملة الكفر عموماً على الأمة الإسلامية حتى صدق فيهم وفينا وصف النبي ﷺ، قال: «يوشِكُ الأُمَمُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعَى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها، فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيلِ، ولَيَنزِعَنَّ اللهُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهْنَ. فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموت»[1].

ولا شك فإن ترك نصرة المؤمن لأخيه باب شر عظيم، وسبب في حدوث فتنة وفساد كبير فقد تهدمت في الأرض المباركة منازل على رؤوس أهلها، وقصفت مستشفيات ومدارس وكنائس ومساجد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

(1) أبو داود، **سنن أبي داود**، أول كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ج6، ص355، ح 4297. وحسنّه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

[الأنفال:73]. وفي مقابل هذا التحالف والكيد المتواصل من الكفرة والمنافقين؛ فإن الإيمان الصحيح في قلب المسلم يدفعه للتحدي والنهوض وبذل كل غال لنصرة أمته، والتكاتف مع إخوانه للذود عن حياضها، والدفاع عن أرضها ومقدساتها، فيكون نصيراً ومخلصاً للمستضعفين من الرّجال والنّساء والولدان، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء:75].

ونجد أن الشرع الحنيف قد أمر بنُصْرَة المسلم لأخيه وجعلها حقاً واجباً، ونقّاها من دعوى الجاهلية وطهّرها من العصبية القبلية؛ فكان من أبرّ البِرّ نُصْرُة المظلوم، ومنعُ الظالم من ظلمه ولو كان أخ الدم والعشيرة، قال رسول الله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُوماً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» وفي رواية «تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[1]. وبالمقابل فقد تضافرت النصوص تحرّم الخذلان وتحذر المرء أن يُسْلم أخاه لعدوه، كقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ»[2]. وفي رواية «وَلَا يُسْلِمُهُ»[3].

وقد سجلّت السيرة النبوية مشاهد للصحابة الكرام من الأوس والخزرج، صدّقوه وأمنوا به وبايعوه ﷺ على الإسلام والمنعة، ثم ضربوا أروع الأمثلة في نُصْرة إخوانهم في الدين والعقيدة، فاستحقوا ثناء الله تعالى ومغفرته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم﴾ [الأنفال:74].

وتذكر لنا كتب السيرة مشهد قدوم عمرو بن سالم على النبي ﷺ غداة أن تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة حلفاء المسلمين، فأنشده أبيات شعر يستنصره، فقال:

اللهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج3، ص128، ح2444.

(2) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة،باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج6، ص1986، ح 2564.

(3) مسلم: **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، ج4، ص1996،ح2580.

فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا ... فَقَتَّلُونَا رُكَّعًا وَسُجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ : «نُصِرْتَ يَا عمرو بن سالم»، ثم تجهز وخرج ينصرهم حتى فتح الله عليه مكة المكرمة في السنة الثامنة بعد الهجرة[1].

وأعظم النصرة ما كان لأجل الله سبحانه ودفاعاً عن دينه ورسله وأوليائه، فقد أمرَ اللهُ سبحانه عبادَه المؤمنين أن يكونوا أنصاره؛ وجعل لهم أسوة في حوارِي عيسى عليه السلام حين استنصر قومه فنصروه وجاهدوا معه، فأيديهم الله تعالى ونصرهم على عدوهم، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف:14]، وفي الآية إشارة إلى أن نصرة المؤمنين بعضهم بعضاً سبب في تنّزلِ نَصر الله عليهم، وفي تفرقهم خذلان وهزيمة وتأخير للنصر.

تطبيق مبدأ نُصْرَة الحق

1. ينبغي التوعية بمفهوم نُصْرَة الحق والدفاع عن المظلوم، وحُكْمه، وأهميته، وأشكال تطبيقه، وأدلته من القرآن والسنة؛ من خلال تضافر جهود الأسرة والمدرسة والمنابر الدينية والإعلامية التي تبث الوعي وتغرس المبدأ في نفوس الناس وتربطه بأخلاق التضامن والتراحم والنجدة وإغاثة الملهوف والجهاد بأنواعه.

2. بناء الدوافع في نفوس الجيل لنصرة الحق، باعتبارها طريقاً لإحقاق الحق وتحقيقاً للعدل ودفاعاً عن المظلوم، وهي قبل ذلك حق للمسلم على أخيه. كما يمكن تعزيز الدوافع لنصرة الحق من خلال جمع الأدلة والنصوص الشرعية والاستشهاد بالأدلة ومواقف الأنبياء والسلف الصالح، وعرض هذه المواقف على الناس في أشكال إعلامية مختلفة.

---

(1) انظر: ابن هشام: **السيرة النبوية لإبن هشام**، ج2، ص395.

3. نصرة الإسلام والقرآن، والدفاع عن الرسول ﷺ وعن آل بيته ونسائه وأصحابه أجمعين وعن سلف الأمة وعلمائها والذبِّ عنهم، ومواجهة حملات التشويه، ومقابلة ذلك بالتعريف بدين التوحيد والعدل، وترغيب الناس به، بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالحوار والإقناع عبر القنوات الفضائية، ووسائل التواصل الاجتماعي والكتب والإصدارات.

4. الترهيب من عدوان المسلمين على بعضهم، والتذكير بحرمة قتل المؤمن متعمداً، فقتله من أعظم الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»(1). وقال ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»(2)، وقال ﷺ: «إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا القَاتِلُ، فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قال: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ»(3) وقال تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾[النساء:93]، وفي ذلك توجيه للجنود في عموم البلاد الإسلامية وضباط الأمن أن تبقى أسلحتهم موجهة إلى الأعداء الغاصبين وأن يرفعوا سلاحهم عن إخوانهم.

5. وجوب السعي للإصلاح بين المؤمنين، ونصرة المظلوم، وقتال الباغي حتى يعود إلى الحق، قال تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**﴾ [الحجرات:9].

6. على المسلم أن يدرك أن اتباع الحق واجب عليه، وهذا يلزمه بطلب العلم ومرافقة الصالحين ليعرف الحق ويميزه من الباطل ويحذر من الخديعة والإضلال والاستغفال.

7. يقوم العلماء والقادة بواجب النصرة والتحريض عليها، فهم مسؤولون أمام الله تعالى وأمام الناس لقول الحق وبيانه والهداية إليه، وهم قدوة للناس بالصدح بالحق، والتعريف به، والوقوف إلى جانب أهله. ويحرم على العالِم كتم الشهادة، قال تعالى، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب المجازاة بالدماء في الآخرة، ج3، ص1304، ح1678.

(2) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى: «ومن أحياها»، ج9، ص4، ح 6874.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب قول الله تعالى: «ومن أحياها»، ج9، ص4، ح 6875.

يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:159]، وقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

8. يتجنب المسلم عموماً والعالِم خصوصاً تقديم المساندة للظالم، كأن يقاتل معه، أو يفتي له، أو يبرر له، أو يدافع عنه، قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾ [هود:113]، فعن كعب بن عُجْرَة ﷺ، قال: قال لي رسول الله ﷺ «أُعِيذُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ مِنْ أُمَرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ»[2].

9. ينبغي إدراك أن حكم نُصْرَة الحق واجب شرعي يدفع الأفراد لنصرة بعضهم بعضاً، وكذلك الشعوب المسلمة ودولها الأقرب فالأقرب؛ فالنُصرة واجبة على كل قادر بما يستطيع، وتستمر حتى تسدّ الحاجة وترفع الكربة. وتتضافر لأجل ذلك الجهود الشعبية والرسمية والمحلية والدولية، لتعتني بدراسة الحاجات، وتنسيق جهود الدعم والنجدة المطلوبة كماً وكيفاً، وتلبيها.

10. يتعاون المسلمون ويتكاتفون لنصرة الحق والدفاع عن أصحابه، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة:2].

11. من المهم تتبع أسباب الخذلان والفرقة والقطيعة بين المسلمين، وتوجيه المصلحين لمعالجتها. والسعي لتوثيق عرى التعاون والأخوة بين الشعوب والقبائل، وإقامة التحالفات.

---

(1) أبو داود: **سنن أبي داود**، باب كراهية منع العلم، ج3، ص321، ح3658. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، ح3658

(2) الترمذي: **سنن الترمذي**، باب ما ذُكر في فضل الصلاة، ج2، ص512، ح614. وصحّحه الألباني: **صحيح وضعيف الترمذي**، ج2، ص114، ح614

12. يستنكر المسلم وبشدة العدوان والظلم الواقع على أهل غزة وفلسطين وينصرهم بقلبه ودعائه وبلسانه وقلمه وبريشته، فالكلمة والموقف لا تقلّ أهمية عن نصرة السيف والبندقية، كما في حديث عَائِشَةَ ﵂ قالت، أن رسول الله ﷺ قال: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ»[1].

13. إن الجهاد بالمال من أعظم أشكال النصرة خاصة للبعيد من أبناء الأمة والعاجز عن النصرة بيده وسلاحه، وقد أفتى أهل العلم أن مصارف الزكاة الثمانية تنطبق على أهل فلسطين وهو يقاومون العدو الصهيوني المعتدي، كما أفتوا بجواز تعجيل الزكاة لهم قبل تمام الحول من غير كراهة، لا سيما إن كانت هناك مصلحة، أو حاجة عاجلة، أو نازلة تنزل بالمسلمين؛ فعن علي ﵁ أن العباس ﵁ سأل النبي ﷺ في تعجيل زكاته قبل أن تحل فرخّص له في ذلك[2].

14. إن مفارقة أهل الكفر والنفاق، ومغادرة مجالسهم، وترك العمل معهم، ومقاطعة بضائعهم وتجارتهم وتعرية صورتهم أمام العالم الحر، وكشف مكرهم من أعظم أشكال النصرة الفاعلة المؤثرة، ويحتسب المسلم ما يصيبه من أذى نتيجة هذه المواقف الشجاعة، قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: 140].

15. يتجاوز المسلم العصبية والقبلية والوطنية في موقفه من الحق، فهو يدور مع الحق حيث دار ويعدل في حكمه وموقفه وشهادته.

16. يجب أن تسهر الأمة وتسعى جاهدة لنصرة للأسرى في سجون العدو الصهيوني، فتبذل كل غال لتحريرهم وفكّ قيدهم، كما أمر النبي ﷺ فقال: «فُكُّوا العَانِيَ، يَعْنِي: الأَسِيرَ»[3].

---

(1) مسلم: **صحيح مسلم**، باب فضائل حسان بن ثابت، ج4، ص1935، ح2490.

(2) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب الزكاة، باب تعجيل الزكاة، ج3، ص66، ح 1624. وحسنّه الأرنؤوط في تحقيقه سنن أبي داود.

(3) البخاري: **صحيح البخاري**، باب فكاك الأسير، ج4، ص68، ح 3046

17. ينبغي أن يتسابق أهل الإسلام في نجدة المجاهدين والمرابطين في فلسطين وغزة ونصرتهم بكل ما أمكن وتيسر من وسائل النصرة المادية والمعنوية الفردية والجماعية، ومراعاة الحكمة في طرق وأساليب نصرة الحق والتنويع فيها والابتكار، واستخدام التورية والمداراة والحيلة السياسية إن لزم الأمر، كما فعل نعيم بن مسعود ﵁ في تخذيله عن المسلمين في غزوة الخندق حين تكالب الأحزاب الكفرة واليهود حول المدينة في السنة الخامسة للهجرة، فقد قال النبي ﷺ: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ»[1]، وعنون في صحيحه، فقال: باب الكذب في الحرب، وأورد فيه حديث تعاون ثلاثة من الصحابة ﵃ على كعب بن الأشرف وكيف أنهم استخدموا الحيلة للنيل من عدو الله ورسوله.

18. تجريم التعاون مع العدو الصهيوني، وتخوين من نصره، أو نسّق معه ضد المؤمنين والمجاهدين؛ كيف وقد حَذّرَ الله تعالى من ذلك أيما تحذير، فقال: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء:139-138]، فمن مُسَلَّمات الإيمان الصحيح وأول ثمراته أنه يمنع موالاة الكافرين على حساب المسلمين.

19. يلجأ المجاهدون إلى ربهم يستغيثونه ويستنصرونه ويطلبون عونه ومدده، قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: 45]، ويكثر المؤمنون من الصلاة والذكر ويدعون ضارعين، ربنا ﴿**وانصرنا على القوم الكافرين**﴾ [البقرة: 286].

20. الثقة بنصر الله وتحقق وعده للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:47]. فقد ثبت أن النصر ليس بكثرة عَدَدٍ ولا عُدَدٍ ..بل هو من عند الله ينصر من يشاء، قال تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 249].

21. ينبغي أن تتخندق الأمة الإسلامية في صف واحد، لنصرة المستضعفين، ورفع الحصار

---

(1) البخاري: **صحيح البخاري**، باب الحرب خدعة، ج4، ص64، ح3030. (خدعة) بفتح الخاء وكسرها وضمها أي تمويه وإخفاء وتلون.

عن أهل غزة وفلسطين، قال تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 41].

22. تشريع آليات وتنفيذ مشاريع لنصرة أهل الأرض المباركة في مواجهتهم فساد بني إسرائيل، وحيث أن أهل الأرض المباركة لم يقدروا عليهم، فقد صارت نُصرتهم فرضاً على من يلونهم من جيرانهم وإخوانهم في الدين؛ لرد العدوان ورفع الظلم وتحرير الأرض والمقدسات.

23. وجب على الحكومات العربية والإسلامية وقادتها نصرة أهل غزة وفلسطين والدفاع عنهم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: 72]. ولهم في شهامة المعتصم أسوة حسنة، فما زال يتردد في صدى التاريخ صوت مقولته "لبيك"؛ حين عاث ملك روماني فساداً في بلاد الأناضول المسلمة سنة (223هـ)، فأوقع فيها واستباح قتلاً وسبياً ومثّل بالأسرى. فلما بلغ المعتصم ﵀ الخبر استعظم ذلك، ثم أُخبر أنّ امرأة هاشمية صاحت تستغيث وهي أسيرة في أيدي الروم: وا معتصماه! فأجابها وهو على سريره لبيك، لبيك! ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته وقاد جيشه بنفسه حتى حررها [1].

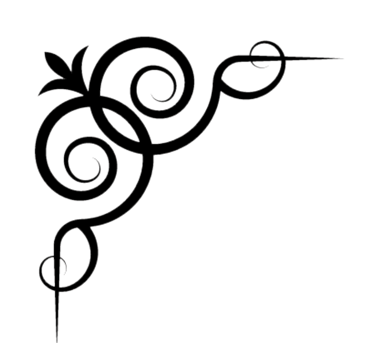
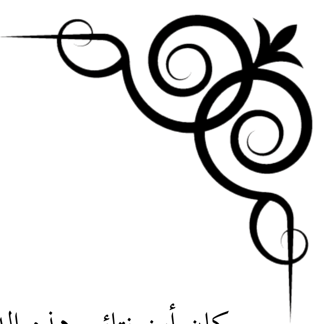
---

(1) انظر: ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م، (3/ 327).



النتائج والتوصيات

- النتائج
- التوصيات

النتائج

كان أبرز نتائج هذه الدراسة ما يأتي:

1. بيّنت أن الأرض المباركة هي أرض بلاد الشام الكبرى وسيناء، وأشارت إلى حدودها التقريبية حسب الخارطة المعاصرة وأوضحت مكانتها التي تتمثل بالبركة الثابتة لها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولأن فيها المسجد الأقصى قبلة المسلمين الأولى ومسرى النبي محمد ﷺ، وأنها- كما بيّنت النصوص- عقر دار المؤمنين. وأكدت أن الأرض المقدسة والوادي المقدس «طوى» جزء في الأرض المباركة، وأن هذه المكانة الكبيرة لها تضع مسؤولية إضافية على المسلمين أينما كانوا لتحريرها من الاحتلال والسيطرة الصهيونية الواقعة عليها وتطهيرها والدفاع عنها.

2. كشفت عن آيات الأرض المباركة في القرآن الكريم وأشارت إليها من خلال ربطها بآيات قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام والناس التي حدثت فيها.

3. بيّنت أن القرآن الكريم فصّل في آياته الكريمة قصص أحد عشر نبياً ورسولاً، ارتبطت قصصهم مكانياً بالأرض المباركة، وهم: إبراهيم ولوط، ويعقوب ويوسف، وموسى وهارون، وداود وسليمان، وزكريا وعيسى ومحمد عليهم السلام.

4. استنبطت مضامين تربوية من آيات القرآن الكريم المرتبطة بالأرض المباركة، في صورة مبادئ تربوية في مجالات خمسة، هي: مجال العلاقة بالله تعالى، ومجال الأخلاق الفردية، ومجال الأخلاق الاجتماعية، ومجال الدعوة، ومجال العمل الجهادي. وكان مجموع عدد المبادئ التي تم استنباطها (34) مبدأ تربوياً، وهي على النحو الآتي:

أ. ستة مبادئ تربوية في مجال العلاقة بالله تعالى، هي: مبدأ عبادة الله وحده، ومبدأ

الطاعة، ومبدأ إقامة الصلاة، ومبدأ التوكل على الله تعالى، ومبدأ المحاسبة، ومبدأ الرجوع عن الخطأ.

ب. ستة مبادئ تربوية في مجال الأخلاق الفردية، وهي: مبدأ تحمل المسؤولية، ومبدأ العمل الصالح، ومبدأ الوفاء، مبدأ الصبر، ومبدأ عفة الفرج وإحصانه، ومبدأ العفو والصفح.

ت. سبعة مبادئ تربوية في مجال الأخلاق الاجتماعية، وهي: مبدأ العدل، ومبدأ الرحمة، ومبدأ برّ الوالدين، ومبدأ الرعاية الوالدية، ومبدأ إفشاء السلام، ومبدأ إكرام الضيف، ومبدأ الإنفاق في وجوه الخير.

ث. ثمانية مبادئ تربوية في مجال الدعوة، وهي: مبدأ الحوار، مبدأ التكرار، ومبدأ مراعاة الفروق الفردية، مبدأ التذكير بالنعم، ومبدأ المسارعة في الخيرات، ومبدأ البشارة بالخير، ومبدأ الاعتبار والاتعاظ، ومبدأ عمارة المساجد.

ج. سبعة مبادئ تربوية في مجال العمل الجهادي، وهي: مبدأ الهجرة في سبيل الله، ومبدأ الجهاد، ومبدأ التصدي للفساد، ومبدأ إدارة الابتلاء، ومبدأ توجيه الخوف، ومبدأ الحذر، ومبدأ نصرة الحق.

5. قدمت الدراسة شروحات مركّزة حول المبادئ التربوية التي تم استنباطها والإشارة إليها في هذه الدراسة، فبيّنت مفهوم كل مبدأ وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية وأهميته.

6. قدمت الدراسة مقترحات وبرامج وتصورات لتطبيقات عملية لكل مبدأ من المبادئ التربوية المستنبطة، واستندت هذه التطبيقات في غالبها إلى توجيهات قرآنية ووصايا نبوية، كما أنها أخذت في الاعتبار واقع الحال المعاصر في الأرض المباركة.

7. أكدت الدراسة أن تطبيقات هذه المبادئ تبدأ أولاً من نشر الوعي بها، وبناء الدوافع المعينة على تَمَثُّلها وأهمها الإيمان بالله واليوم الآخر، وأكدّت على الدور التربوي للأسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام في غرسها وتعليمها والتربية عليها والتوجيه إليها. وأهمية إبراز وإيجاد النماذج الحية التي تؤمن بها وتتمثلها.



التوصيات

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، فإنها توصي بما يلي:

1. أن تتكاتف المنابر الإعلامية والدينية والتربوية للتوعية بالمبادئ التربوية التي تم استنباطها في هذه الدراسة، والعمل على زيادة إيمان الناس بها وغرسها في نفوسهم، ودعوتهم للتواصي بتطبيقها.
2. توصي القائمين على صياغة المناهج التربوية والدعوية في بلاد العالم الإسلامي بجعل هذه المبادئ المستنبطة محوراً في المناهج الدراسية وخطب الجمعة ودروس المساجد.
3. توصي التربويين والمرشدين بتنفيذ برامج تدريبية للوالدين والمعلمين وخطباء المساجد والإعلاميين، للتعريف بهذه المبادئ التربوية، ومناقشة آليات تنفيذ تطبيقاتها.
4. أن تتوجه همّة الباحثين في مجال التربية لإجراء دراسات أكثر توسعاً في تأصيل المبادئ التربوية المستنبطة ودراسة دوافعها ودورها في تعديل السلوك وبناء الجيل.
5. أن تُوجّه كليات الشريعة والتربية الدارسين لاستنباط المزيد من المبادئ والمضامين التربوية من آيات وسور القرآن الكريم في المجالات المختلفة، مع مراعاة تقديم تطبيقات عملية تراعي المستجدات الاجتماعية والسياسية.
6. التوصية أن يكون لأهل التربية والتعليم حضور أكبر وأكثر تأثيراً في وسائل الإعلام وصناعة السينما والبرامج الحوارية، فهي في عصرنا أقدر من غيرها على تحقيق الوعي وتصحيح التصورات، وتوجيه الجيل، وتقديم القدوة الحسنة.

7. التوصية للعاملين في مجال الإعلام والإنترنت بأن يبادروا لنشر هذه المبادئ التربوية وتطبيقاتها ويعملوا على تعميمها والترغيب بها، باستخدام التقنيات الحديثة وصناعة الأفلام والسينما ووسائل التواصل الاجتماعي.

8. التوصية للمدربين والتربويين بأن يعيدوا صياغة هذه المبادئ التربوية على صورة حقائب تعليمية أو تدريبية، أو حلقات تلفزيونية يقدم في كل حلقة مبدأ تربوي وشرح لتطبيقاته.

9. التوصية لوزارات التربية والتعليم في الدول العربية والإسلامية، وللمعنيين ببناء الجيل وتوجيهه أن يستمروا في إعداد الأمة، وتحضيرها للمعركة الحتمية القادمة لتحرير الأرض المباركة، والعمل الدؤوب لتطوير قدرات أبنائها، وتربية نفوسهم إيمانياً وفكرياً وجسدياً وعسكرياً، من خلال نظام تربوي فعّال وشامل يقدّم القدوات، وتتعاون فيه المؤسسات التعليمية والتربوية والعسكرية، ويراعي الظروف التي يمرّ بها الناس والتحديات التي تنتظرهم.

وصلى الله وسلّم وبارك على رسول الله محمد

وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين.

التعريف بالمؤلف

د. محمود مصطفى أبو محمود

ولد في العاصمة الأردنية عمّان في عام 1970م.

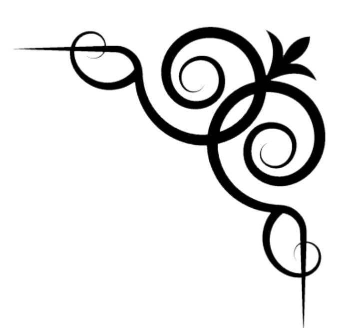
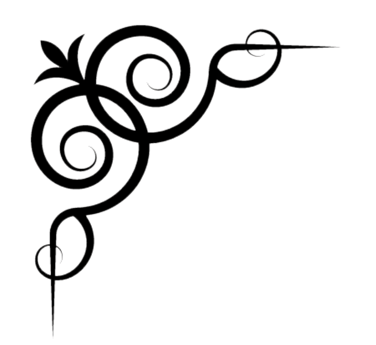
نال شهادة البكالوريوس في أصول الدين من كلية الشريعة في الجامعة الأردنية عام 1992م. وحصل على شهادة درجه الماجستير في التربية الإسلامية من قسم الدراسات الإسلامية من كليه الشريعة في جامعه اليرموك عام 2019م.ثم حصل على شهادة درجه الدكتوراه في التربية الإسلامية من قسم الدراسات الإسلامية في كليه الشريعة في جامعه اليرموك عام 2023م.

عمل نحوًا من ربع قرن مدرسًا للتربية الإسلامية في مدارس الأردن والسعودية والإمارات والبحرين.

عضو في هيئة علماء فلسطين

عضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

شغل مهمة المدير التنفيذي لهيئة علماء فلسطين في مقرها الرئيس في إسطنبول/ تركيا في الفترة من 2019-2024م.

المراجع

- **القرآن الكريم**

1. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله (ت: 656هـ). **شرح نهج البلاغة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصدر الكتاب: المكتبة الشاملة.
2. ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد (ت: 281هـ). **محاسبة النفس**، تحقيق وتعليق: مجدي إبراهيم، القاهرة، مكتبة القرآن، د. ط، د. ت.
3. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ). **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتب دار البيان، ط1، 1391هـ - 1971م.
4. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ). **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1416هـ - 1996م.
5. ابن المظفر: أحمد بن محمد (ت: بعد 630هـ). **مباحث التفسير لابن المظفَّر**، تحقيق: حاتم القرشي، السعودية، كنوز إشبيليا، ط1، 1430هـ - 2009م.
6. ابن بطال، محمد بن أحمد (ت:633هـ). **النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب**، تحقيق: مصطفى سالم مكة المكرمة، المكتبة التجارية، 1991م.
7. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت: 728هـ). **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ - 1987م.
8. ـــــــــــــــــــ. **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد، ط3 1416هـ - 2005م.
9. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (ت: 733هـ). **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، تحقيق: محمد العجمي، بيروت – لبنان، دار البشائر الإسلامية، ط3، 1433هـ - 2012م.
10. ابن حجر: أحمد بن علي (ت:852 هـ). **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، تخريج محب الدين الخطيب، بيروت دار المعرفة، 1379هـ.

11. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، عيد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط2، 1408هـ - 1988م.

12. ابن رافع، عبد الله عبد الحكم (ت:214هـ). **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، تحقيق: أحمد عبيد، بيروت، عالم الكتب، ط6، 1404هـ - 1984م.

13. ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1393هـ). **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، تونس، الدار التونسية للنشر، د. ط، 1984هـ.

14. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت: 571هـ). **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، 1995م.

15. ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت:542هـ). **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ.

16. ابن فارس: أحمد بن فارس (ت:395هـ). **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979م

17. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ). **البداية والنهاية**، دار الفكر، د. ط، 1407هـ - 1986م.

18. ــــــــــــــــ . **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م.

19. ابن ماجه، محمد بن يزيد (ت: 273هـ). **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د. ت.

20. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ). **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.

21. ابن نبي، مالك الحاج عمر. **بين الرشاد والتيه**، دمشق، دار الفكر، ط1، 1978م.

22. أبو السعود، محمد بن محمد (ت: 982هـ). **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

23. أبو حبيب، سعدي. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً**، دمشق، دار الفكر، ط2، 1988م.

24. أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: 275هـ). **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين، صيدا – بيروت، المكتبة العصرية، د. ط، د. ت.

25. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ). **الخراج**، تحقيق: طه عبد الرؤوف وسعد حسن، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت.

26. الأشقر، أسامة جمعة. **البركة مقوماتها ومنازلها بين مكة وبيت المقدس**، ط1، الأردن، مؤسسة الفرسان، 2015م.

27. الأصبحي، مالك بن أنس. **الموطأ**، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد للأعمال الخيرية، ط1، 1425هـ - 2004م.

28. الأصفهاني: الحسين بن محمد (ت:502هـ). **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، مصر، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، ط1، 1420هـ - 1999م.

29. ــــــــــــ. **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان الداودي، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ.

30. إقبال: محمد. **ديوان محمد إقبال**، ترجمة صاوي شعلان، إعداد سيد الغوري، دمشق– بيروت، دار ابن كثير، ط3، 1428هـ - 2007م.

31. الألباني: محمد ناصر (ت: 1420هـ). **تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي (ت: 444)**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1 الجديدة، 1420هـ- 2000م.

32. ــــــــــــ. **الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب**، غراس للنشر والتوزيع، ط1، د.ت.

33. ــــــــــــ. **صحيح الترغيب والترهيب**، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، 1421هـ - 2000م.

34. ــــــــــــ. **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

35. ــــــــــــ. **صحيح وضعيف سنن أبي داود**، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، قام بإعادة فهرسته: أحمد عبد الله عضو في ملتقى أهل الحديث.

36. ــــــــــــ. **صحيح وضعيف سنن الترمذي**، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

37. ــــــــــــ. **صحيح وضعيف سنن النسائي**، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

38. الأنباري: محمد بن القاسم (ت: 328هـ). **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م

39. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ). **صحيح البخاري**، تحقيق: محمد الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

40. ــــــــــــ. **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، تحقيق: محمد ناصر الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1418هـ- 1997م.

41. بصول، سوزان قاسم. **المبادئ التربوية في تغيير السلوك الإنساني في ضوء التربية الإسلامية**، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، 2002م.

42. البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: 458هـ). **السنن الكبرى**. تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان- بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 1424هـ- 2003م.

43. الترمذي، محمد بن عيسى (ت: 279هـ). **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، مصر، مكتبة مطبعة الحلبي، ط2، 1395هـ - 1975م.

44. جبل: محمد حسن. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، القاهرة، مكتبة الآداب، ط1، 2010م.

45. جرار: بسام نهاد، **الأرض المقدسة**، محاضرة صوتية، على شبكة النت 24/9/2018م https:// www.youtube.com/watch?v=S252oIXHfOo

46. الجهوية، ملحقة سعيدة. **المعجم التربوي**، إثراء فريدة شنان ومصطفى هجرسي، تنقيح: عثمان مهدي، الجزائر، وزارة التربية الوطنية، المركز الوطني للوثائق التربوية، د. ط.

47. الجوالي، عبد الله أسود. **الخوف والرجاء في القرآن الكريم دراسة تحليلية**، دار الزمان، السعودية، ط1، 2003م.

48. الحاكم، محمد بن عبد الله (ت: 405هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ - 1990م.

49. حبيب، صموئيل. **الخوف**، القاهرة، دار نوبار، ط1، 1989م.

50. الحربي، عاتق بن غيث (ت:1431هـ). **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، مكة المكرمة، دار مكة للنشر والتوزيع، ط1، 1402 هـ - 1982م.

51. حسن شحاتة وزينب النجار. **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، مراجعة حامد عمار، ط1، 2003م.

52. حوى: سعيد محمد (ت 1409 هـ). **الأساس في التفسير**، القاهرة، دار السلام، ط6، 1424هـ.

53. الخازن، علي بن محمد (ت:741هـ). **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح محمد شاهين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ.

54. الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: بعد 1390هـ). **التفسير القرآني للقرآن**، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.

55. الرازي: محمد بن أبي بكر (ت: 666هـ). **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط5، 1420هـ- 1999م.

56. الرازي، محمد بن عمر (ت:606هـ). **مفاتيح الغيب**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ.
57. رفاعي، عاطف إبراهيم. **صور الإعلام الإسلامي في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، 1432هـ- 2011م.
58. الزبيدي، محمد بن محمد (ت: 1205هـ). **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، د. ط، د. ت.
59. الزحيلي، وهبة مصطفى. **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ.
60. الزغول، عماد عبد الرحيم. **علم النفس التربوية**، الإمارات، دار الكتاب الجامعي، ط2، 2012م.
61. الزمخشري، محمود بن عمرو (ت: 538هـ). **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1407هـ.
62. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ). **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن معلا، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م.
63. السفاريني، محمد بن أحمد (ت: 1188هـ). **كشف اللثام شرح عمدة الأحكام**، تحقيق: نور الدين طالب، الكويت، وزارة الأوقاف، سوريا، دار النوادر، ط1، 1428هـ - 2007.
64. السفيري، محمد بن عمر (ت: 956هـ). **المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح الإمام البخاري**، تحقيق: أحمد فتحي، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1425هـ- 2004م.
65. شركة ديلويت للخدمات المهنية والاستشارية، **مركز دبي لتطوير الاقتصاد الإسلامي**، تقرير صادر عن المركز في 2014م. www.deloitte.com
66. الشريف الرضا، محمد بن الحسين (ت: 404هـ). **نهج البلاغة**، شرح محمد عبده، الناشر: دار المعرفة، بيروت، (د. ت).
67. الشعراوي: محمد متولي (ت: 1418هـ). **تفسير الشعراوي- الخواطر**، مطابع أخبار اليوم، د. ط، 1997م.
68. الشنقيطي، محمد الأمين المختار (ت: 1393هـ). **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ط، 1415هـ - 1995م.
69. الشوكاني: محمد بن علي (ت: 1250هـ). **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، مصر، الناشر: دار الحديث، ط1، 1413هـ - 1993م.
70. الشوكاني، محمد بن علي (ت:1250هـ). **فتح القدير**، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ.
71. الشيباني، أحمد بن محمد (ت:241هـ). **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م.

72. الصابوني، محمد علي (ت:1436هـ). **صفوة التفاسير**، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ- 1997م.

73. الطبراني: سليمان بن أحمد (ت:360هـ). **المعجم الأوسط**، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين، القاهرة. د. ط.

74. ــــــــــــــــــ. **المعجم الكبير**، تحقيق: فريق من الباحثين، د. ط.

75. الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ). **جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م.

76. الطيبي، الحسين بن عبد الله (ت: 743 هـ). **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، تحقيق: إياد الغوج وآخرون، نشر جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 1434هـ.

77. عبد الباقي، محمد فؤاد. **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، مطبعة دار الكتب المصرية، 1945م.

78. عبد الحميد، أحمد مختار وفريق عمل. **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1، 1429هـ.

79. العدوي، مصطفى شلباية، **سلسلة التفسير**، دروس صوتية على الانترنت www.islamweb.net.

80. العسكري، الحسن بن عبد الله (ت: نحو 395هـ). **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم، القاهرة، دار العلم والثقافة.

81. العصامي، عبد الملك حسين (ت: 1111هـ). **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ - 1998م.

82. الغزالي، محمد الغزالي (1996م)، **فقه السيرة**، تخريج الألباني، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965م.

83. الفيروزآبادى: محمد بن يعقوب (ت: 817هـ). **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط8، 2005م.

84. القرافي: أحمد بن إدريس (ت: 684هـ). **الذخيرة**، تحقيق: محمد حجي وآخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994م.

85. القرطبي: محمد بن أحمد (ت:671هـ). **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: البردوني وأطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ- 1964م.

86. قطب: سيد إبراهيم (ت: 1966م). **في ظلال القرآن**، القاهرة، دار الشروق، د.ط.

87. الكرماني، محمد بن يوسف (ت: 786هـ). **الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1401هـ - 1981م.

88. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار. **المعجم**

الوسيط، القاهرة، دار الدعوة، د. ط، د. ت.

89. المراغي، أحمد مصطفى (ت: 1371هـ). **تفسير المراغي**، بمصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ - 1946م.

90. مسلم: ابن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ). **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت.

91. مقبل، أحمد إسماعيل. **الفروق الفردية من منظور إسلامي**، مجلة جامعة الناصر، مجلد2، العدد6، 2015م.

92. المناوي، زين العابدين محمد (ت:1031هـ). **التوقيف على مهمات التعاريف**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1410هـ- 1990م.

93. النسائي، أحمد بن شعيب (ت: 303هـ). **السنن الكبرى**، تحقيق: حسن شلبي، إشراف: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

94. ــــــــــــــــــــــــ. **المجتبى من السنن= السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406هـ– 1986م.

95. النسفي، عمر بن محمد (ت: 537هـ). **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، بغداد، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى، د. ط، 1311هـ.

96. النووي: يحيى بن شرف (ت: 676هـ). **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.

97. النووي، يحيى بن شرف (ت: 676هـ). **تحرير ألفاظ التنبيه**، تحقيق: عبد الغني الدقر، دمشق، دار القلم، ط1، 1408هـ.

98. الهندي: علي بن حسام (ت: 975هـ). **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط5، 1401هـ- 1981م.

99. الواحدي، علي بن أحمد (ت: 468هـ). **التفسير البسيط**، أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ط1، 1430هـ.

100. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية. **الموسوعة الفقهية الكويتية**، ط1، مصر، مطابع دار الصفوة، 1427هـ.





فهرست المحتويات




تم بحمد الله





هذا الكتاب

دراســة علميـة تعرّف بالأرض المباركة وحدودها، وتؤصل لمكانتها وأهميتها وشرف المسجد الأقصى المبارك فيها؛ فقد كان لهذه الأرض المباركة نصيبٌ من التكريم والتقديس أن نزلت في شأنها آيات بيّنات في كتاب الله العزيز وردت في سياقات قصص الأنبياء والرسل عليهم السلام

و ترجو هذه الدراسة أن تُصيب مضامينها التربوية المستنبطة أمرين: الأول، الاعتماد النظري على المصدرية الإسلامية المطلقة وهي القرآن الكريم، والثاني الاعتماد التطبيقي على واحدة من أشرف البقاع إلى الله تعالى وهي الأرض المباركة - بلاد الشام







